الابداع العالمى

■ مسرح ڤيكتور هيجو

لوكريس بورجيا

« مأساة من ثلاثة فصول »

الملك يلهو

« مأساة من خمسة فصول »

ترجمة : حسن نديم



الإبداع العالمي

مسرحية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٤



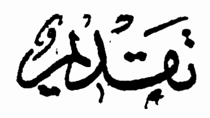
مسرح ڤيكتور هيجو

لوكريس بورجيا
مأساة من ثلاثة فصول

الملك يلهو
مأساة من خمسة فصول

حسن نديم





تقديم

كانت حياة فيكتور هيجو ملحمة عنيفة ، اصطرعت فيها آراؤه الفنية واتجاهاته الاجتماعية والسياسية وآراء العصر التى اصطلح عليها النقاد وأرباب الفكر ورواد الاجتماع · فلا عجب أن كابد هيجو فى أثنائها كثيرا من العنت والاضطهاد ، حتى ارتفع الى ذروة المجد والفخار ابان حياة عاشها فى كد وعمل متواصلين ، فلم يترك عقله الجبار فى كره وفره بابا من أبواب النشاط الا طرقه ، فمن شعر الى تاريخ ، ومن قصص الى نقد فنى وسياسى ، ومن مسرحيات الى فلسفة ، كل أولئك كان يعبر عن بداهته الفنية ويشف عن احساسه العريق وشعوره العميق ، مما جعله يسود بعبقريته وشخصيته جميع أدباء القرن التاسع عشر الى حد يصح معه أن يسمى ذلك العصر بعصر فيكتور هيجو ·

لقد ظهرت فى فرنسا فى مستهل القرن التاسع عشر حركة أدبية أخذت تتجه رويدا رويدا الى التجديد فى مجالات الفكر ، وهى الحركة المسماة بالحركة الرومانسية ، بيد أن جميع الذين كانوا يقومون بهذه الحركة لم تكن لهم مبادىء ولا قواعد ثابتة ولا مذهب معين ولا مدرسة ينتمون اليها ، وكل ما كان يصل بعضهم ببعض ان هو الا ايجاد نهضة حديثة للفن والأدب والتجديد فيهما · ولما كان لابد لمثل هذه الحركة من رائد يتزعمها ويعمل على نموها لكى تأخذ طريقها فى الظهور والانتشار فقد تقدم فيكتور هيجو بمقدمة مسرحية كروموپل وفيها وحد هذه الحركة ودعمها ، ووضع

لها برنامجها وحدد اتجاهاتها ، فقد أبان شاعرنا فى هذه المقدمة أن الالهام الناشىء عن العبقرية والشعور الشخصى الخالص ينبغى أن يحلا محل القواعد العنيقة التى كانت أسسا للشعر من قديم الزمان . فنراه فى مستهلها يثور على هذه القيود القديمة التى وضعها الشعراء والأدباء الأقدمون للشعر والمسرح ، وينادى بحرية الكاتب المطلقة فى آرائه وأفكاره وفق أهوائه وميوله وبذلك يعود الفن الى الحقيقة والطبيعة والحياة ، وكما ان فى الحياة تناقضا حيث انها تجمع ما بين الفرح والحزن فعلى الكاتب أن يجمع كذلك فى مسرحية واحدة ما بين الأحداث المضحكة والأحداث المبكية ولا داعى اطلاقا لذلك التقيد العتيق الذى اصطلح عليه الأقدمون وهو تقسيم المسرحيات الى لونين : ملهاة ومأساة وعدم الجمع بينهما فى صعيد واحد . ولقد رأى هيجو بثاقب فكره أن الحقيقة والواقع اللذين تختلط فيهما السخرية والسمو هما خير ما يجعل للمسرحية تلك الروعة الأخاذة . اذن فليجعل مسرحياته مستقاة من تلك الحقائق الطبيعية فى الحياة بلا تقيد الا بما يتطلبه الفن من اختيار وما تقتضيه العبقرية من تحوير .

قدم هيجو مسرحيته كروموبل بهذه المقدمة فظفرت بنجاح باهر فى المحافل الأدبية أكثر مما ظفرت به المسرحية ذاتها لأنها لم تمثل على المسرح لما فيها من اطالة رغم جمال شعرها . وفى السنة التالية قدم مسرحية أخرى مقتبسة من رواية انجليزية أسماها « أمى روبار » وقد عرضت بمسرح الأوديون ولم تصادف نجاحا يذكر . ثم عاد بعد فترة من الزمن الى الكتابة للمسرح بعزيمة أمضى وحماس أشد فكتب مسرحية « ماريون دى لورم » شعرا فى أربعة وعشرين يوما، الا أن الرقابة الملكية لم توافق على عرضها وهكذا قدر لهذه المسرحية أن تدفن وهى وليدة فى مهدها لم تطلع عليها شمس الصباح . غير أن كاتبنا صمم على تأليف رواية أخرى تحظى بالظهور على خشبة المسرح ولم يحل عام ١٨٢٩ حتى كان قد أخرج درة مسرحياته « هرنانى » وهى تلك الدرة الخالدة التى أحدثت فى عالم الأدب والمسرح هزة عنيفة . وبعد ثورة يوليو ١٨٣٠ ألغيت الرقابة على المسرح ومثلت

مسرحيـة ماريون دى لورم عام ١٨٣١ فكان نجاحها عظيما وتقبلها الشعب بحماس فائق · وفى السنة التالية خرجت الى دنيا الأدب مسرحية « الملك يلهو »·فلم تنل نجاحا ملحوظا وأوقفت الحكومة عرضها بعد أول عرض لها اذ أنها تحرض على قتل الملك الفاسـد · وفى عام ١٨٣٣ قدم كاتبنـا الى المسرح مسرحيـة نثرية هى « لوكريس بورجيـا » فصادفت نجاحا منقطع النظير أنسى الناس ما أصاب سابقاتها من تعثر أو فشل ·

لقد نهل فيكتـور هيجو موضـوع مسرحيـة لوكريس بورجيا من عيون التاريخ القريبـة ، فمن الثـابت أن أسرة بورجيا هى أسرة ايطالية عاشت بين ربوع ايطاليا فى غضون القرن الخامس عشر · وبرغم امتداد حياتها الى القرن السادس عشر فقد اقتصر دورها التاريخى فيما بين عام ١٤٥٥ وعام ١٥٠٤ · وهذه الأسرة تنحدر من أصل اسبانى وتنتسب الى مدينة بورجا فى مقاطعة أراجون · ولقـد بدأ نجمها يتألق على أثر انتخاب الفـونس بورجيـا أسـقف فالنس لمنصب البابوية عام ١٤٥٥ باسم كاليست الثالث ومنذ ذلك الحين بدا واضحا للعيان أن هذه الأسرة الأجنبية قد وضعت نصب أعينها تحقيق مطمع واحد هو جمع شتات ايطاليا الوسـطى تحت سلطانهـا · وحين انتخب ابن آخيه رودريج بورجيا لكرسى البابوية عام ١٤٩٢ ولقب بالبابا اسكندر السـادس تضاعفت مطامع الأسرة وتدفقت أمجادها · فلقد أنجب البابا من زوجته روزا فانوزا ابنه البكر جان بورجيا وقد حصـل فيما بعد من ملك اسبانيا على دوقيه جانديا ثم سيزار بورجيا وهو أحب الأبناء الى أبيه وقد اتهم بقتل أخيه لغيرته منـه وتزوج من ابنة ملك نافار وسمى بدوق فالنتينوا ثم جوفرى بورجيا وقد بنى بابنه دوق كالابريا وأصبح أمير اسكيلاس ثم ابنة وحيدة هى لوكريس بورجيا ·

ولدت لوكريس بورجيـا عام ١٤٨٠ واقترنت بأول أزواجها جان سفورزا شريف بيزارو عام ١٤٩٣ ثم طلقت منه بأمر من أبيها البابا عام ١٤٩٧ · وحدث فى السنة التالية من طلاقها وقبل زواجها للمرة الثانية من الفونس دوق بيزاليا

ابن أمير أراجون أن أنجبت طفلا اعترف به والدها ابنا له ثم ما لبث أن اعترف به ابنا لأخيها سيزار ومن هنا نشأ اتهام لوكريس بورجيا بجريمة زنا مزدوجة • وفى عام ١٥٠٠ طعن زوجها الثانى فى غرفته الخاصة بيد أخيها سيزار ثم تزوجت للمرة الثالثة من الفونس ديست أمير فرار وجمعت من حولها بطانة من لوامع أهل الفكر والفن والأدب وأدركتها المنية بمدينة فرار عام ١٥١٩ ولم يكن لها بوجه عام أى نشاط سياسى •

والحق أن فيكتور هيجو قد عرض فى مسرحيته شخصية لوكريس بورجيا عرضا مهينا بغيضا ورسم أبعاد صورتها بألوان داكنة سوداء ، وان كانت لا تبدو على هذا النحو من القبح والبشاعة فى نظر معاصريها • فقد أجمع هؤلاء على اطراء جمالها ورقتها وصفاء ذهنها وهم يذهبون فى تبرير سلوكها الى أنها كانت أداة طيعة فى يد أبيها وأخيها وان لم يكن ثمة شك فى أنها كانت نموذجا صارخا لوضاعة الأخلاق وسوء السيرة فى بيئة فاجرة فاسدة ، وصمت بالخسة والغدر والخيانة وشغف باراقة الدماء ودس السم للابرياء ، مما أسهب فى وصفه وسرد تفاصيله تابع الكنيسة بورشار فى يومياته •

يطيب للناشرين دائما أن يجمعوا مسرحيتى الملك يلهو ولوكريس بورجيا فى كتاب واحد ، ويطيب للنقاد وكذلك أن يقرنوا بين هاتين المسرحيتين وان اختلفتا فى الشكل والموضوع والاتجاه بحيث كان مولد الأولى تاريخا سياسيا بارزا ومولد الثانية تاريخا أدبيا هاما فى حياة الكاتب • الا أننا نزعم ذلك أن المسرحيتين وان اختلفتا شكلا وموضوعا واتجاها كما أسلفنا القول فقد ارتبطتا فى ذهن المؤلف برباط وثيق • فقد نبعت فكرة الأولى وفكرة الثانية فى وقت واحد من عاطفة واحدة • فماذا كانت الفكرة العميقة الدفينة بين ثنايا مسرحية الملك يلهو ؟

اذا تناولنا التشوه الجسدى فى أكمل الصور وأبشعها ووضعناه حيث يبرز بمزيد من الجلاء فى رجل فى الدرك الأسفل من أوساط المجتمع الانسانى وألقينا على هذا المخلوق

الثعس أضواء المتناقضات من كل صوب ثم غرسنا في أعماقه نفسا زودناها بأسمى وأطهر عاطفة يمكن أن يستشعرها رجل – هي عاطفة الأبوة – فماذا يكون من أمره ؟

ان هذه العاطفة السامية – عاطفة الأبوة – حين تستكين وتحظى بالدفء وفي ظروف معينة لا يلبث أن تغير من نظرتنا الى هذا المخلوق الفاسد · فنرى هذا الحقير كبيرا وهذا الأشوه وسيما ، وتلك هي الفكرة الأصيلة في مسرحية الملك يلهو · وما هي اذن الفكرة الأصيلة الدفينة في مسرحية لوكريس بورجيا ؟

اذا تناولنا التشوه الخلقي في أكمل صورة وأبشعها ووضعناه حيث يبرز بمزيد من الجلاء – في قلب امرأة – واحطناه بكافة امكانات الجمال الجسدي وأبهة الملك ، تلك الامكانات التي تهون على المرأة مقارفة الجريمة ، ثم مزجنا هذا التشوه الخلقي بعاطفة سامية طاهرة – هي عاطفة الأمومة – أسمى وأطهر عاطفة يمكن أن تستشعرها امرأة وجعلنا من هذه المخلوقة الضارية أما – فماذا يكون من أمرها ؟

ان هذه المخلوقة المتوحشة لا تلبث أن تثير في نفوسنا كامن الشجن وتستنزف الدمع مدرارا من مآقي العيون · فتمس هذه النفس الشوهاء في أنظارنا أقرب ما يكون الى الجمال والصفاء · وهكذا تطهر عاطفة الأمومة نفسية المرأة الشريرة ، وتلك هي الفكرة الأصيلة في قصة لوكريس بورجيا ·

لقد كان من عادة الأقدمين من أعلام المسرح الفرنسي – أمثال كورني وموليير – أن يتولوا الرد على ما يثار حول مؤلفاتهم من نقد وأن يضمنوا مقدماتهم شروحا وتفسيرات تعين على توجيه القراء ، أما فيكتور هيجو مؤلف هذه الدراما فلا يرى نفسه أهلا لاحتذاء حذو هؤلاء الرواد ، فنراه يلوذ بالصمت أمام ألسنة النقد · على أن النقاد كانوا – والحق يقال يترفقون في نقدهم واعتراضاتهم عليه

باستثناء حالات نادرة ، وليس من شك فى قدرة كاتبنا على الرد على أكثر من اعتراض ، فعلى الذين يرون أن جينارو ـ مثلا ـ قد انساق ببلاهة وسلامة طوية للموت بسموم الدوق فى الفصل الثانى من المسرحيـة يمكنه القول بأن جينارو ـ وهو شخصية من ابداع الكاتب ونسج خياله ـ ما كان ليطلب منه أن يكون أكثر واقعية وأشـد حذرا من دروسوس تلك الشخصية التاريخية التى كتب عنهـا تأسيت ـ أما الذين يعيبون على المؤلف مغالاته فى تصوير ما قارفتـه لوكريس بورجيا من موبقات وآثام فيستطيع أن يحيلهم الى ما كتبه فى هذا الصـدد المؤرخان تومازى وجيشـياردينى ، أما الذين يأخذون عليه استناده الى بعض مرددات شعبيه هى أقرب ما يكون الى الخرافة فيما يتصـل بموت أزواج لوكريس ما غدت لدى الشعراء حقائق ثابتـة وأن ينوه مرة أخـرى بورجيا فحسبه أن يجيبهم بأن أسـاطير الشـعوب كثيرا ما غدت لدى الشعراء حقائق ثابتة وأن ينـوه مرة أخـرى بتاسيت وهو مؤرخ عظيم كان جديرا به أن يتحقق من صحة الأحداث قبل ايرادها أكثر من الكاتب الدرامى · لقـد كان فى مقدور هيجو أن يدعم بدقائق تفسيراته الى أبعد مدى وأن يناقش مع النقاد عناصر مسرحيته واحدا بعد واحد ، غير أنه كان يشعر بمزيد من الارتيـاح فى شـكران النقـاد على ملاحظاتهم · أما عن ردوده على ما يعن لهم من نقـد فهـو يؤثر أن يستنبطها القارىء من خـلال المسرحيـة بدلا من أن يجدها فى سطور المقدمة ·

ولعل القارىء يغفر لفيكتـور هيجو قلة اهتمـامه بالناحية الجمالية فى هذا الكتاب ، فلقد قصد فيه الى أن يعالج نوعا آخر من الأفكار لا تقل فى نظره شأنا عن غيرها، أفكار يـود أن يثيرها ويعمقها فى مسرحيتـه عن لوكريس بورجيا · فهـو يرى أن الأعمال الأدبيـة لابد أن تعـالج الموضوعات الاجتماعية وكل مسرحية ينبغى أن تشكل خطوة ايجابية فى هذا السـبيل · وهـو بهـذا ينبه الأذهان الى ما للمسرح من قيمة ضـخمة لا تقف عند حد ، بـل تضطرد نموا باضطراد نمو الحضـارة والمدنية ، فالمسرح هو منصة

الخطيب ومنبر الواعظ يتولى خطاب الجماهير بقوة وبصوت مدوى ٠

لقد آمن هيجو حق الايمان بمدى أهمية المسرح وجدية رسالته ، فهو يعلم أن المسرحية ـ دون أن تخرج عن حدود الفن الأصيل ـ لابد أن تضطلع برسالة وطنية واجتماعية أو سياسية ، وهو حين يرى كل مساء جماهير الشعب الواعية ، تلك الجماهير التى اتخذت من مدينة باريس كعبة التقدم ومنارة العرفان ، تتكدس زرافات أمام ستار سينحسر بعد لحظات عن أفكاره ، يحس ٠٠ وهو الشاعر المرهف ـ بأنه شيء لا يذكر بجانب ما يبديه الحشد من شغف وفضول الى معرفة تلك الأفكار ، وأن عبقريته ان كانت لا تساوى شيئا فلا أقل من أن تكون أمانته هى رأس ماله ـ ولهذا نراه يسأل نفسه بقوة عن المغزى الفلسفى فى كل ما يكتب لأنه يعتبر نفسه مسئولا عنه كل المسئولية ولا يود أن يترك للجمهور ثغرة يسأله منها حسابا فى ذات يوم عما لقنه من دروس ٠ وهو يرى آن هذه الحشود لا يجب أن تغادر قاعة المسرح دون أن تحمل معها دروسا أخلاقية عميقة ٠ وهو لهذا لا يجب أن يقدم الى المسرح سوى موضوعات زاخرة بالعبرة والموعظة فهو يتعمد فى مسرحيتنا هذه أن يرى الناس تابوت الموتى فى قاعة الولائم وأن يسمعهم صلاة الموتى خلال أناشيد العبث والشراب وأن يقدم اليهم بردة الراهب الى جوار قناع الكرنفال ، انه يعلم أن الفن وحده ، الفن المجرد ، الفن بكل مفهومه ، لا يتطلب من الكاتب كل ذلك ، بيد أنه يرى أن رسالة المسرح بصفة خاصة لا ينبغى أن تقتصر على تحقيق مقتضيات الفن وشروطه فحسب ٠

أما عن جراح الانسانية وآلامها فان الكاتب حين يتصدى لها فى مسرحية من مسرحياته فهو يحاول أن يلقى على ما يعتور عريها من بشاعة وقبح نقابا لحمته وسداه المواساة والحكمة ، فنراه فى مسرحيتنا هذه يوسد فى أعماق لوكريس بورجيا الآثمة أحشاء أم تنبض تحنانا وعطفا ٠ وهكذا يغدو هيجو ناعم البال مستريح الضمير الى آثاره ، فالمسرحية التى ينشدها ويسعى الى ابرازها هى التى تعالج

كل شىء ولا تتدنس بشىء · فنحن اذا آثرنا فى كل المخلوقات قيما خلقية سمحاء فلن نجد بينها ثمة بغيض أو آشـــوه ، واذا نحن مزجنا بأبشـــع الأشياء قبســـا من الدين غدا هذا الشىء مقدسا طهورا ·

وبعد · فهذه مسرحية الملك يلهو ثم مسرحية لوكريس بورجيا ، وهى تلك الميلودراما التى فتنت حين عرضها ألباب الجماهير ، فكان تصفيقهم أثناء العرض يشق عنان السماء ، وبلغ حماسهم لها غايته حين غادر المؤلف قاعة المسرح بعـــد انتهاء العرض ، فحلوا الخيل من عربتـــه وجروها بأيديهم مهللين له هاتفين ، حتى اذا ما بلغ داره تخلص بجهد جهيـــد من تلك المظاهرة الصـــاخبة التى ظلت ـ الى فترة طويلة ـ موضع حديث الناس ·

حسن نديم

لوكريس بورجيا

مأساة من ثلاثة فصول

أشخاص المسرحية

دونا لوكريس بورجيا
دون ألفونس ديست
جينارو
جوبيتا
مافيو آورسينى
جيبو ليفيريتو
دون أبوستولو جازيللا
اسكانيو بتروتشى
اولوفرنو فيتيللوزو
روستيجللو
استولفو
الأميرة نيجرونى
حارس الباب
لفيف من الرهبان
طائفة من النبلاء والحجاب والحراس
المكان : مدينة فينيسيا وامارة فرار
الزمان : مستهل القرن السادس عشر

الفصل الأول

مهانة فوق مهانة

القسم الأول

حفل ساهر في شرفة قصر بارباريجو بمدينة فينيسيا ، يختلف المتنكرون بين آونة واخرى الى الشرفة التى تخيم عليها الظلال والخضرة ، ويمتد على جانبيها القصر الذى غمرته الأنوار الباهرة وانبعثت منه انغام الموسيقى • فى المؤخرة تجرى قناة زويكا تتهادى على صفحتها من حين الى حين بين استار الظلام زوارق الجندول ، تشيع منها اضواء خافتة ، وتحمل على ظهرها المتنكرين والعازفين • يسير فى مؤخرة المسرح زورق من هذه الزوارق ، تواكبه انغام مرحة تارة وانغام حزينة تارة اخرى تتلاشى وئيدا كلما نات ، وفى الخلف تبدو فينيسيا فى ضوء القمر •

المشــهد الأول

لفيف من النبــلاء الشــبان فى ثياب فاخــرة ، يتجاذبون أطراف الحديث فى شرفة القصر وفى يد كل منهم قناعه ٠

جوبيتــا ـ جينــارو فى زى ضــابط ـ دون أبوستولو جازيللا ـ مافيو أورسينى اســكانيو بتروتشى ـ أولوفرنو فيتيللوزو ـ جيبوليفيريتو

أولوفرنو : أننا نعيش فى عصر شاعت الآثام فيه ، مما كف الألسن عن التشدق بهذه الجريمة ، وان لم يقع قط من قبل ـ بلا جدال ـ ما يبز هذا الحادث غموضا وهولا ٠

اسكانيو : حادث غامض قارفه اناس غامضون ٠

جينيو : أما عن نفسى ، فأنا محيط يا ســادتى بوقائع الحادث ـ لقد استقيتها من ابن عمى نيافة الكاردينال كاربال وهو أعلم النــاس بها ٠ لعلكم تعرفون الكاردينــال كاربــال وتعلمون من أمر نزاعه المشرف مع الكاردينال رياريو بشــأن اعلان الحــرب على شــارل السابع ملك فرنسا ٠

جينارو : (متثائبا) لقد بدأ جيبو يروى لنا أقاصيصه ٠ أما عن نفسى فلن أصغى اليه ، لا سيما أننى مرهق بما فيه الكفاية ٠

مافيو : هذه الشئون لا تعنيك يا جينــارو ، ولعــل الســبب غاية فى البساطة ، فأنت ضــابط مغــامر باســل ، دعيت باسم وهمى ، ولا تعرف لك أبا أو أما ، لا مراء فى انك ســليل دوحة نبيلة ، فذلك ما يجلوه أسلوبك فى امتشاق الحسام ، وان كان ما ينضح بعراقة أصلك هو بسالتك فى القتال كالليث ٠ أقسم أننا رفاق سلاح ولا أقصد مما أقول اساءة اليك ٠ لقــد أنقذت حيــاتى فى واقعة ريمينى ، وانجيتك بدورى على جسر فيسانس ٠ لقد تعاهدنا

على أن نكون يدا واحدة فى مجابهة المخاطر وفى مجالات اللهو على السواء ، وأن يثأر كل منا لصاحبه اذا لزم الأمر ، فليس لى من عدو غير عـدوك ، وليس لك من عدو غير عـدوى · لقد تنبأ لنا العراف أن كلينا سيموت فى يوم واحد ويلقى نفس الميتة · ولقد نقدناه دنانير عشرة ثمنا لنبوءته · فما نحن بأصـدقاء بل نحن أخـوة · الا انك أولا وأخيرا سعيد باسـمك جينـارو بلا لقب ، لا تنتسب لأحد ، ولا تجر وراءك شيئا من تلك الأرزاء التى كثيرا ما تؤل الى المرء بالوراثة ، وتتصل بالأسماء التاريخية · ما أسعدك يا رفيقى ! لا يعنيك ما يجرى وما جرى ما دمت تجد على الدوام رجالا لا تقاتلهم ونساء تستمتع بهن ، فلا شأن لك يا فتى الأعلام بسير الأسر وتاريخ المدائن ، لأنك عديم الأسرة والوطن · أما عنا فالأمر جد مختلف يا جينارو ، فمن حقنا أن نهتم بأحداث زماننا ، لأن آباءنا وأمهاتنا قد اختلطوا بهذه المآسى ، ولا تزال أسرنا جميعا على وجه التقريب تنزف دما ، حدثنا بما تعلم يا جيبو ·

جينارو : (مستلقيا على مقعده كمن يتأهب للنوم) عليكم بايقاظى حين يفرغ جيبو من حديثه ·

جيبو : اليكم البيان : كان ذلك فى عام ألف وأربعمائة وكذا وتسعين··

جوبيتا : (من أحد أركان المسرح) وسبعة وتسعين ·

جيبو : هذا صحيح · سبعة وتسعين ، وفى ليلة خميس ··

جوبيتا : لا بل فى ليلة أربعاء ··

جيبو : أصبت فيما تقول · فى تلك الليلة رأى أحد ملاحى نهر التيبر ، وكان مستلقيا على قاربه بحذاء الشاطىء فى حراسة بضـاعته ، رأى مشهدا مخيفا ، كان ذلك تحت كنيسة سـانتا هيبر وينمو بقليل ، وكانت الساعة قرابة الخامسة بعد منتصف الليل ، حين رأى الملاح فى جنح الليـل رجلين قادمين من الطـريق الواقع على يسار الكنيسة ، يسيران هنا وهناك على الأقدام فى حيرة وقلق ثم ظهر بعدهما رجلان آخران ، تبعهما ثلاثة آخرين ، فصار مجموعهم سبعة رجال بينهم واحـد فقط يمتطى جوادا · كان الليـل حالك السواد ولم يكن بين نافذات الدور المطلة على التيبر سوى نافذة مضيئة واحدة · دنا الرجال السبعة من الشاطىء ، وأدار الراكب

ردف حصانه تجاه النهر ، وعند ذاك أبصر الملاح فى وضوح على هذا الردف ساقين تتدليان من جانب ورأسا وساعدين تتدلى من الجانب الآخر كانت جثة رجل ، وحمل اثنان من الراجلين الجثمان بينما كان رفاقهما يرقبون مشارف الشوارع ، وأخذا يؤرجحانه بقوة مرتين أو ثلاث مرات ، ثم ألقيا به فى عرض التيبر ، واذ صفعت الجثة وجه الماء وجه الفارس الى الرجلين سؤالا أجابا عليه قائلين : نعم يا مولاى ، وحينذاك اتجه الفارس صوب التيبر ، ورأى شيئا أسود طافيا على صفحة اليم ، فسأل عما يكون هذا الشىء ، فأجابه أحد الرجلين قائلا : هذا يا مولاى معطف الأمير الراحل ، وألقى واحد من الجماعة ببعض الحجارة على المعطف فغاص فى الماء ، وما لبثوا أن انصرفوا سويا حين فرغوا من هذه المهمة ، سالكين الطريق الموصل الى سان جاك · هذا ما شهده الملاح ·

مافيو : لا شك فى أنه حادث غامض · أكان من ذوى المكانة هذا الذى ألقى به هكذا فى اليم ؟ ان صورة هذا الجواد تثير فى نفسى شعورا غريبا · قاتل يعتلى سرج الجواد وقتيل مسجى على ردفه ·

جوبيتا : كان الشقيقان يمتطيان هذا الجواد ·

جيبو : لقد ذكرت ذلك يا سيد دى بلفيرانا ، كانت الجثة جثة جان بورجيا وكان الفارس سيزار بورجيا ·

مافيو : يا لها من أسرة أبالسة ، أسرة بورجيا هذه ! خبرنى يا جيبو ، لم قتل الأخ أخاه على هذا النحو ؟

جيبو : هذا ما لن أبوح لك به ، ان سبب الجريمة من البشاعة بمكان ، مما يجعل مجرد ذكره خطيئة جزاءها الموت ·

جوبيتا : سأذكره لك بلسانى · لقد قتل سيزار كاردينال فالنس أخاه دوق جانديا لأن الشقيقين وقعا فى غرام امرأة واحدة ·

مافيو : ومن تكون هذه المرأة ؟

جو بيتا : (من مؤخرة المسرح دائما) شقيقتهما ·

جيبو : كفى يا سيد بلفيرانا ، لا تنطق أمامنا باسم تلك المرأة الضارية ، فما من أسرة من أسرنا الا وأثخنتها هذه المرأة بجرح عميق ·

مافيو : ألم يكن هناك أيضا ثمة طفل اختلط بهذا كله ؟

جيبو : أجل ·· طفل لا أود أن أذكر سوى اسم أبيه : جان بورجيا ·

مافيو : لعل هذا الطفل قد صار اليوم رجلا ؟

أولوفرتو : لقد اختفى ·

جيبو : ترى هل سيزار هو الذى أفلح فى سرقة الطفل من أمه أم الأم هى التى أفلحت فى سرقته من سيزار بورجيـا ، ذلك ما لم يعلمه أحد ·

دون أبوستولو : ان كانت الأم هى التى أخفت ولدها فقـد أحسنت صنعا، فمنذ أصبح سيزار بورجيا كاردينال فالنس دوقا لفالنتينوا قتل كما تعلمون ـ فضلا عن أخيه جان ـ ابنى أخيه أولاد جيفرى بورجيا أمير سكيلاتش ، وابن عمه الكاردينال فرانسوا بورجيا ، لقد جن الرجل بقتل ذوى قرباه ·

جيبو : يالله ! لعله يود أن يكون وحده الحى الباقى من آل بورجيا حتى تؤول اليه جميع أملاك البابا ·

اسكانيو : وهذه الشقيقة التى تأبى أن تذكر اسمها يا جيبو ، أما مضت فى تلك الآونة ذاتها فى ركب خفى الى دير سان سيكت ، لتحتبس فيه دون أن يدرى أحد لذلك سببا ؟

جيبو : أعتقد أن الصدق فيما تقول · وكان ذلك كيما تنفصل عن السيد جان سفورزا زوجها الثانى ·

مافيو : وما اسم هذا الملاح الذى شهد هذه الواقعة برمتها ؟

جيبو : لا أعرف ·

جوبيتا : انه يدعى جورجيو شيافون · وكان يعمل فى نقل الخشب عبر نهر التيبر الى مدينة ريبيتا ·

مافيو : (محدثا اسكانيو بصوت هامس) هاك اسبانى يعلم عن سيرنا أكثر مما نعلم نحن معشر الرومان ·

اسكانيو : (هامسـا) اننى مثلك فى ريبـة من أمر هـذا السيد دى بلفيرانا · وحرى بنا أن نوغل فى بحث هذه الموضوعات · فقـد تنطوى بين ثناياها أمور خطيرة ·

جبيو : آه يا سادتى ! ترى فى أى زمان نعيش ؟ خبرونى عن ثمة مخلوق يستطيع أن يؤمن حياته لبضعة أيام فى ايطاليا المنكودة ، مع ما يجتاحها من أوبئة وحروب وشرور يقارفها آل بورجيا ؟

دون ابوستولو : وبهذه المناسبة ، أرى لزاما علينا أيها النبلاء أن ننخرط بكامل هيئتنا فى البعثة التى أوفدتها جمهورية فينيسيا لتهنئة دوق فرار على استرداد ريمينى من آل مالاتيستا · متى رحيلنا الى فرار ؟

أولوفرنو : بعد غد ولا ريب · لعلكم تعلمون أن المبعوثين قد عينا ، وهما بتوبولو من مجلس الأعيان وجريمانى أمير الأسطول ·

دون أبوستولو : أيرافقهما الضابط جينارو ؟

مافيو : ما فى ذلك شك ، جينارو وأنا ، فنحن لا نفترق أبدا ·

اسكانيو : لى ملاحظة هامة أسوقها اليكم ـ أيها السادة ـ لقد استأثر القوم دوننا بالنبيذ الاسبانى ·

مافيو : لنعد الى القصر · هيا بنا يا جينارو · (مخاطبا جيبو) لقد نام فعلا خلال روايتك يا جيبو ·

(ينصرف الجميع ما خلا جوبيتا)

المشهد الثانى

جوبيتا ثم دونا لوكريزيا ـ جينارو (نائما)

جوبيتا : (محدثا نفسه) نعم ، اننى أعلم منهم ببواطن الأمور ، وهم بهذا يهمسون · اننى أعلم منهم ببواطن الأمور ، ولكن دونا لوكريزيا تعلم من هذه الأمور أكثر مما أعلم، والسيد دى فالنتينوا يعلم أكثر مما تعلم دونا لوكريزيا ، والبابا اسكندر الثالث يعلم أكثر مما يعلمه الشيطان · (متطلعا الى جينارو) هكذا يستسلم لسلطان الكرى هؤلاء الشبان ·

(تدخل دونا لوكريزيا وعلى وجهها قناع · تلمح جينارو نائما ، فتمضى تتأمله فى غبطة وجلال) ·

دونا لوكريزيا : (محدثة نفسها) انه نائم ، لابد أن الحفل قد أتعبه ، ليت شعرى ما أجمله ! (ملتفتة) جوبيتا ·

جوبيتا : اخفتى صوتك يا سيدتى · اننى لا أدعى ها هنا جوبيتا بل الكونت دى بلفيرانا ، نبيل قسطلانى · أما أنت فالمركيزة دى بونتيكوادراتو ، نبيلة نابوليه ، ينبغى ألا يبدو على أحدنا أنه يعرف الآخر ، أو ليست هذه أوامر سموك ؟ انك لست ها هنا فى بلدك ، بل أنت فى فينيسيا ·

دونا لوكريزيا : الحق ما تقول يا جوبيتا · ولكن الشرفة خالية الا من هذا الشاب النائم ، ومن ثم نستطيع الحديث لبرهة ·

جوبيتا : كما يروق لسموك · وان كنت أنصحك ألا تخلعى قناعك أبدا · فقد يتعرف القوم عليك ·

دونا لوكريزيا : وماذا يضيرنى ؟ لئن جهلوا حقيقة أمرى فما من شىء أخافه ، وان عرفوا الحقيقة فأحرى بهم أن يخافونى ·

جوبيتا : نحن فى فينيسيا يا سيدتى · ان أعداءك ها هنا كثيرون ، وهم أعداء طلقاء · لا مراء فى أن جمهورية فينيسيا لن تسمح لامرىء بأن يتطاول على شخص سموك ، ولكن قد ينالك ثمة اساءة ·

دونا لوكريزيا : أراك على صواب ، وان اسمى ليثير الهول حقا ·

جيوبيتا : ان من معنا هنا ليسوا من مواطنى فينيسيا فحسب ، بل هم خليط من أهل روما ونابولى ولومبارديا ، انهم ايطاليون من سائر أرجاء ايطاليا ·

دونا لوكريزيا : وايطاليا بأسرها تمقتنى · الحق ما تقول ، ومع كل فلابد أن يتبدل الحال غير الحال ، فما خلقت للشر والأذى ، ذلك ما أشعر به الآن أكثر من أى وقت مضى · لقد جرفنى التيار اسوة بأهلى وعشيرتى · جوبيتا !

جوبيتا : لبيك يا سيدتى ·

دونا لوكريزيا : أبعث على الفور الى حكومتنا فى سبوليت بما سنأمرك به ·

جوبيتا : مرى يا مولاتى ، فان لدى على الدوام بغــال أربعــة مسرجة ، وأربعة من العدائين رهن اشارة السفر ٠

دونا لوكريزيا : ماذا فعلوا بجالياس أكابولى ؟

جوبيتا : انه مازال خلف القضبان ينتظر أمر سموك بدق عنقه ٠

دونا لوكريزيا : وجفرى بوند لمونت ؟

جوبيتا : فى سجنه لم تقض بعد باعدامه ٠

دونا لوكريزيا : وما نفريد دى كيرزولا ؟

جوبيتا : لم يعدم بعد هو أيضا ٠

دونا لوكريزيا : سباداكابا ؟

جوبيتا : تنفيذا لما أمرت ينبغى أن يجرع السم على مذبح انقرابين يوم عيد الفصح ٠ وسوف يحل هذا اليوم بعد ستة أسابيع ٠ سيدتى، اننا فى حفل تنكرى !

دونا لوكريزيا : وبيرا كابوا ؟

جوبيتا : انه مازال حتى الساعة أسقف ليزارو ونائب حاكمها ٠ بيد أنه سيغدو حفنة من تراب قبل انقضاء الشهر ، فان البابا أبانا المقدس قد أمر بالقاء القبض عليه بناء على شــكواك ، وهــو يحتجزه بين سراديب الفاتيكان تحت حراسة مشددة ٠

دونا لوكريزيا : جوبيتا ! اكتب من فورك الى الأب المقــدس واخطــره بالتماس العفو عن بيير كابرا ، ثم آمــرك باطلاق سراح أكابــولى ومانفريد دى كيرزولا ، واخلاء سبيل بوندلمونت وسبادا كابا ٠

جوبيتا : على رسلك يا سيدتى ! دعينى ألتقط أنفاسى ، ما هذه الأوامر التى تلقينها على ؟ رباه ! أرى السماء تمطر مغفرة وتبرد مرحمة ، اننى غريق فى خضم الرحمة ، ولن أفلت من هذا الطوفان المخيف من الأعمال الصالحة ٠

دونا لوكريزيا : صالحة أم طالحة ، ماذا يضيرك أنت طالما أنقدك عليــه أجرا ؟

جوبيتا : ان العمل الصالح لأشق أداء من العمل الطالح ٠ وا أســفاه ! يا لشقوتك يا جوبيتا ! أما وقد دخـــل الآن فى روعك انك قد غدوت رحيمة ، ترى ماذا سيكون من أمرى أنا ؟

دونا لوكريزيا : اصغ الى يا جوبيتا ! انك أقدم أمنائى وأخلصهم ٠٠

جوبيتا : لقد حظيت فى الواقع بشرف معاونتك خلال خمسة عشر عاما٠

دونا لوكريزيا : حسنا ، خبرنى يا جوبيتا ، خبرنى يا صديقى وشريكى القديم ! أما بدأت تحس بحاجة الى تغيير أسلوب حياتك ؟ ألست متعطشا الى عناية الله تدركنا ــ أنا وأنت ــ بقدر ما حلت بنا لعنته ؟ أما كفاك جرما ؟

جوبيتا : أرى انك قد غدوت أتقى أميرة فى الوجود !

دونا لوكريزيا : أما بدأ يثقل كاهلك صيتنا المشترك ، صيتنا الفاضح ، صيتنا فى سفك الدماء ودس السم للناس ؟

جوبيتا : مطلقا ٠ واننى كثيرا ما أسمع الدهماء فى تجوالى بين شوارع سبوليت وهم ينشدون حولى : هو ذا جوبيتا ، جوبيتا السم ، جوبيتا الخنجر ، جوبيتا المقصلة ! ذلك لأنهم أضفوا على اسمى اكليلا وضاء من الألقاب ، انهم يرددون هذا كله ، وحين لا تردده الأفواه تردده الأعين ٠ ولكن ماذا يضيرنى مما يرددون ؟ لقد اعتدت صيتى المقيت كما اعتاد جند البابا خدمة القداس ٠

دونا لوكريزيا : ولكن ، ألا تشعر بأن جميع الصفات المرذولة التى رميت بها ، وأرمى بها أنا أيضا ، قد توقظ البغض والزراية فى قلب انسان تصبو الى محبته ؟ أما أحببت فى الورى أحدا ؟

جوبيتا : اننى مشوق يا سيدتى الى معرفة من تحبين ٠

دونا لوكريزيا : وماذا تعرف عن الحب؟ اننى صريحة معك ، فلن أحدثك عن أبى أو أخى أو زوجى أو عشاقى ٠

جوبيتا : ولكنى لا أرى غير هؤلاء من يرتجى محبته ٠

دونا لوكريزيا : بل هناك شىء آخر يا جوبيتا ٠

جوبيتا : آه فهمت ! لعلك تتشبثين بالفضيلة والتقى خالصا لوجه الله !

دونا لوكريزيا : ولم لا ، يا جوبيتا ، وقد حل اليوم فى ايطاليا ، فى ايطاليا الباغية المنكودة ، ثمة قلب صاف نبيل ، قلب زاخر بالرجوله الفاضلة ، قلب ملاك تحت درع جندى! لم لا ، ولم يبق لى ــ أنا المرأة الشقية الممقوته ، المحقرة ، البغيضة ، الملعونة من الخلق الخالق ؛ أنا الانسانة البائسة رغم سطوتى واقتدارى ، لم يبق لى فى وقفة المحنة التى تحتضر فيها نفسى بين مرارة الألم غير فكرة

واحدة ، وأمنية واحدة ، ووسيلة واحدة ، هى أن أستحق وأحظى قبل أن تحين منيتى ببعض المكانة ـ يا جوبيتا ـ وبشىء من عطف هذا القلب الأبى الطاهر وتقديره ! فما عاد يلح على من الفكر غير مطمعى فى أن أشعر ذات يوم بهذا القلب مستجيبا لقلبى فى نشوة وانطلاق . أفهمت اذن يا جوبيتا ، لم أتوق الى التكفير عن ماضى ، وأطهر سمعتى وأمحو الوصمات التى أحملها أينما حللت ؟ وأستبدل بالصورة المشينة الدامية التى تقرنها ايطاليا باسمى صورة أخرى قوامها المجد والتوبة والفضيلة ؟

جوبيتا : يالله ! الى أى حبر من الأحبار سعيت اليوم يا سيدتى ؟

دونا لوكريزيا : دع السخرية جانبا يا جوبيتا . لقد راودتنى هذه الخواطر منذ أمد بعيد وما صارحتك بها ، فحين يجرف المرء تيار الجريمة لا يستطيع التوقف حين يشاء ، ان الملكين يصطرعان فى أعماقى ـ ملك الخير وملك الشر ـ وانى أرى الغلبة فى نهاية المطاف لملك الخير .

جوبيتا : اذن « نمجدك يا رب ، تعظم نفسى الرب » ! أرأيت يا سيدتى أننى لم أعد أفهمك ، وأنك غدوت منذ حين فى عينى طلسما ؟ فمنذ شهر وسموك تعلنين انك راحلة الى سبوليت ، وانك قد استأذنت فى السفر زوجك مولاى دون ألفونس ديست ، وهو الذى بلغت به السذاجة أن يهيم بك كما يهيم الحمام بأليفته ويغار عليك كما يغار النمر الكاسر . وهكذا غادرت يا مولاتى فرار ، وقدمت سرا الى فينيسيا بلا حاشية تقريبا ، فانتحلت اسما زائفا نابوليا وانتحلت بدورى اسما اسبانيا ، حتى اذا ما حللت فى فينيسا افترقت عنى وأمرتنى أن أتجاهلك ، ثم أخذت تنطلقين الى محافل الموسيقى واللهو ، واغتنمت فرصة أعياد الكرنفال لتجولى فى كافة الأرجاء محجبة عن الخلق متنكرة ، تحدثيننى بقدر بين الأبواب المغلقة ، ثم تسفر هذه المهزلة أخيرا عن عهد تقطعينه على ! أو ليس هذا أمرا عجيبا ومثيرا ؟ لقد مسخت اسمك وزيك ، وها أنا ذا أراك تمسخين روحك . أقسم بشرفى انك تجاوزت حدود المهزلة ، واننى فى حيرة من أمرى ، ترى ما الذى حدا بسموك الى سلوك هذا المسلك ؟

دونا لوكريزيا : (تمسك بذراع جوبيتا بعنف وتجره قريبا من جينارو النائم) أرأيت هذا الشاب ؟

جوبيتا : ما هو بغريب عنى ، فأنا أعلم حق العلم انك تلاحقينه مستترة خلف قناعك منذ حللت فى فينيسيا ٠

دونا لوكريزيا : وماذا ترى فيه ؟

جوبيتا : أرى فيه شابا نائما وهو جالس على مقعد ، وربما نام وهو واقف لو أنه كان ثالثنا فى هذه المساجلة الأخلاقيــة المثالية التى دارت بينى وبين سموك ٠

دونا لوكريزيا : ألا تراه رائع الحسن ؟

جوبيتا : ربما بدا أكثر حسنا لو لم تكن عيناه مغمضتين ٠ ان وجهـا بلا عينين كقصر بلا نوافذ ٠

دونا لوكريزيا : آه لو تدرى مبلغ حبى له !

جوبيتا : هذا من شـــأن زوجـك دون الفونس ٠ وان كان من واجبى يا ســيدتى اخبارك بألا جدوى من محاولاتك ، فهذا الشاب ــ كما قيل لى ــ يهيم بفتاة جميلة تدعى فياميتا ٠

دونا لوكريزيا : وهل تبادله الفتاة حبا بحب ؟

جوبيتا : هكذا يزعمون ٠

دونا لوكريزيا : حسنا ، غاية المنى أن أعلم بأنه قرير العين سعيد !

جوبيتا : وهذا أسلوب غريب قلما كان من أســاليبك ٠ كنت أحسبك غيورة ٠٠

دونا لوكريزيا : (متأملة جينارو) ما أنبل محياه !

جوبيتا : أرى أنه يشبه شخصا ما ٠٠٠

دونا لوكريزيا : (محتدة) لا تحدثنى عمن ترى أنه يشبهه ودعنى لحالى (ينصرف جوبيتا ، وتظل دونا لوكريزيا بضع لحظات تتطلع فى نشوة حالمة الى جينارو ، فلا تفطن الى قدوم رجلين مقنعين دلفا من مؤخرة المسرح وأخذا يسترقان النظر اليها) ٠

دونا لوكريزيا : (ظانة أنها وحدها) انه هو اذن ! لقد قدر لى أخيرا أن أراه لحظة بلا ثمة خطر ! كلا ، ما تخيلته أجمل من هذه الصورة ! رب جنبنى أسى محنة أصادفها من جراء شعوره ذات يوم بمقتى وازدرائى ، وأنت تعلم بأنه حبى الوحيد تحت ســمائك ، اننى لا اجترىء على خلع قناعى ، ولكن لا بد لى أن اكفكف دمعى (تخلع

قناعها لتجفف دمعة · يتحدث الرجلان المقنعان بصوت خفيض بينما تتهادى دونا لوكريزيا وهى تتأمل جينارو ! ·

المقنع الأول : حسبى هذا · وفى وسعى الآن العودة الى فرار ، فما قدمت الى فينيسيا الا لأتأكد من خيانتهـا ، ولقد رأيت ما فيه الكفاية ، ولا ينبغى أن يطول غيابى عن فرار ـ هذا الشاب عشيقها · ماذا يدعى يا روستيجللو ؟

المقنع الثانى : انه يدعى جينارو ! وهو ضـابط مغامر باسل ، عديم الأبوين ، ولا يعرف له أصل وهو يعمل حاليا فى خدمة جمهورية فينيسيا ·

المقنع الأول : زين له القدوم الى فرار :

المقنع الثانى : هذا ما سيكون تلقائيا يا مولاى ، فبعد غد سيأتى الى فرار مع لفيف من رفاقـه الذين يشـكلون سـفارة المبعوثين تيوبولد وجريمانى ·

المقنع الأول : حسنا ، لقد تبينت صحة ما ورد الى من تقارير ، وأؤكد لك أننى رأيت بعينى ما فيـه الكفاية ، والآن فى اسـتطاعتنا العودة (ينصرفان) ·

دونا لوكريزيا : (معقودة الساعدين ، وكأنها جاثية أمام جينارو) اللهم هيىء له من السعادة بقدر ما هيئات لى من شقاء !

(تطبع على جبين جينارو قبلة فيهب من سباته مذعورا) ·

(قابضا بيديه على لوكريزيا الواجفة) قبلة وامرأة ، قسما بشرفى يا سيدتى لو كنت ملكه ، وكنت بدورى شاعرا ، لصال وجال فى هذا المجال شاعر فرنسا آلان شارتييه ، لكنتى لا أعلم من أنت ، أما أنا فلست سوى جندى بسيط ·

دونا لوكريزيا : دعنى يا سيد جينارو !

جينارو : محال يا سيدتى ·

دونا لوكريزيا : أرى قادما ·

(تتوارى وفى اثرها جينارو)

المشــهد الثالث

جيبو ثم مافيو

جيبو : (دالفا من الجهة المقابلة) ما هذا الوجه ؟ انها هى بعينها ! عجبا ! أهذه المرأة هنا فى فينيسيا يا مافيو ؟

مافيو : (دالفا) ماذا ؟

جيبو : دعنى أحدثك عن لقاء غريب ٠

(يهمس فى أذن مافيو)

مافيو : أواثق أنت مما تقول ؟

جيبو : وثوقى من أننا هنا فى قصر بارباريجو ولسنا فى قصر لابيا ٠

مافيو : أكانت تبث جينارو هواها ؟

جيبو : نعم ٠

مافيو : لا بد أن أخلص أخى من نسيج العنكبوت ٠

جيبو : هيا نبلغ رفاقنا ٠

(ينصرف الرجلان ، ويظـل المسرح خاليا بضع لحظات ، فلا يرى الرائى فى مؤخرته سوى عدد من قوارب الجندول ، تتهادى بين الفينه والفينة على أنغام الموسيقى ، ثم يدخل جينارو ودونا لوكريزيا وعلى وجه كل منهما قناع) ٠

المشــهد الرابع

جينارو ـ دونا لوكريزيا

دونا لوكريزيا : هذه الشرفة مظلمة موحشه ، ومن ثم اســتطيع خلع قناعى ٠ أود أن ترى وجهى يا جينارو (تخلع قناعها) ٠

جينارو : ما أجملك !

دونا لوكريزيا : أمعن النظر يا جينارو ، وخبرنى ان كنت أثير امتعاضك ٠

جينارو : تثيرين امتعاضى ؟ ان الأمر على النقيض يا سيدتى ، فاننى أشعر في قرارة نفسى بما يجذبنى اليك .

دونا لوكريزيا : ترى فى وسعك أن تحبنى ؟

جينارو : ولم لا ؟ وان كنت أصارحك يا سيدتى بأن هناك ثمة امرأة سيفوق حبى لها على الدوام حبى لك .

دونا لوكريزيا : (باسمة) أعرف ذلك . انها الصغيرة فيامتيا .

جينارو : كلا .

دونا لوكريزيا : من تراها اذن ؟

جينارو : أمى !

دونا لوكريزيا : أمك . أمك . أى عزيزى جينارو . أراك شغوفا بأمك . أليس كذلك ؟ .

جينارو : وان كنت لم أرها قط . لعل ذلك يبدو لك أمرا غريبا فى بابه . أليس كذلك ؟ عجبا ، لا أدرى لم أميل الى مصارحتك بذات نفسى ؟ سأفضى اليك بسر لم أفض به الى أحد من قبل ، حتى الى مافيو أورسينى رفيقى فى السلاح . عجيب أن يأنس المرء الى الغير من أول لقاء ، وان خيل الى أننى لا ألقاك لأول مرة . اننى ضابط لا يعرف له أهل أو عشيرة ، ترعرعت فى كنف صياد من كالابر . كنت أعتقد أننى ابنه ، ويوم بلغت السادسة عشرة من عمرى أنبأنى الصياد بأنه ليس أبى ، وبعد حين جاءنى سيد قلدنى شارة الفرسان ، وقفل راجعا دون أن يرفع حافة خوذته . ثم وفد الى بعد ذلك رجل يتشح بالسواد يحمل الى رسالة . فضضت الرسالة ، فاذا هى كتاب من أمى ، أمى التى لا أعرفها ، أمى التى أتمثلها فى خاطرى انسانة كريمة حانية وديعة جميلة مثلك ، أمى التى بلغ حبى لها مبلغ العبادة ! لقد علمت من هذه الرسالة التى خلت من التوقيع أننى سليل بيت عريق ، وأن أمى انسانة عاثرة الحظ شقية . لهف عليك يا أماه !

دونا لوكريزيا : ما أطيب قلبك يا جينارو !

جينارو : ومنذ ذاك الحين جعلت من نفسى محاربا مغامرا ، فلما كنت عظيم الجاه بحسبى فقد أردت أن أكون كذلك بسيفى أيضا ، وطفقت أجوب ايطاليا طولا وعرضا ، وفى غرة كل شهر ، وأينما كنت ، يفد الى ذلك الرسول ذاته ، فيناولنى رسالة من أمى ويتلقى ردى

عليها ، ثم ينصرف دون أن يفوه بكلمة ، ودون أن أحدثه بكلمة ، لأنه أصم أبكم .

دونا لوكريزيا : وهكذا لا تعلم عن آلك شيئا ؟

جينارو : أعلم أن لى أما وأنها عاثرة الحظ شقية ، وانني لأنزل عن حياتي في هذه الدنيا لأراها باكية ، ثم عن حياتي في الآخرة لأراها باسمة ، وهذا كل ما أعلم .

دونا لوكريزيا : وماذا تصنع برسائلها ؟

جينارو : انني أحتفظ بها جميعا هنا ، على قلبي . اننا معشر المحاربين كثيرا ما تتعرض صدورنا لطعن السيوف ، ورسائل الأم لنا خير درع .

دونا لوكريزيا : ما اكرم نفسك ؟

جينارو : أتودين رؤية خطها ؟ اليك رسالة من رسائلها .

(يخرج من صديرتيه ورقة يقبلها ثم يناولها لدونا لوكريزيا)

اقرئي هذا .

دونا لوكريزيا : (قارئة) لا تحاول التعرف على يا عزيزى جينارو قبل أن يحين الحين . انني امرأة جديرة بالعطف والرثاء ، عليك أن تتنكب طريقي ، فأنا محاطة بأقارب قد خلت أفئدتهم من الرحمة ، قد يقتلوك كما قتلوا أباك من قبل . أما عن سر مولدك يابني فانني أود أن أستأثر به دونك ، فلو أنك عرفته لألفيته أليما وخطيرا في آن واحد ، مما يجعلك لا تستطيع السكوت عليه . ان الشباب سرعان ما يثق بالغير ، وانك لا تدرك المخاطر التي تحيط بك كما أدركتها . ومن يدرى ؟ فقد تصر على مجابهة تلك المخاطر بدافع من اقدام الشـباب ، وقد ينفلت لســانك أو تنساق للحدس والتخمين ، فلا تعيش بعد ذلك أكثر من يومين . كلا ، لن أبوح لك بهذا السر ، وحسبك أن تعلم أن لك أما تعبدك وتسهر الليـل وتقوم النهار على حياتك . أى جينارو الحبيب ، أى بني ، انك كل من أحببت في هذا الوجود ، وان قلبي لينفطر أسى حين أفكر فيك ..

(تتوقف لحظة عن القراءة كي تخفي دمعها)

جينارو : ما أرق نبراتك وأنت تتلين الرسالة ! حتى ليخيل الى سامعك أنك لا تقرئين وانما تتحدثين أواه ، أراك تبكين ؟ انك يا سيدتي طيبة القلب رحيمة ، واني أحبك لأنك تبكين تأثرا بما كتبته أمي .

(يسترد الرسالة ويقبلها مرة أخرى ثم يعيدها الى صدره) نعم ، أرأيت يا سيدتى ؟ لقد أحاطت الجرائم العديدة بمهدى · لهفى عليك يا أماه ! لعلك تدركين الآن يا سيدتى لم لا تجتذبنى مجالات اللهو والهوى كثيرا ، فكل همى هو أمى ·

ما أسعدنى لو استطعت خلاص أمى ، والقيام على خدمتها والثأر لها ومواساتها ! اما عن الغرام فموعدى معه فيما بعد · لقد جعلت نصب عينى فى كافة أفعالى أن أكون جديرا بأمى · انى أرى كثيرا من المحاربين فقراء الى النخوة والضـــمير ، يتقاتلون فى سبيل الشيطان بعد أن قاتلوا فى سبيل القديسين ! أما عن نفسى فاننى لا أدافع الا عن قضايا الحق ، وأود لو أستطيع أن أضع ذات يوم تحت قدمى أمى سيفا مخلصا خالصا كسيف الأباطرة · أو تدرين يا سيدتى ، لقد عرض على منصب كبير فى بلاط الفاجرة لوكريس بورجيا ، لكننى رفضت ·

دونا لوكريزيا : أى جينارو ! كن رحيما بالأشرار ، فأنت لا تعلم خبيئة نفوسهم ·

جينارو : لا رحمة عندى لمن خلا قلبه من الرحمة · ولكن دعينا من هذا يا سيدتى · أما وقد ذكرت لك الآن من أكون ، فخبرينى بدورك من تكونين ؟

دونا لوكريزيا : امرأة تحبك يا جينارو ·

جينارو : ولكن ما اسمك ؟

دونا لوكريزيا : لا تسألنى مزيدا على ما ذكرت لك ·

(على ضوء المشاعل يدخل مافيو وجيبو فى صخب ، فتسارع لوكريزيا بارتداء قناعها)

المشـــهد الخامس

الأشخاص أنفسهم ـ مافيو أورسينى ـ جيبو ليفريتــو ـ اســـكانيو بتروتشى ـ اولوفرنـو فيتيللوزو ـ دون أيوستولوجازيللا ـ لفيف من النبلاء والسيدات ـ حجاب يحملون المشاعل ·

مافيو : (حاملا مشعلا) جينارو ، أتريد أن تعرف من تطارحها الهوى ؟

دونا لوكريزيا : (محدثه نفسها من خلف القناع) يا لعدالة السماء !

جينارو : أنتم جميعا رفاقى · ولكنى أقسم أن من يمس قناع هذه المرأة لهو غلام أخرق ، ان قناع المرأة مقدس كوجه الرجل ·

مافيو : ينبغى قبل كل شىء أن تكون المرأة امرأة بمعنى الكلمة · جينارو ، اننا لا نقصد الى اهانة هذه المرأة ، وانما نريد فقط أن نذكر لها أسماءنا ·

(يخطو خطوة نحو لوكريزيا) سيدتى ، أنا مافيو أورسينى شقيق دون جرافينا وهو من قتله زبانيتك ليلا بينما كان يغط فى سباته·

جيبو : أنا جيبو ليفيريتو ، ابن اخ ليفيريتو بتروتشلى ، وهو من أجهزت عليه بطعنة خنجر فى أقبيه الفاتيكان ·

اسكانيو : سيدتى ، أنا اسكانيو بتروتشى ، ابن عم باندولفو بتروتشى شريف سيين ، هذا الذى قتلته حتى يتيسر لك احتلال مدينته ·

أولوفرنو : سيدتى ، أنا من يدعى الوفرنو فيتيللوزو ، ابن أخ جودابيانى، من أسقيته السم فى احدى الولائم بعد ما سلبتيه بالغدر والخيانة قلعة الامارة المنيفة فى بومبيتو ·

دون أبو ستولو : سيدتى ، لقد قضيت باعدام دون فرانسسكو عم دون ألفونس داراجون ثالث أزواجك ، وهو الذى أمرت بقتله بضربة رمح على قمـــة الدرج فى كنيســـة القديس بطرس أنــا دون أبو ستولوجازيللا ابن الأول وابن عم الثانى ·

دونا لوكريزيا : رباه !

جينارو : من تكون هذه المرأة ؟

مافيو : أما وقد ذكرنا لك يا سيدتى أسماءنا ، أتودين أن نفصح عن اسمك ؟

دونا لوكريزيا : لا ، لا · ناشدتكم الرحمة يا ســادة ، لا تذكروا اسمى أمامه ·

مافيو : (جاذبا قناعها) اخلعى قناعك يا سيدتى لنرى ان كان وجهك لا تزال فيه حمرة الخجل !

دون ابوستولو : جينارو ، ان هذه المرأة التى تطارحها الهوى لهى امرأة باغية فاجرة ·

جيبو : قارفت الزنا مع الأقربين جميعا · فزنت مع أخويها اللذين تقاتلا على حبها !

دونا لوكريزيا : المغفرة !

اسكانيو : وزنت مع أبيهما البابا !

دونا لوكريزيا : الرحمة !

أولوفرنو : وانها لتزنى مع أولادها ان كان لها ولد · ولكن السماء تضن على الوحوش بالانجاب ·

دونا لوكريزنا : كفى ، كفى !

مافيو : أتود أن تعرف من هى يا جينارو ؟

دونا لوكريزيا : الرحمة ، الرحمة ، يا سادتى !

مافيو : جينارو ، أتود أن تعرف من هذه المرأة ؟

دونا لوكريزيا : (زاحفه على الأرض الى ركبتى جينارو) لا تسمح لهم يا عزيزى جينارو !

مافيو : (باسطا ذراعه) انها لوكريس بورجيا !

جينارو : (وهو يدفعها بيده) تبا لك !

(تخر لوكريس بورجيا مغشيا عليها تحت قدميه)

القسم الثانى

ساحة مدينة فرار ـ على اليمين قصر لـــه شرفة محلاة بالشباك ذات باب صغير ، فى أسفل الشرفة ترس حجرى كبير يحمل شعارا نقشت تحته بأحرف كبيرة بارزة من النحـاس كلمة « بورجيا » . وعلى اليسار بيت صغير يطل بابه على الساحة ، وفى المؤخـــرة دور وابراج .

المشـــهد الأول

دونا لوكريزيا ـ جوبيتا

دونا لوكريزيا : أأعددت كل ما يلزم لهذا المساء يا جوبيتا ؟

جوبيتا : نعم يا سيدتى .

دونا لوكريزيا : وهل سيأتى الخمسة جميعا

جوبيتا : الخمسة جميعا يا سيدتى .

دونا لوكريزيا : لقد أساءوا الى بضراوة يا جوبيتا !

جوبيتا : واأسفاه ! لم أكن وقتئذ حاضرا .

دونا لوكريزيا : كانوا بلا رحمة !

جوبيتا : أجهروا لك باسمك هكذا بصوت عال ؟

دونا لوكريزيا : انهم لم يجهروا باسمى يا جوبيتا ، بل بصقوا فى وجهى .

جوبيتا : فى وسط الحفل ؟

دونا لوكريزيا : وأمام جينارو ٠

جوبيتا : أرى فى مغادرتهم فينيسيا وقدومهم الى فرار حماقة وغرورا ٠ وان لم يكن لهم فى الحقيقة بد من ذلك ، فقد اختارهم مجلس الأعيان ضمن الوفد الذى قدم فى الأسبوع الماضى ٠

دونا لوكريزيا : واحسرتاه ! لقد غدا الآن يمقتنى ويزدرينى ٠ وعليهم يقع هذا الوزر ٠ سأنتقم منهم يا جوبيتا ٠

جوبيتا : حبذا هذا القول السديد ٠ لعلك برئت ـ ولله الحمد ـ من نزوة الرحمة ٠ اننى أشعر بمزيد من الارتياح نحو سموك حين تكونين على سجيتك شأنك الآن ، فعندئذ ألتقى فى القليل بنفسى ٠ أرأيت يا سيدتى الى أن البحيرة هى نقيض الجزيرة ، وأن البرج نقيض البئر ، والقناة نقيض الجسر ، ويشرفنى أن أكون نقيض الانسان الفاضل ٠

دونا لوكريزيا : ان جينارو معهم ، فحذار أن يصيبه ثمة مكروه !

جوبيتا : لو أصبحت امرأة فاضلة ، وأصبحت بدورى رجلا فاضلا ، لكان فى ذلك منتهى الوحشية ٠

دونا لوكريزيا : حذار أن يصيب جينارو أى مكروه ! هذا ما آمرك به ٠

جوبيتا : اطمئنى ٠

دونا لوكزيزيا : على أننى مشوقه الى رؤيته مرة أخرى ٠

جوبيتا : سبحان الله ! انك ترينه كل يوم يا صاحبة السمو ٠ لقد أغريت الحاجب كيما يقنع سيده بالاقامة فى هذا البيت قبالة شرفتك ، ومن خلال قضبان الشرفه تحظين كل يوم بشرف لا مثيل له ، شرف رؤية السيد المذكور فى غدوه ورواحه ٠

دونا لوكريزيا : أقول لك يا جوبيتا أننى أتوق الى الحديث معه ٠

جوبيتا : ما من شىء أيسر من هذا الأمر ، ابعثى اليه بتابعك استولفو فيخبره بأن سموك فى انتظاره اليوم بالقصر ، فى الساعة كذا ٠٠

دونا لوكريزيا : هذا ما سيكون يا جوبيتا ، ولكن أتراه يحضر ؟

جوبيتا : عودى يا سيدتى ٠ أظنه سيمر عما قليل من هنا بصحبة الاغرار الذين تحدثنا عنهم ٠

دونا لوكريزيا : أيحسبونك دائما الكونت بلفيرانا ؟

جوبيتا : انهم يحسبوننى اسبانيا من قمة رأسى الى أخمص قدمى · اننى من صفوة أصدقائهم واقترض منهم نقودا ·

دونا لوكريزيا : نقودا ! ولماذا ·

جوبيتا : يا لله ! للحصول عليها · فما من شىء يبرز الطابع الاسبانى فى المرء أكثر من ظهوره بمظهر المتسول ، وأن يجذب الشيطان من ذنبه ·

دونا لوكريزيا : (محدثة نفسها) جنب اللهم جينارو الحبيب كل مكروه !

جوبيتا : وبهذه المناسبة يا سيدتى ، قفزت الى خاطرى فكرة ·

دونا لوكريزيا : وما هى ؟

جوبيتا : أرى من اللازم أن يلحم ذنب الشيطان ويحكم ربط فقراته ، حتى يحتمل الجموع الغفيرة التى لا تكف عن جذبه ·

دونا لوكريزيا : انك تلتمس فى كل الظروف مجالا للسخرية والدعابة·

جوبيتا : هذا أسلوب كغيره من الأساليب ·

دونا لوكريزيا : أعتقد أنهم وصلوا · فكر فى كل شىء ·

(تعود الى القصر من باب صغير تحت الشرفة) ·

المشــهد الثانى

جوبيتا (يحدث نفسه)

ترى من يكون جينارو هذا ؟ وماذا تبغى منه بحق الشيطان ؟ اننى لا أقف على كافة أسرار هذه السيدة ، وهذا أمر جد طبيعى · غير أن هذا السر بالذات يثير فضولى · أقسم أنها لا تثق بى هذه المرة ، ولذا ينبغى ألا يدور بخلدها أننى مفيدها فى هذا المجال ، ولها أن تفيد من تآمرها مع جينارو كما تشاء · ولكن ما أغربه من أسلوب امرأة فى عشق رجل ، وبخاصة اذا كانت العاشقة هى ابنة رودريجو بورجيا ، من جرت فى عروقها دماء الغوانى ودماء البابا ! سبحان الله ! لقد غدت سيدتى لوكريس أفلاطونية فى حبها ، ولن أستغرب

بعد اليوم شيئا ، ولو جاء من ينبئنى بأن البابا اسكندر السادس قد آمن بالله !

(يطل على الشارع المجاور) ها هم أولاء شباب كرنفال فينيسيا المجانين ، ما أروع تلك الفكرة التى خطرت لهم ، فاذا هم يغادرون أيضا محايدة ويقدمون الى فرار بعد ما أهانوا بضراوة أميرة فرار ! ولو كنت فى موقعهم لتخلفت بلا شك عن صحبة مبعوثى فينيسيا • ولكن تلك هى شيمة الشباب ، فمن بين سائر الخلائق أنسوا الى أنياب الذئب فتدافعوا اليها راضين مغتبطين •

(يدخل النبلاء الشبان دون أن يفطنوا بادىء الأمر الى وجود جوبيتا ، وكان يرصد حركاتهم من مخبئه خلف أحد أعمدة الشرفة ــ يتحدث الشبان فى قلق بصوت خفيض) •

المشهد الثالث

جوبيتا ــ مافيو ــ جيبو ــ اسكانيو
دون أبو ستولو ــ أولوفيرنو •

مافيو : (فى همس) قولوا ما شئتم أيها السادة ، ولكن ما كان فى وسعنا التخلف عن الحضور الى فرار بعدما طعنا لوكريس بورجيا فى صميم فؤادها •

دون أبوستولو : وماذا نملك من أمرنا ؟ لقد بعث بنا الى هنا مجلس الأعيان ، وما من سبيل للتنصل من أوامر مجلس أعيان فينيسيا الموقر • لا أخفى عليك يا مافيو أن موكريزيا بورجيا هى فى الواقع عدو مرهوب الجانب ، وهى الأمرة الناهية فى هذا البلد •

جيبو : وماذا تراها فاعلة بنا يا أبوستولو ؟ ألسنا من عمال جمهورية فينيسيا ؟ ألسنا من أعضاء وفدها ؟ ان المساس بشعرة من رؤوسنا معناه اعلان الحرب على عاهلنا ، وفرار لا تقدم باختيارها على استنفار فينيسيا •

جينارو : (لا يشارك فى الحديث بل يبدو حالما فى ركن من آركان المسرح) أماه ! أماه ! من يخبرنى بما أستطيعه من أجل أمى الشقية ؟

مافيو : في وسعهم يا جيبو أن يواروك التراب دون أن يمسوا شعرة من رأسك ، فهناك ثمة سموم تحقق أغراض آل بورجيا دون ما ضجيج أو صخب ، وبأفضل مما يحققه الفأس والخنجر · لعلك لا تنسى تلك الوسيلة التي قضى بها اسكندر الثالث على السلطان زيزيمى أخ باجازيه ·

أولوفرنو : وعلى كثيرين غيره ·

دون أبوستولو : أما عن أخ باجازيه فقصـــته تثير الأسى والعجب ، لقد أدخل البابا فى روعة أن شارل ملك فرنسا قد دس له السم يوم تغذيا سويا ، فصـدق زيزيمى الخبر وتقبل من يـدى لوكريس بورجيا الجميلتين ترياقا زائفا مكن باجازيه من الخلاص منه فى مدى ساعتين من الزمان ·

جيبو : يخيل الى أن هذا التركى المغوار لم يكن يفقه شيئا فى السياسة ·

مافيو : نعم ، ان لدى آل بورجيا سموما تقضى على المرء فى يوم أو شهر أو عام حسبما يشاؤون · انها سموم فظيعة تزيد طلاوة الخمر ، مما يجعلك تفرغ القنينة فى جوفك بلذة ونشوة ، فاذا بك تحتضر بينما تعتقد أنك ثمل ، ومن يسقى هذا السم يعروه الهزال فجأة وتتجعد بشرته ، وتفور عيناه ، ويسقط شعره ، وتتفتت أسنانه تفتت الزجاج الهش اذا اصطدم بالخبز ، فتراه وقد فقد القدرة على السير والتنفس ، يزحف على الأرض ويلهث ، يعاف المرح والكرى ويرتجف تحت الشمس فى عز الظهيرة ، ويبدو كهلا وهو بعد فى شرخ الشباب ، وهكذا يحتضر ردحا من الزمن ؛ ثم لا يلبث أن يسلم الروح ، حتى اذا قضى نحبه تذكر الناس أنه قد شرب قدحا من النبيذ القبرصى منذ ستة أشهر أو عام على مائدة آل بورجيا · (ملتفتا) انظروا يا سادتى الى مونت فيلترو ، لعلكم تعرفونه ، انه من أهل هذه المدينة ، ويمر الساعة بهذه المحنة · ها هو ذا يسير هناك فى مؤخرة الساحة ، انظروا اليه (يسير فى مؤخرة المسرح رجل أبيض الشعر ، نحيل القوام ، يترنح ويعرج ، متكئا على عصاه وقد التف بمعطف) ·

اسكانيو : لهفى عليك يا مونت فيلترو !

دون ابوستولو : كم يبلغ من العمر ؟

مافيو : هو من سنى – فى الثامنة والعشرين من عمره ·

أولوفرنو : لقد رأيته فى العام الماضى ، وكان وجهه بلون الورد ، يفيض كوجهك بشرا ونضارة ٠

مافيو : لقد تناول العشاء منذ ثلاثة أشهر على مائدة البابا ـ أبينا المقدس فى كرمته فى بلفيدير ٠

اسكانيو : يا للفظاعة !

مافيو : نعم ، ان القوم يرددون أغرب القصص عن عشاء آل بورجيا !

اسكانيو : انها ولائم فاجرة ، لا يكبح جماحها كابح ، وجل توابلها السموم ٠

مافيو : أرأيتم يا سادتى كيف أوحشت من حولنا الساحة ، ان الشعب لا يخاطر مثلنا بالاقتراب من قصر الامارة خشية أن تنضح من الجدران تلك السموم التى تطبخ فيه ليل نهار ٠

اسكانيو : لعلكم تعلمون أن المبعوثين قد حظيا بالأمس بمقابلة سمو الدوق ، ومن ثم فان مهمتنا وشيكة النهاية ، أن الوفد يضم خمسين فارسا ، وانسحابنا من هذا الحشد لن يفطن اليه أحد ، وأرى من الحكمة أن نرحل عن فرار ٠

مافيو : وفى يومنا هذا ٠

جيبو : ليكن رحيلنا فى الغد يا سادة ، فلقد دعيت للعشاء هذا المساء على مائدة الأميرة نيجرونى ٠ اننى وله بهذه الأميرة ، ولا أحب الظهور بمظهر الهارب من أجمل نساء فرار ٠

أولوفرنو : أمدعو أنت للعشاء هذا المساء لدى الأميرة نيجرونى ؟

جيبو : نعم ٠

أولوفرنو : وأنا مدعو كذلك ٠

اسكانيو : وأنا أيضا ٠

دون أبوستولو : وأنا أيضا ٠

مافيو : وأنا أيضا ٠

جوبيتا : (دالفا من خلف الأعمدة) وأنا أيضا أيها السادة ٠

جيبو : ها هو ذا السيد بلفيرانا ـ حسنا ، لنذهب كلنا سويا ، ستكون بلا شك سهرة ممتعة ٠ طاب يومك يا سيد دى بلفيرانا ٠

جوبيتا : أطال الله عمرك يا سيد جيبو ٠

مافيو : (مخاطبا جيبو فى صوت خافت) مازلت أتوجس خيفة يا جيبو ، لئن طاوعتنى تخلفنا عن حضور هذه المأدبة . انى لا أطمئن كثيرا الى مجاملات هذا المدعو بلفيرانا .

جيبو : (هامسا) أنت مجنون يامافيو . ان الأميرة نيجرونى ساحرة خلابة ، وأصارحك بأننى متيم بها . أما عن السيد بلفيرانا فهو من خيار الناس ، لقد استخبرت عنه وعن ذويه ، وعلمت أن أبى كان مع أبيه فى حصار غرناطة عام ألف وأربعمائة وكذا وثمانين .

مافيو : ما هذا بدليل على أنه ابن الرجل الذى صاحب أباك .

جيبو : لك مطلق الحرية يامافيو فى عدم تلبية هذه الدعوة .

مافيو : سأذهب ما دمت ذاهبا انت .

جيبو : مرحى ، مرحى . وأنت يا جينارو ألست من زمرتنا هذا المساء ؟

اسكانيو : ألم تدعوك الأميرة نيجرونى ؟

جينارو : كلا ربما حسبتنى الأميرة غير ذى شأن .

مافيو : (باسما) لعلك ذاهب وحدك يا أخى الى لقاء غرام . أليس كذلك ؟

جيبو : وبهذه المناسبة حدثنا قليلا عما قالته لك بالأمس السيدة لوكريس . بيد انها قد جنت بحبك . لابد أنها حدثتك عن هذا طويلا . لقد أتاح لها ما ساد الحفل الراقص من تحرر ومجون فرصة ذهبية . ان النساء لا يضعن على وجوههن قناعا الا ليعرين بمزيد من القحة نفوسهن . وجه مقنع ونفس عارية . (تنصت دونا لوكريزيا من شرفتها الى هذا الحديث منذ لحظات ، وقد تركت احدى ضلف الباب مفتوحة الى منتصفها) .

مافيو : لعلك جئت تقيم هنا فى مواجهة شرفتها يا جينارو .

دون أبوستولو : وفى ذلك من الخطر يا رفيقى . يقال ان دوق فرار المبجل يغار على زوجه غيرة حمقاء .

أولو فرنو : خبرنا يا جينارو الى أى مدى بلغت فى مغامرتك مع لوكريس بورجيا ؟

جينارو : لئن عاودتم سؤالى عن هذه المرأة البغيضة يا سادة فسوف تضوى ثمة سيوف تحت الشمس .

دونا لوكريزيا : (من شرفتها) واحسرتاه !

مافيو : هذه مداعبة يا جينارو ليس غير . ان خيل الى ألا تثريب علينا اذا حدثناك عن هذه المرأة وقد حملت ألوان شعارها .

جينارو : ماذا تعنى بقولك ؟

مافيو : (مشيرا الى الوشاح الذى يتشح به) هذا الوشاح ؟

جيبو : ان ألوانه فى الواقع هى نفس ألوان لوكريس بورجيا ·

جينارو : ولكن فياميتا هى التى بعثت الى به ·

مافيو : هذا ما تعتقده ، لأن لوكريس أمرتهم أن يذكروا لك ذلك ، بينما هى التى طرزت بيدها هذا الوشاح من أجلك ·

جينارو : أواثق أنت مما تقول يامافيو ؟ ممن عرفت ؟

مافيو : من حاجبك الذى أسلمك الوشاح · لقد كسبته الى صفها ·

جينارو : الى الجحيم !

(ينزع الوشاح ويمزقه ويطأه بقدميه)

دونا لوكريزيا : (على حدة) واحسرتاه !

تغلق ضلفة الباب وتنسحب ·

مافيو : ولكن المرأة جميلة على أية حال ·

جيبو : نعم ، وان كان يشوب جمالها ثمة غبرة ·

جينارو : أواه ، لعنة الله على من تدعى لوكريس بورجيا · أتزعمون أنها تحبنى ؟ حسنا ، ليكن فى هذا عذابها ، انها لتثير فزعى ! نعم انها تثير فزعى ! أو تعلم يامافيو أن الأمور تجرى دائما على هذا النحو ، فليس من سبيل للرجل منا الى تجاهل امرأة تحبه ، فاما أن يبادلها حبا بحب واما أن يمقتها · وأنى لهذه المرأة أن تكون موضع حب ؟ هذا الى أن هذا الصنف من النساء كلما أثقل بحبه على رجل زاد مقت الرجل له · ان هذه المرأة تطاردنى وتحاصرنى وتضيق الخناق على ـ ليت شعرى ، كيف قدر لى أن أكون جديرا بحب امرأة كلوكريس بورجيا ؟ أليس فى ذلك طامة كبرى وعار ؟ فمنذ تلك الليلة التى جهرتم فيها باسمها ـ لا يمكنكم أن تصدقوا الى أى حد صار مجرد تفكيرى فى هذه المرأة الفاجرة أمرا ادا · كنت فيما مضى لا أرى لوكريس بورجيا الا عن بعد ، عبر آلاف الفراسخ ، كمارد رهيب يجثم على صدر ايطاليا بأسرها ، أو كشبح يقض مضجع العالم طرا ، أما اليوم فقد أصبح هذا الشبح يستأثر بى دون سائر الخلق ، يفد الى فيجلس الى سريرى · ان هذا لشىء مخيف · آه يامافيو انها قاتلة السيد دى جرافينا ، انها قاتلة

أخيك. حسنا ، سأنزل منزلته من نفسك ، وسأثأر له من قاتلته . هذا هو قصرها الكريه ، قصر الدعارة والخيانة والاغتيال ، قصر الزنى والفسوق والكبائر جميعا ، قصر لوكريس بورجيا . ان وصمة العار التى لا أستطيع أن أدمغ بها جبهة هذه المرأة سأدمغ بها فى أقل القليل جبهة قصرها .

(يرتقى المقعد الحجرى الجاثم تحت الشرفة ، ويزيل بنصل خنجره الحرف الأول من اسم بورجيا المنقوش على الجدار بحيث لا يبقى منه سوى لفظ أورجيا ومعناه الاغراق فى الرذيلة) .

مافيو : جينارو ، ان هذا الحرف الذى أزلته من اسم السيدة لوكريس معناه زوال رأسك من بين كتفيك .

جوبيتا : يا سيد جينارو ، لقد أتيت فعلة مريبة ستسفر فى الغد عن تعذيب نصف سكان المدينة .

جينارو : سأسلم نفسى اذا هم بحثوا عن الفاعل .

جوبيتا : (محدثا نفسه) هذا والله ما أصبو اليه وما سوف يحرج سيدتى لوكريس .

(يذرع الساحة منذ لحظات رجلان يتشحان بالسواد ويتلصصان)

مافيو : أنظروا أيها السادة ، أرى وجوها عابسة تتطلع الينا بشىء من الفضول ، فمن الحكمة أن نفترق . اياك أن تأتى مزيدا من الحماقة يا أخى جينارو !

جينارو : اطمئن بالا يامافيو . هات يدك - أيها السادة أرجو لكم ذروة البهجة فى سهرة الليلة .

(يدخل ويتفرق الآخرون)

المشهد الرابع

رجلان يتشحان بالسواد

الرجل الأول : ماذا تفعل هاهنا بحق الشيطان يا روستيجللو ؟

الرجل الثانى : أنتظر حتى أرى ما تصنع يا استوفولو .

الرجل الأول : حقا ؟
الرجل الثانى : وأنت ماذا تصنع هنا يا استوفولو ؟
الرجل الأول : انتظر حتى أرى ما تصنع يا روستيجللو .
الرجل الثانى : من تبغى اذن يا استوفولو ؟
الرجل الأول : الرجل الذى دخل هناك توا . وأنت من تبغى ؟
الرجل الثانى : الشخص ذاته .
الرجل الأول : يا للشيطان !
الرجل الثانى : ماذا تريد به ؟
الرجل الأول : احضاره للاميرة ، وأنت ؟
الرجل الثانى : أريد أن اقتاده الى الأمير .
الرجل الأول : يا للشيطان !
الرجل الثانى : ماذا ينتظره لدى الأميرة ؟
الرجل الأول : الهوى والمتعة بلا شك ، ولدى الأمير ؟
الرجل الثانى : المقصلة فيما أظن .
الرجل الأول : وما العمل ؟ محال أن يكون لدى الأمير ولدى الأميرة فى آن واحد محبوب سعيد فى ناحيـة ، ومقضى باعدامه فى ناحيـة أخرى .
الرجل الثانى : هذا دينار . لنجر القرعة ، ونرى من منا يفوز بالرجل .
الرجل الأول : وهو كذلك .
الرجل الثانى : أقسم لو خسرت القرعة لأذكرن بســـذاجة للامير أننى وجدت العصفور قد نزح من العش . والأمر عندى سواء فما يتعلق بصوالح الأمير .
(يقذف بالدينار فى الهواء)
الرجل الأول : الظهر لى .
الرجل الثانى : (محدقا فى الأرض) انه الوجه .
الرجل الأول : سيعدم الرجل . خذه معك . وداعا .
الرجل الثانى : طاب مساؤك .
(واذ يختفى الرجل الأول ، يفتح الرجل الثانى البـاب الصغير الواقع تحت الشرفة وينفذ منه . يعود بعد برهة ومعه أربعـة من العسس ، ثم يذهب بصحبتهم فيدق باب البيت الذى دلف اليـه جينارو ، ويسدل الستار .

الفصل الثانى
الزوجان

ألقسم الأول

(قاعة بقصر الأمارة فى فــرار) فرشت بطنافس جلدية من صناعة المجر ، موشـــاة بنقوش عربية مذهبة واثاث فاخر من الطــراز الايطالى فى أخريات القرن الخامس عشر . أما كرسى العرش فمصنوع من المخمل الأحمـــر مطرز عليه شعار آل « است » وبجواره منضدة مغطاة بالمخمل الأحمر أيضا . فى المؤخرة باب كبير ، والى اليمين باب صغير والى اليســار باب آخر خفى ، ترى من خلفه ومن خـــلال مقصورة أعدت على المسرح قمة ســـلم لولبى الشكل يهبط الى السرداب ، يسرى اليه الضوء من نافذة طويلة ضيقة ذات قضبان) .

المشـــهد الأول

دون ألفونس ديست فى حلة من ألوان شـــعاره وفى صـــحبته روسيتجللو فى كسوة ذات ألوان وان كانت من قماش أقل جودة ٠

روسيتجللو : مولاى الأمير ، هذه أوامرك الأولى نفذتها ، وأنا فى انتظار غيرهـــا ٠

دون ألفونس : خذ هذا المفتاح ، وامضى الى بهونوما ، عد جميع المسطحات المأطورة على الجدران الخشبية بادئا بتلك اللوحة الكبيرة القريبة من الباب ، وهى اللوحة التى تمثل هرقل ابن جوبيتير وهو أحـــد أحدادى ، حتى اذا بلغت الاطار الرابع والعشرين ستری فرجة صغيرة خبيئة فى فم ثعبان مذهب من صنع ميـلانو ، وهـــذه لوحة أشار بنقشها لودفيك مور ٠ أولج المفتاح فى هذه الفرجة ، فيدور الاطار على محوره كما يدور الباب ، وهناك فى الخزانة الخفية التى يغطيها الأطار ، وعلى صفحة من البللور ستجد قنينة من الذهب وأخـرى من الفضة وكأسين من الميناء ٠ فى القنينة الفضية ماء قراح ، وفى القنينة الذهبية نبيذ معد ، عليك أن تأتى بالصفحة دون أن تعبث بما عليها الى المكتب المجاور لهـذه القـــاعة ٠ روسيتجللو ، لعلك سمعت ذات يـــوم عن أناس تصطك أسنانهم من فرط الهول وهم يتحدثون عن سم آل بورجيا المشهور ، وما هو الا مسحوق أبيض براق كغبار رخام كرار ، اذا ما مزج بالنبيذ أحال نبيذ روموراتنين الى نبيذ سيراكوز ، فحذار أن تمس القنينة الذهبية ٠

روسيتجللو : أهذا كل ما فى الأمر يا مولاى ؟

دون ألفونس : كلا ٠٠ ستتوشح أجـــود سيوفك ثم تمضى الى مكتبى ، وتظل واقفا وراء الباب بحيث تسمع كل ما يدور هنا ٠ وعليك أن تدخل عند أول اشارة منى اليك بهذا الجرس الفضى الذى تعرف رنينه (مشيرا الى جرس صغير فوق المنضـــدة) فاذا ناديت فى بساطة ، روسيتجللو ، فعليك بالدخول حاملا الصفحة ، أما اذا هززت الجرس فادخل والسيف فى يدك ٠

روسيتجللو : كفى يا مولاى ٠

دون ألفونس : احمل سيفك مجردا من غمدة حتى لا تتكبد عناء سله ٠

روسيتجللو : حسنا .

دون ألفونس : روسيتجللو ، بل أحمل سيفين ، فقد يتحطم أحدهما . والآن انصرف .

(ينصرف روسيتجللو من الباب الصغير) .

حاجب : (داخلا من باب المؤخرة) سيدتى الأميرة تريد أن تتحدث الى مولاى الأمير .

دون ألفونس : دعها تدخل .

المشـــهد الثانى

دون ألفونس ـ دونا لوكريزيا

دونا لوكريزيا : (قادمة فى ثورة عارمة) سيدى . سيدى ! هذا أمر مهين أمر مخز ، أمر بشع . أتعلم ماذا صـــنع واحـــد من رعاياك يا دون ألفونس ؟ لقد شوه اسم زوجك المنقوش تحت شعار أسرتى على واجهة قصرك . ولقد حدث ذلك علانية وفى وضح النهــار . أما عن الفاعل فمجهول لدى . لكن الحادث جد مهين وجد جرىء . لقد جعل من اسمى لافتة للخزى والعار ، وهذا شعبك يا سيدى ، شعب فرار ، أحط شعوب ايطاليا ، يهلل هناك فى سخرية حـــول شعارى ، كما يهلل حـــول وتد شد اليه أحد المذنبين . ألا يدور بخلدك يا دون ألفونس أننى أتقزز من هذه الأوضـــاع وأننى أوثر الموت مرة واحدة بطعنة خنجر على موتى ألف مرة بلذعات سامة من السخرية والقذف ؟ أننى أعامل فى امارتك يا ســـيدى معـاملة شاذة ، ولقد بدأت أضيق ذرعا بتلك الحال . وانى أراك تبـــدو ساكنا ناعم البال بينما يمرغون فى أوحال مدينتك سمعة زوجك بعد أن مزقتها أنياب القذف والبهتان . لابد من ترضية مدوية عما جرى . وهذه ارادتى أخطرك بها يا سيدى الدوق فتهيأ للقصاص . ألا ترى فيما يجرى أمورا جسيمة ذات بال ؟ أتظن مثلا ألا سند لى من جاه فى هذا الوجود ، وأن فى وسع زوجى أن يتخلى عن وصفه حامى

وفارسى ؟ كلا يا مولاى ، من له زوجة فعليه حمايتها ، ومن قدم يده فلابد أن يقدم ساعده أيضا ، فالزوج هو العماد والسند ٠ اننى

أصلى فى كل يوم اهانات جديدة ولا أراك قط تحـرك ساكنـــا ٠ أما تلطخك الأوحال التى يطمسوننى بها يا دون ألفونس ؟ هيا ، أستحلفك بحياتى وأناشـدك أن تحتد بعض الشىء ٠ أود أن أراك مرة فى العمر غاضبا من أجلى يا سيدى ! انك تصارحنى أحيـــانا بكلفك بى ، فليكن كلفك بمجدى أيضا ٠ أولست غيورا ؟ فلتكن غيرتك على سمعتى ٠ اذا كنت قد ضاعفت ببائنتى ما آل اليك من مقاطعات ، واذا كنت بزواجى منك قد حملت اليك – ليس الوردة الذهبية وبركة الأب المقدس فحسب – وانما حملت اليك أيضـــا ما وســـع ملكك فى الأرض ٠ سيين وريمينى وسيزنيا وسبوليت وبيومبينو ، وزودتك من المدائن بما يزيد على ما تقتنى من قصور ومن الدوقيات بما يفوق ما لديك من بارونيات ، واذا كنت بذلك قد جعلت منك أعظم أمراء ايطاليـــا شأنا فما ذلك بسبب يحدوك يا سيدى الى أن تدع شعبك يسخر منى ويشهر بى ويسبنى ، وأن تدع امارتك فرار تشير بالبنان لأوروبا بأسرها الى زوجك كأحقر وأوضع من خادمة حجاب سواس خيلك ٠ أقول لك ما هذا بسبب يجعل شعبك لا يملك أن يرانى بين ظهرانيه دون أن يهتف : آه ، ها هى ذى المرأة الآثمة ولهذا فاننى أطالبك يا سيدى بتعقب جريمة اليوم والقصاص لى بما يليق بمقـــامى والا شكوتك الى البـــابا ، والا شكوتك الى أخى فالانتينوا ، وهو مرابط هناك فى مدينـــة بورلى وبصحبته خمسة عشر ألفا من المحاربين ٠ والآن عليك أن تقدر ما اذا كان الأمر يستحق منك عناء النهوض من مقعدك أم لا ٠

دون ألفونس : سيدتى ، اننى على علم بالجريمة التى تشكين منها ٠

دونا لوكريزيا : كيف هذا يا سيدى ؟ أتكون على علم بالجريمة ولا يكتشف الجانى ؟

دون ألفونس : واكتشف الجانى ٠

دونا لوكريزيا : سبحان الله ! واذا ما اكتشف الجانى فكيف لا يقبض عليـــه ؟

دون ألفونس : وألقى القبض عليه يا سيدتى ·

دونا لوكريزيا : أما وقد ألقى القبض على الجانى ، فلماذا ــ وحقى لديك ــ لم يلق جزاءه بعد ؟

دون ألفونس : سيلقى جزاءه على الفور ، لكننى أردت قبل كل شيء أن استطلع رأيك فى شأن الجزاء ·

دونا لوكريزيا : لقد أحسنت صنعا يا مولاى ، أين هو ؟

دون ألفونس : هنـــا ·

دونا لوكريزيا : هنـــا ؟ حســنا ، ليكن مصيره عبرة لغيره ، لعلك تعلم يا سيدى أنها جريمة عيب فى الذات الأميرية ، وفى مثل هذه الجرائم لابد من قطع رأس المدبر ويد المنفذ · ويحى ! أهو هنا ؟ حسنا ، أريد أن أراه ·

دون ألفونس : هذا أمر يسير · (مناديا) بوتبستا !

(يظهر الحاجب) ·

دونا لوكريزيا : كلمة أخرى يا سيدى قبل أن يؤذن للمذنب بالدخول · اعطنى عهدا يا ألفونس ـ كأمير يحمل التاج على مفرقة ـ بأنه لن ينصرف من هنا حيا ؟ مهما كان شأنه وسواء أكان من رعيتك أو من آل بيتك ·

دون ألفونس : لك منى هذا العهد · أوعيت ما أقول يا سيدتى ؟

دونا لوكريزيا : حسنا ، لقد وعيته بلا شك · جيئوا به الآن · أريد أن أحاوره بنفسى · رباه ! ماذا جنيت على أهل فرار حتى ألقى منهم مثل هذا الاضطهاد ؟

دون ألفونس : (مخاطبا الحاجب) أدخل السجين ·

(ينفرج باب المؤخرة ويبدو جينارو منزوع السلاح بين حارسين من حملة الحراب · وفى ذات الآونة يرى روسميتجللو وهو يرتقى درج المقصورة الصغيرة القائمة على اليسار خلف الباب الخلفى، حاملا فى يده صفحة عليها قنينة ذهبية وأخرى فضية وكأسان · يضـــع الصفحة على دعامة النافذة ، ثم يستل سيفه ويتوارى خلف الباب ·

المشـــهد الثالث

نفس الأشخاص ـ جينارو

دونا لوكريزيا : (على حدة) جينارو !

دون ألفونس : (يدنو منها وعلى فمه ابتسامة ثم يهمس) أتعرفين هـــذا الرجـــل ؟

دونا لوكريزيا : (على حدة) رباه ، ما أعجبه من قدر !

(تتطلع الى جينارو فى قلق ثم تحول بصرها عنه) ·

جينارو : سيدى الدوق · أنا ضابط صغير ، وانى أسألك بكل ما ينبغى لك من اجلال واحترام ، لقد أمرت بالقبض على فى مسكنى هـــذا الصباح فما مرادك منى ؟

دون ألفونس : أيها الضابط ، لقد قورفت صباح اليوم جريمة عيب فى الذات الأميرية ، فشوه أحدهم فى جرأة ووقاحة اسم زوجنا المحبوبة وابنة عمتنا لوكريس بورجيا ، وكان منقوشـــا على واجهة قصرنا الأميرى ونحن نفتش عن الجانى ·

دونا لوكريزيا : ليس هذا هو الجانى ! هناك ثمة خطأ يا دون ألفونس · انه ليس هذا الشاب ·

دون ألفونس : وكيف علمت ؟

دونا لوكريزيا : أنا واثقة مما أقول · ان هذا الشاب من فينيسيا وليس من فرار ، ولذا ···

دون ألفونس : وما دلالة ذلك ؟

دونا لوكريزيا : لقد وقع الحادث هذا الصباح ، وأنا أعلم أنه كان فى تلك الأثناء لدى من تدعى فياميتا ·

جينارو : كلا يا سيدتى ·

دون ألفونس : ها قد تبين لســـموك كذب ما نمـــى الى علمك ، دعينى أسأله ··· أيها الضابط ، هل أنت الذى ارتكبت هذا الجرم ؟

دونا لوكريزيا : (ذاهلة) اننى أختنق هنا ! هواء ! هواء ! انى بحاجة الى استنشاق بعض الهواء !

(تمضى الى النافذة ، واذ تمر بجوار جينارو تهمس اليه فى عجله)
قل أنك لست هذا الشخص !

دون ألفونس : (على حدة) لقد همست اليه ٠

جينارو : دون ألفونس ، لقد لقننى صادة السمك فى كالابر ، أولئك الذين قاموا على تنشئتى وغمرونى وأنا بعد طفل صغير فى ماء البحر ، حتى يخلقوا منى انسانا قويا وجسورا ، لقننى هؤلاء حكمة قد يغامر من يعمل بها بحياته ولكن ليس بشرفه ، افعل ما تقول وقل ما تفعل ٠ يا دون ألفونس ، أنا من تبحث عنه ٠

دون ألفونس : (ملتفتا الى دونا لوكريزيا) سيدتى ، لك عهدى الذى قطعته لك كأمير يحمل التاج عى مفرقه ٠

دونا لوكريزيا : سيدى ، لى كلمتان أود أن أقولهما لك على انفراد ٠
(يومىء الأمير الى الحاجب والحارسين بالانصراف برفقة السجين الى قاعة مجاورة) ٠

المشهد الرابع

دونا لوكريزيا ـ دون الفونس

دون ألفونس : ماذا تريدين أن تقولى يا سيدتى ؟

دونا لوكريزيا : أريد أن أقول لك يا دون ألفونس أننى لا أروم موت هذا الشاب ٠

دون الفونس : منذ لحظات فقط ، أقبلت على كالعاصفة الهوجاء ، ثائرة باكية ، وشكوت لى مما لحق بك من مهانة ، وطالبت بين الصياح والسباب برأس الجانى ، وسألتنى عهد الأمراء ألا ينصرف من لدنى حيا ، فقطعت لك هذا العهد بأمانة وصدق ، والآن لا تودين موته ٠ قسما بالمسيح يا سيدتى ان هذا لأمر عجاب !

دونا لوكريزيا : لا أريد أن يموت هذا الشاب يا سيدى الدوق !

دون الفونس : سيدتى ، ليس من شيمة النبلاء ذوى الحسب العريق مثلى أن يجعلوا عهودهم رهنا بأى شىء ، لقد أعطيت كلمتى ولن أسحبها ٠

لقد أقسمت بشرفي لأميتن هذا المذنب فهو ميت لا محالة ، ولك أن تختارى وسيلة موته ٠

دونا لوكريزيا : (في لهجة مرحة تفيض عذوبة) على رسلك يا دون ألفونس ، ان ما يدعو اليه كلانا هو في الحق ضرب من الجنون ٠ أشهد أنني امرأة حمقاء ٠ لقد دللني والداى ، وكان الناس منذ نعومة اظفارى يستجيبون لكل نزواتي ، فماذا تنتظر مني ؟ اللهم الا أن لا أرغب الآن فيما كنت أرغب فيه من ربع ساعة ، ولعلك تعلم حق العلم يا دون ألفونس أن هذا هو شأني دائما ٠ هيا ، تعال اجلس هنا بجوارى ودعنا نتحدث قليلا في حنان وصدق كأليفين ، بل كصديقين حميمين ٠

دون ألفونس : (مصطنعا اللطف من جانبه) أنت سيدتي ومولاتي يا دونا لوكريزيا ، وانني لجد سعيد اذ يطيب لك وجودى لحظة تحت قدميك ٠ (يجلس بالقرب منها) ٠

دونا لوكريزيا : ما أحلى الوفاق والوئام ٠ أو تعلم أنني لازلت أحبك كما أحببتك في أول يوم من زواجنا ؟ ذلك اليوم الذى شهد دخولك الرائع الى روما بين أخي السيد فالنتينو وأخيك السيد الكاردنيال ديست ٠ كنت في شرفة الكنيسة المدرجة ومازلت أذكر جوادك الأبيض الجميل المطهم بالذهب ، وطلعتك البهية كملك يعتلى صهوته !

دون ألفونس : وكنت بدورك يا سيدتي رائعة الحسن باهرة السنى وأنت جالسة في مقصورتك التي صنعت من الدمقس المحلى بالفضة ٠

دونا لوكريزيا : آه ، لا تتحدث عني يا مولاى حين أحدثك عن نفسك ، لامراء في أن سائر أميرات أوروبا قد حسدنني على اقتراني بخير فوارس المسيحية ، أما عن نفسي فانني أخلص لك الحب كما لو كنت في ربيعي الثامن عشر ، أنت تعلم أنني أحبك ، ولا أخالك في ريب مما أقول ٠ أليس كذلك يا ألفونس ؟ انني أبدو أحيانا جافيه بل وشاردة أيضا ، وهذا مرده الى خلقي وليس الى قلبي ٠ اصغ الى يا ألفونس ، لو انك نهرتني على ذلك برفق لانصلح حالى على الفور ٠ ما أجمل حبنا ! هات يدك ، قبلني يا دون ألفونس ! ان ما أفكر فيه الآن في الواقع ، وما أراه مضحكا للغاية ، هو أن أميرين مثلنا ، يتربعان جنبا الى جنب على أجمل عروش الدنيا ، أميرين تؤلف بين

قلوبهما أواصر الحب كادا يعتركان من أجل ضابط فينيسى صغير ومغامر مسكين ! يجدر بنا أن نطرد هذا الرجل وأن نكف الحديث عنه ٠ ليذهب هذا المستهتر حيث يشاء ٠ أليس كذلك يا دون ألفونس؟ ان الأسد وأنثاه لا يتغاضبان على بعوضة ٠ أتعلم يا مولاى ، لو منح تاج الامارة فى مسابقة لأجمل فرسان دوقيتك فرار لما ظفر به أحد سواك ٠ انتظرنى حتى أذهب فأطلب باسمك الى بوتستنا أن يطرد المدعو جينارو من فرار بأسرع ما يمكن ٠

دون ألفونس : ما من شيء يدعو الى العجلة !

دونا لوكريزيا : (سادية الفرح) أود ألا أشغل الفكر بعد الآن فى هذا الشأن ٠ دعنى يا سيدى أنهى هذا الموضوع وفق رغبتى ٠

دون الفونس : بل يجب انهاؤه وفق رغبتى أنا ٠

دونا لوكريزيا : ولكن على أية حال ياعزيزى الفونس ، مامن مبرر يدعوك الى طلب الموت لهذا الرجل ٠

دون الفونس : وعهدى الذى قطعته لك ؟ ان لقسم الملوك قداسة ٠

دونا لوكريزيا : هذا كلام قد يجوز على الشعب ، أما أن توجهه الى يا ألفونس ، فهذا مالا ينطلى على أحد منا ٠ فلقد عاهد الأب المقدس شارل الثامن ملك فرنسا على الأبقاء على حياة زيزيمى وقداسته هو الذى أجهز عليه ، ثم تعهد السيد دى فالنتينوا بتسليم نفسه رهينة الى شارل الثامن ذاته غير أنه فر هاربا من المعسكر الفرنسى حين استطاع الى ذلك سبيلا ٠ وأنت نفسك تعهدت برد مقاطعة سيين الى آل بتروتشى ولكنك لم تفعل ، وما كان لك أن تفعل ٠ ان تاريخ الدول حافل بهذه المواقف ، ولن تعيش الدول أو الملوك يوما واحدا ان هى انجزت عهودها العقيمة ٠ ولا أخفى عليك يا ألفونس أن القسم لايعد ملزما الا حين لامناص من البربه ٠

دون الفونس : ومع ذلك فالقسم يادونا لوكريزيا ٠٠٠

دونا لوكريزيا : لاتدل الى بمثل هذه المبررات البغيضة ، فلست بالمرأة الغبية ، وأولى بك أن تصارحنى ياعزيزى الفونس ، ان كان هناك ما يثير حفيظتك على جينارو ٠ كلا ؟ حسنا ، هب لى حياته بعد اذ وهبت لى راضيا مماته ٠ ماذا يضيرك ان كان يروق لى الصفح عنه ؟ أنا التى أهينت ٠

دون الفونس : ولهذا السبب عينه ـ وهو اهانته لك ـ لا أريد يا حبيبتى العفو عنه !

دونا لوكريزيا : ان كنت صادقا فى حبك لى يا ألفونس فلن يطول رفضك لما طلبت ٠ قد يلذ لى أن أبذل من جانبى سعى ينطوى على الرحمة، وتلك وسيلة تكسبنى محبة شعبك وهذا ما أصبو اليه ، الرحمة يا الفونس وما أدراك ما الرحمة ! ، انها تجعل الملوك أقرب ما يكون شبها بعيسى المسيح ٠ فلنكن ملوكا رحماء ٠ ان فى ايطاليا التعسه ما يكفيها من الطغاة ـ ناهيك بنا ـ من البارون نائب البابا الى البابا نائب الله ٠ لنضع لهذا الأمر خاتمة يا عزيزى الفونس اطلق سراح جنيارو ! لك أن تحسبها ان شئت نزوة ، لكنها نزوة لها قداستها وجلالها حين تتمخض عن انقاذ رأس انسان ٠

دون الفونس : لا أستطيع يا عزيزتى لوكريس ٠

دونا لوكريزيا : لاتستطيع ؟ ولماذا لا تستطيع أن تهبنى شيئا لاوزن له وهو حياة هذا الضابط ؟

دون ألفونس : تسألينني لماذا يا حبيبتى ؟

دونا لوكريزيا : نعم ٠ لماذا ؟

دون ألفونس : لأن هذا الضابط هو عشيقك يا سيدتى !

دونا لوكريزيا : يا للسماء !

دون ألفونس : لأنك ذهبت تبحثين عنه فى فينيسيا ، وقد تذهبين للبحث عنه فى جهنم ! ولأننى تعقبتك بينما كنت تتعقبينه فرأيتك تطاردينه وأنت متنكرة لاهثه كما الذئبة تطارد فريستها ! ولأنك كنت تطوقينه منذ هنيهة بنظرة تفيض بالدمع والأسى ٠ ولاشك عندى فى أنك فرطت له فى عرضك يا سيدتى ! ولما كان فى مثل هذا العار والفجور الكفاية ، فقد آن الأوان لكى أثار لشرفى وأجرى حول مضجعى بركة من الدم ٠ أوعيت ما أقول ياسيدتى ؟

دونا لوكريزيا : دون ألفونس ٠٠٠

دون ألفونس : اصمتى ٠ لك أن تسهرى من الساعة على حياة عشاقك يالوكريس ، ولك أن تقيمى على باب الدخول الى مخدعك من يروقك من الحجاب ، أما باب الخروج منه فسوف يقوم عليه من الآن حارس توليت بنفسى اختياره ، ألا وهو الجلاد ٠

دونا لوكريزيا : مولاى ٠ أقسم لك ٠٠٠

دون ألفونس : لاتقسمى فان ايمانك ان جازت فعلى الشعب وحدة ، ولاتدلى الى بمثل هذه المبررات البغيضة ٠

دونا لوكريزيا : لو كنت تعلم ٠٠٠

دون ألفونس : أنصتى الى يا سيدتى ٠ اننى أمقت آل بورجيا جميعا ـ وهم اسرتك اللعينة ـ وفى مقدمتهم أنت ، أنت التى أحببت بجنون! لابد لى أخيرا من مصارحتك ، لقد كان حدثا مشـــينا وعجيبـــا لم يسمع به من قبل أن تتحالف فى شخصينا أسرة است ـ من سمث قدرا على أسرتى فالوا وتيودور ـ مع أسرة بورجيا وهى التى لا تحمـــل حتى هذا اللقب ، بـــل ننتسب الى لينزولى أولينزوليو ولايعرف أيهما الأصح ! ألا أننى أبغض أخاك سيزار ، من تلطخ وجهه بوصمات طبيعية من الدماء وهو قاتل أخيك جان ٠ واننى لأبغض أمك روزافانوزا ، تلك الغانية الاسبانية العجوز التى دنست شرف روما بعدما دنست شرف فالانس ! أما عن ابنى أخيك الزائفين دوقى سرمونيتو ونيبى فيالهما والله من دوقين ! خلقتهما دوقيتان سليبتان ! دعينى أكمل حديثى ٠ اننى أبغض أباك الذى يتربع على كرسى البابوية ويقتنى سربا من الجوارى أسـوة بباجازيه سلطان الترك ٠ اننى أمقت أباك الزنديق ، من أتخم السجن بعلية القوم والمجمع المقدس ٠٠٠٠ باللصـــوص ، حتى ليتســاءل من يراهم وهم جميعا فى أرديتهم الحمراء ـ مجرمين وكرادلة ـ من منهــم المجرمون ومن منهم الكرادلة ! والآن لك أن تنصرفى !

دونا لوكريزيا : مولاى ٠٠٠ اننى أضرع اليك ، وأنا معقودة اليدين جاثية تحت قدميك ، وأستحلفك بالمسيح ومريم البتول أن تبقى على حياة هذا الضابط ٠

دون ألفونس : هذا هو الحب بعينه ! فى وسعك ياسيدتى أن تصنعى بجثته ما يحلو لك ! لقد اقتضت مشيئتى أن يتم الخلاص منه قبل أن يمضى من الزمن ساعة !

دونا لوكريزيا : رحمة بجينارو !

دون ألفونس : لو أنك استطعت أن تقرئى آيات العزم الكامن فى نفسى لما أطلت حديثك عنه وقد مات وانتهى ٠

دونا لوكريزيا : (ناهضة من مقعدها) حذار يا دون ألفونس · حذاريا دوق فرار يا رابع أزواجي !

دون ألفونس : لاتتظـاهري بارهابي ياسـيدتي ، فأنا والله لا أخافك ! اني عليم بأساليبك ، ومن ثم فلن أجرع السم كما تجرعه زوجك الأول ، هذا النبيل الاسباني المسكين الذي لا أعرف له اسما ولا أنت أيضا ، ولن أتعرض للطرد كما تعرض زوجك الثاني ، هذا الغبي « جان سفوزا » أمير بيزارو ، ولن يكون مصرعي بطعنات الحراب على درج السلم كما حدث لزوجك الثالث دون ألفونس أمير أراجون، هـذا الفتى الهـزيل الذي لم تخصب دماء الأرض كأنما كانت ماء قراحا ! على رسلك يا سيدتي ، فأنا رجل بمعنى الكلمة ، يشيع اسم هرقل بين أسرتي · وقســما بالســماء ، لدى من الجنـد بقدر ما تسع مدينتي وامارتي وأنا نفسي واحد منهم ، هذا الى أنني لم أبع بعد ــ كما فعل من قبـل ملك نابولي المسكين ــ مدفعيتي العظيمة للبابا أبيك المقدس !

دونا لوكريزيا : سـوف تنـدم على هذا القول ياسـيدي · لعلك نسيت من أنا · · ·

دون ألفونس : اني أعلم حق العلم من أنت ، ولكنني أعلم كذلك أين أنت · أنت ابنة البابا ولكنك لست في روما ، وأنت حاكمة سـبوليت ولكنك لست في سبوليت · انمـا أنت زوج ألفونس دوق فرار وخادمته ، وأنت هنا في فرار !

(تتطلع دونا لوكريزيا الى الدوق وهي شاحبة الوجه من فرط الفزع والغضب ، وتتقهقر في بطء أمامه حتى تصل الى المقعد، فتتهالك عليه متداعية واهنـة) آه ، لعلك تدهشين يا سـيدتي اذ أمسيت تخافينني وأنا الذي كنت حتى الساعة أخافك · سأعمل على دوام تلك الحال ولقد بدأت الصراع ، وهذا أول عاشق يقع في قبضة يدي ، وسوف يموت ·

دونا كوكريزيا : (في صوت حائر) دعنا نحكم العقل قليلا يادون الفونس ان كان هذا الرجل هو الذي عاب في ذاتي ، فليس من المعقول أن يكون في الوقت عينه عشيقي .

دون الفونس : ولم لا ؟ ربما فعـل ما فعل في ثورة غضب أو غيظ أو غيره ! قد يكون هو الآخر غيورا من ادراني ؟ أريد أن يموت هذا

الرجـل وتلك هى رغبتى ! ان القصر زاخر بالجنـــود المخلصين الذين لا يعرفون مولى سواى ، ومن ثم لن يستطيع الهرب ، ولن تستطيعى الوقوف فى سبيلى ياسيدتى ، ولقد تركت لسموك حرية اختيار وسيلة قتله فاتخذى قرارك .

دونا لوكريزيا : (معقودة اليدين) رباه رباه ! رباه !

دون الفونس : الا تجيبين ؟ سآمر بقتله بطعنة سيف فى الغرفة المجاورة (يهم بالخروج فتمسك بذراعه)

دونا لوكريزيا : مكانك !

دون الفونس : أتفضلين ان تصبى له بنفسك قدحا من نبيذ سيراكيوز ؟

دونا لوكريزيا : جينار وا !

دون الفونس : لابد من موته .

دونا لوكريزيا : ليس بطعنة سيف !

دون الفونس : لا تهمنى الوسيلة كثيرا .

دونا لوكريزيا : لتكن الوسيلة الأخرى !

دون الفونس : اذن فاحرصى على الا تخطىء ، وان تصبى له بنفســك من القنينة الذهبية التى تعرفينها . سأباشر العملية بنفسى على أية حال ، فلا تتوهمىَ اننى تاركك وحدك .

دونا لوكريزيا : سأفعل ما تشاء .

دون الفونس : بوتيستا !

(يظهر حارس الباب) أدخل السجين

دونا لوكريزيا : ما أفظعك من رجل يا سيدى !

المشـــهد الخامس

نفس الأشخاص ـ جينارو ـ الحراس

دون الفونس : ما هذا الذى أسمع يا جينارو ؟ ماذا صنعت هذا الصباح لعلك أقدمت على فعلتك هذه عن تحد وطيش وليس عن سوء قصـــد ، مما حمل سـيدتى الأميرة على العفو عنك ، هذا الى اننى

ألمس فيك شجاعة وبسالة ، واذا كان ذلك كذلك ، فقسما بأمى فى مقدورك أن تعود سالما الى فينيسيا ، فلا يرضى الله أن أحرم جمهورية فينيسيا العظيمة من خادم وفى ، أو احرم المسيحية من ساعد أمين يحمل السيف مخلصا فى خدمتها ، بينما الوثنيون وأعراب المغرب يدنون من شواطىء جزيرتى قبرص وكريت !

جينارو : نعم الرأى يا مولاى · وانى مصارحك بأننى ما كنت أتوقع هذه الخاتمة ، فشكرا لك يا صاحب السمو · ان الرحمة شيمة الملوك · والله يرحم فى السماء من رحم الناس على الأرض ·

دون ألفونس : أترى خدمة الجمهورية مجزية أيها الضابط ؟ وكم تدر عليك فى سنى اليسر والعسر ؟

جينارو : انى أتولى أمر جماعة من خمسين فارسا يا مولاى ، أقوم بالانفاق عليهم وكسائهم ، وتنقدنى جمهوريتنا الموقرة ألفى دينار من الذهب فى العام ، فضلا عن الغنائم والأسلاب ·

دون ألفونس : واذا منحتك أربعة آلاف ، فهل تقبل الدخول فى خدمتى ؟

جينارو : لا أستطيع يا مولاى ، فلا تزال أمامى خدمة الجمهورية خمسة أعوام · وقد ارتبطت ·

دون ألفونس : ارتبطت ! وكيف ؟

جينارو : بقسمى ·

دون ألفونس : (بصوت خفيض الى دونا لوكريزيا) يبدو أن هؤلاء القوم يبرون بالقسم يا سيدتى (بصوت مرتفع) لنترك الحديث فى هذا الموضوع يا سيد جينارو ·

جينارو : مولاى · ما أقدمت على مجبنة فى يوم من الأيام بغية الظفر بالنجاة ، ولكن بما أنك أبقيت على حياتى ، فلا بأس من أن أذكر لك الآن هذه الواقعة · لعلك تتذكر حصار فاينزا منذ عامين ، حيث تعرض للردى والدك — سمو الدوق هرقل ديست — بيد اثنين من الرماة من آل فالنتينوا ، وكانا يقصدان الى قتله ، فأنقذ حياته جندى مغامر ·

دون ألفونس : نعم · وما استطاع أحد الاهتداء الى هذا الجندى ·

جينارو : أنا ذلك الجندى يا مولاى ·

دون ألفونس : يالله ! أقسم أنها لمأثرة جديرة بحسن الجزاء أيها الضابط ، ألا قبلت منى هذا الكيس من النقود الذهبية ؟

جينارو : اننا نقسم حين نلتحق بخدمة الجمهورية على ألا نقبل مالا من أمير أجنبى ، ولكن اذا أذنت لى يا مولاى أخذت الكيس ووزعت ما فيه باسمى على هؤلاء الجنود البواسل · (مشيرا الى الحراس) ·

دون ألفونس : لك ما تريد · (يتناول جينارو الكيس) ولكن على شرط أن تحتسى معى بعد اذا أصبحنا صديقين حميمين كأسا من نبيـذ سيراكيوز ، وفقا لتقليد قديم سار عليه آبائى وأجدادى ·

جينارو : بكل سرور يا مولاى ·

دون ألفونس : ولكى أحتفى بك كمـا ينبغى لمن أنقذ حيـاة أبى ، فقد اقتضت ارادتى أن تملأ لك الكأس سيدتى الدوقة بنفسها (ينحنى جينارو فى احترام ، ثم يمضى الى مؤخرة المسرح ليوزع المـال على الجنود · ينادى الدوق) روستيجللو !

(يظهر روستيجللو حاملا الصفحة)

ضع الصفحة هناك ، على تلك المنضدة ــ حسنا ·

(يجذب دونا لوكريزيا من يدها) سيدتى ، أنصتى لما أقول لهذا الرجل ــ روستيجللو ، عد الى مكمنك خلف البـاب ، واستل سيفك ، فاذا سمعت رنين هذا الجرس فادخل · انصرف ·

(ينصرف روستيجللو ، ويرى وقد اتخذ مكانه خلف الباب) ،

سيدتى ، هيا ؛ صبى بنفسك كأسا لهذا الشاب ، وعليك أن تصبى له مما فى القنينة الذهبية ·

دونا لوكريزيا : (شاحبة الوجه فى صوت خافت) ليت شـعرى ! لو كنت تعلم ماذا تصنع الآن ،، ومدى بشاعة ما تصنع ، لارتعدت فرائصك من هوله مهما كنت فظا غليظ القلب يا مولاى !

دون ألفونس : عليك أن تتحققى من القنينة ــ حسنا ، أيها الضابط !

(يعود جينارو أدراجه الى مقـدمة المسرح بعـد فراغه من توزيع المال ــ يصب الدوق لنفسه فى احدى الكأسين المصنوعين من الميناء مما فى القنينة الفضية ثم يتناول الكأس ويرفعها الى شفتيه)

جينارو : اننى جد ممنون من عطفك السابغ يا مولاى ·

دون ألفونس : سيدتى ، املئى كأسا للسيد جينارو ، كم تبلغ من العمر أيها الضابط ؟

جينارو : (يتناول الكأس الأخرى ويقدمها الى الدوقة) عشرون عاما ·

دون ألفونس : (بصوت خافت الى الدوقة وهى تحاول أن تأخذ القنينة الفضية) خذى القنينة الذهبية يا سيدتى ٠

(تتناول القنينة الذهبية بيد مرتجفة)

أهكذا ؟ لابد أنك تحب !

جينارو : ومن منا لم تصبه سهام الحب ؟

دون ألفونس : أرأيت يا سيدتى ؟ لعلها كانت قسوة منا أن نحرم هذا الضابط من الحياة والحب وشمس ايطاليا ونضارة العمر فى سن العشرين ، ومن حرفته المجيدة كمحارب ومغامر ، تلك الحرفة التى بدأت بها سائر البيوتات الملكية ، ثم من الأعياد والحفلات التنكرية ومغانى فينيسيا المرحة وهى مسرح خديعة الكثيرين من الأزواج والغيد الحسان ٠ وربما أوقعن فى حبائل حبهن هذا الشاب ، ولا مناص من وقوعهن فى شراك حبه ٠ أليس كذلك يا سيدتى ؟ املئى للضابط كأسا ٠ (فى صوت خفيض) ان ترددت أمرت بدخول روستيجللو ٠

(تصب الكأس لجينارو دون أن تنبس ببنت شفة)

جينارو : شكرا لك يا مولاى اذ أبقيت على حياتى من أجل أمى التعسة ٠

دونا لوكريزيا : (على حدة) يا للهول ؟

دون ألفونس : (وهو يشرب) فى صحتك أيها الضابط ٠ ولتعش سنين عديدة ٠

جينارو : وانى أسأل لك الله المثل يا مولاى ٠ (يشرب)

دونا لوكريزيا : (على حدة) يا للسماء !

دون ألفونس : (على حدة) قضى الأمر !

(فى صوت مرتفع) والآن أتركك يا عزيزى الضابط ، ولك أن تعود الى فينيسيا حين تشاء ٠

(فى صوت خافت الى دونا لوكريزيا) لعلك تشكرينني ياسيدتى اذ هيأت لك فرصة الانفراد به ٠ لا مراء فى أنك ترومين وداعه ٠ عيشى معه ــ ان شئت ــ آخر لحظات حياته ٠

(ينصرف والحراس فى اثره)

المشهد السادس

دونا لوكريزيا ـ جينارو

(لا يزال روستيجللو قابعا فى المقصورة وراء الباب الخلفى)

دونا كريزيا : جينارو ! انك مسموم !

جينارو : مسموم يا سيدتى !

دونا لوكريزيا : أجل مسموم ٠

جينارو : كان على أن أرتاب فى الأمر وقد صببت لى النبيذ بيدك ٠

دونا لوكريزيا : أواه ! لا تثر أحزانى يا جينارو ، ولا تسلبنى بقية من جلد مازلت فى حاجة اليه لبضع لحظات ٠ اصغ الى ، ان الدوق يغار منك ، ويظن أنك عشيقى ، وهو لم يدع لى من خيار آخر الا أن أراك مطعونا بخنجر بيد روستيجللو أو أن أسكب لك السم الزعاف بيدى ، انه سم مخيف يا جينارو ، يشحب لمجرد التفكير فى أذاه وجه كل ايطالى يعى تاريخ السنوات العشرين الأخيرة ٠

جينارو : نعم ، سم آل بورجيا ٠

دونا لوكريزيا : لقد تجرعته ٠ وما من أحد فى العالم يعرف ترياقا لهذا المزيج العجيب سوى البابا والسيد دى فالنتينوا وأنا ٠ أنظر ، أرأيت هذه القنينة التى أحملها دائما خبيئة فى حزامى ؟ هذه القنينة يا جينارو وهى الحياة ، هى العافية ، هى النجاة والسلامة ٠ قطرة واحدة منها على شفتيك فيها نجاتك !

(تريد أن تقرب القنينة من شفتى جينارو فيتراجع)

جينارو : (محملقا فى وجهها) من أدرانى يا سيدتى ؟ فقد يكون مافيها هو السم بعينه ؟

دونا لوكريزيا : (تتهالك بلا وعى على مقعدها) يا الهى ، يا الهى !

جينارو : أو لست لوكريس بورجيا ؟ أتظنين اننى لا أذكر قصة شقيق باجازيه ؟ نعم اننى أعى قسطا من التاريخ ٠ لقد أدخلو فى روعه هو الآخر أن شارل السابع قد دس له السم ، ثم أسقى ترياقا كان فيه مماته ٠ أما اليد التى قدمت اليه الترياق فهى اليد التى تحمل الى هذه القنينة ، وأما اللسان الذى دعاه الى تجرعه فهو الذى يحدثنى !

دونا لوكريزيا : يا لى من امرأة شقية !

جينارو : أصغى الى ياسيدتى · اننى لا أغتر بمظاهر حبك · ما من شك في أنك تنوين بى شرا مستطيرا ، فهذا مالا يحتاج الى بيان ، ولامراء في أنك تعلمين حقيقة أمرى ، وانى لأقرأ على وجهك الساعة أنك على بينة منه ، ومن اليسير على أن أدرك أن ثمة دافع لايقهر قد منعك من مصارحتى بتلك الحقيقة · لابد أن أسرتك على معرفة بأسرتى وربما لا تقصدين من محاولة قتلى الآن بالسم الانتقام منى ، بل الانتقام من أمى ، من يدرى ؟

دونا لوكريزيا : أمك ياجينارو ! لعلك تراها على غير حقيقتها · ما قولك ان هى لم تكن سوى امرأة باغيه على شاكلتى ؟

جينارو : لاتفترى عليها · كلا ، فليست أمى بامرأة على شاكلتك أيتها السيدة لوكريزيا ! ويحى ! اننى لأشعر بها فى فؤادى وأتمثلها فى خاطرى على حقيقتها · اننى أحمل صورتها منذ خرجت الى الدنيا ، وما كنت لأحبها بهذا القدر لو لم تكن جديرة بى · ان قلب الأبن لايخطىء الحكم على شخص أمه ، ولو كان لدى أدنى شك فى أنها تشبهك لكرهتها · كلا ، ان ثمة هاتف فى أعماقى يهتف بأن أمى ليست من أبالسة الزنى بذوى القربى أو قتل الناس بالسم كأمثالك من حسان العصر — رباه ! اننى أومن بهذا كل الايمان ، فلئن كانت تحت القبة الزرقاء ثمة امرأة بريئة ، امرأة فاضلة ، امرأة تقية فهى أمى ! انها لكذلك ولاشىء غير ذلك · انك تعرفينها بلا شك أيتها السيدة لوكريزيا ، ولن تكذبينني فيما أقول أبدا !

دونا لوكريزيا : كلا ، اننى لا أعرف هذه المرأة أو هذه الأم ياجينارو ·

جينارو : ولكن ، ليت شعرى ! الى من أسوق مثل هذا الحديث ؟ وماذا يعنيك من أفراح الأمومة وأتراحها ؟ انك — على مايقال — لم تنجبى ولعلك بهذا سعيدة قريرة العين ، فلو كان لك أبناء لما كان لهم الا أن يبرءوا منك وينكروك ياسيدتى · فما من شقى نبذته السماء يرغب فى مثل هذه الأم أو يتمنى أن يكون ابن لوكريس بورجيا ، وأن يناديها بقوله : يا أمى ! أواه !

دونا لوكريزيا : على رسلك ياجينارو ! انك مسموم ، وقد يعود الدوق — وهو يحسبك ميتا — بين آونة وأخرى · ما كان على الا أن أفكر فى

نجاتك ، وأن أهيىء لك سبيل الهرب ، لكنك تردد أمامي عبارات ـ بالغة الفظاعة ، فلا أملك لدى سـماعها الا أن أجمـد فى مكانى مشدوهة مذعورة ٠

جينارو : سيدتى ٠٠٠

دونا لوكريزيا : كفى ، لابد أن نضع لهذا الموقف حدا ٠ لك أن تغلظ لى القول وأن تسمقنى تحت وطأة زرايتك ، ولكن لاتنسى أنك مسموم، وعليك أن تتجرع هذا الترياق فورا ٠

جينارو : ترى من أصدق ياسيدتى ؟ لامراء فى أن الدوق يضمر لى الوفاء لأننى أنقذت أبـاه ، أما أنت فقد أهنتك ، وفى ذلك مايدعوك الى الانتقام منى ٠

دونا لوكريزيا : أترى أننى أنتقم منك ياجنيارو ؟ ألا اننى أبذل حياتى بأسرها لأطيل من حياتك ساعة ، واننى لأريق كل دمى حتى لاتذرف من عينك دمعة ، وأقتعد الأشواك كيما أجلسك على عرش ، وأرضى بعذاب السعير فداء لأوهى مسراتك ، دون ثمـة تردد أو تذمر ؛ سعيدة ناعمة البـال بتقبيل قدميك ياعزيزى جينـارو ! أواه ؟ لن تعرف شـيئا عن فؤادى الكسير سوى أنك تملأ شغافه ! أى جينارو ، ان الدقائق تمضى والسم يسرى فى عروقك ، وعما قليل ستحس به وبعدها يحم قضاؤك ٠ ان الحياة تفتح أمامك فى هذه الآونة سبيلين مظلمين ، بيد أن سـلوك أحدهما يستغرق منك دقائق تقل عددا عما يستغرقه سلوك الآخر من سـنين ، ومن ثم يتعين عليك أن تقرر أى السبيلين تسلك ٠ الاختيار رهيب ، فدع لى أمر توجيهك رحمـة بى وبنفسك يا جينـارو ٠ اشرب بسرعة ناشدتك الله ٠

جينارو : ليس فى ذلك من بأس ٠ واذا كان فى الأمر ثمة جريمة فوزرها واقع على أم رأسك ٠ ومهما يكن من أمر ، وسـواء كنت صادقة فيما ذكرت أم كاذبة ، فان حيـاتى لا تساوى عناء هذا الجدل الطويل ٠ هات ٠

(يتناول القنينة ويشرب)

دونا لوكريزيا : لقـد نجوت ! والآن عليك أن تنطلق الى فينيسـيا بكل ما أوتى جوادك من سرعة ٠

أمعك نقود ؟

جينارو : أجل ، معى ٠

دونا لوكريزيا : ان الدوق يحسبك فى عداد الموتى ، ولذا سيكون من اليسير اخفاء فرارك ٠ انتظر ! احتفظ بهذه القنينة وأحملها دائما معك ، ففى مثل هذه الأيام التى نعيشها الآن ينبغى أن نتوقع السم فى كل وجبة ، ولاسيما أنت ، فأنت عرضة لهذه الميتة ، والآن اذهب بسرعة ٠

(تقوده الى الباب وتفتحه الى منتصفه)

اهبط على هذ االسلم ، وهو يؤدى بك الى أحد أفنية قصر نيجرونى ومن هناك سيسهل عليك الفرار لاتنتظر حتى صباح الغد، لا تنتظر حتى غروب الشمس ، لا تنتظر ساعة أخرى ، بل لا تنتظر نصف الساعة ! ارحل من فـرار على الفـور ، ارحـل عن فرار كما لو كانت سـدوم تحترق ، واياك أن تنظر خلفك ! وداعا ! انتظر لحظة أخرى ٠ عندى كلمة أخيرة أود أن أقولها لك يا عزيزى جينارو !

جينارو : تحدثى يا سيدتى ٠

دونا لوكريزيا : دعنى أودعك الآن يا جينارو على ألا أراك اطلاقا بعد اليوم، فلا ينبغى أن أفكر قط فى مصادفتك يوما فى طريقى ٠ لقد كان لقائى بك هو سعادتى الوحيدة فى هذا العالم الا أنه يعرضك للموت٠ ها نحن أولاء ــ ويا للأسف ــ نفترق فى الحياة الدنيا الى الأبد ، وانى لواثقة كل الثقة بأننا لن نلتقى فى الآخرة أيضا ٠ أى جينارو ألا من كلمة طيبة أسمعها منك قبل أن تفارقنى الى الأبد ؟

جينارو : (غاض البصر) سيدتى ٠٠٠

دونا لوكريزيا : لقد أنقذت حياتك على كل حال !

جينارو : انك تزعمين ذلك ، الا أن كل ماذكرت حافل بالشك والغموض ، مما يجعلنى فى حيرة من أمرى ٠ اسمعى ياسيدتى ، فى وسعى أن أغفر لك كل شىء ، ماخلا أمرا واحدا ٠

دونا لوكريزيا : وما هو ؟

جينارو : اقسمى أمامى بكل ما هو عزيز لديك ، اقسمى برأسى بما أنك تحبيننى ، اقسمى بخلاص نفسى الى الأبد ، أن آثامك لا دخل لها فيما حاق بامى من تعس وبلاء ٠

دونا لوكريزيا : لقد آليت على نفسى أن أصدقك القول ياجينارو ، ومن ثم لا أستطيع أن أقسم لك على ذلك ٠

جينارو : أماه ! ها هى ذى المرأة الرهيبة التى نسجت خيوط شقائك !

دونا لوكريزيا : جينارو !

جينارو : لقد اعترفت بلسانك يا سيدتى ٠ وداعا ! عليك لعنات الله ٠

دونا لوكريزيا : وعليك بركاته ياجينارو !

(ينصرف جينارو ، وتخر دونا لوكريزيا على المقعد مغشيا عليها)

القسم الثانى

ساحة مدينة فرار • يرى قصر الامارة فى طرف وبيت جينارو فى الطرف الآخر وقد جن الليل •

المشـــهد الأول

دون ألفونس وروستيجللو متشحان بالمعاطف

روسيتجللو : نعم يامولاى • هذا ما حدث • لقد بعثت فيه الحياة بشراب لا أعرف كنهه ثم هيأت له سبيل الهرب عبر فناء قصر نيجرونى •

دون ألفونس : وسمحت بهذا ؟

روسيتجللو : وكيف لى أن أحول دونه ؟ لقد أوصد الباب بالمزلاج ومن ثم صرت حبيسا •

دون ألفونس : كان عليك أن تحطم الباب •

روسيتجللو : أحطم بابا من خشب البلوط ومزلاجا من الحديد ؟ ما أيسره من أمر !

دون ألفونس : لا شأن لى بهذا كله ! كان عليك أن تحطم المزلاج ثم تدخل فتقتله •

روسيتجللو : أولا ، لو أننى استطعت أن أقتحم الباب لكان من المرجح أن تحميه سيدتى كولريزيا بجسدها ، وعند ذاك أجدنى مضطرا الى قتلها هى الأخرى !

دون ألفونس : حسنا ! وماذا ؟

روسيتجللو : لم أتلق منك أمرا بقتلها ٠

دون ألفونس : ان الخادم اللماح ـ ياروســـــيتجللو ـ هو الذى يدرك ما ينشده أميره دون أن يكبده عناء البيان ٠

روسيتجللو : هذا الى أننى خشيت أن أزج بك يامولاى فى صراع مع البابا٠

دون ألفونس : يالك من غبى !

روسيتجللو : كان من الحرج بمكان أن أقتل ابنة الأب المقدس ٠

دون ألفونس : حسنا ٠ أما كان فى مقدورك ـ دون لجوء الى قتلها ـ أن تصيح وتنادى وتخطرنى ، وبهذا تحول بين العشيق وبين الهرب؟

روسيتجللو : نعم ٠ وفى الغد تتصـــالح يامولاى مع ســـيدتى لوكريزيا ، وبعد الغد تأمر السيدة لوكريزيا بدق عنقى ٠

دون ألفونس : كفى ٠ لقد ذكرت لى أننا لم نخسر الجولة بعد ٠

روسيتجللو : نعم ٠ لعلك ترى ضوءا يتسرب من هذه النافذة ، وعليه فان جينارو لم يرحل بعد ٠ ان تابعه الذى كسبته الأميرة الى صفها بالأمس قد اشتريته اليوم وصارحنى بكل شيء ٠ انه الآن فى انتظار سيدة خلف القلعة ومعه جوادان مجهزان ، وسوف ينصرف جينارو عما قليل فيلحق به ٠

دون ألفونس : ان كان الأمر كذلك ، فهيا بنا نتوارى خلف زاوية بيته ، فاذا مر قتلناه فى جنح الظلام ٠

روسيتجللو : لك ما تشاء ٠

دون ألفونس : أحسامك متين ؟

روسيتجللو : نعـــم ٠

دون ألفونس : أمعك خنجر ؟

روسيتجللو : هنا شيئين يامولاى يتعذر عليك أن تلقاهما تحت الشمس ايطالى بلا خنجر وايطالية بلا عشيق ٠

دون ألفونس : حسنا ٠ فلتضربن بكلتا يديك ٠

روسيتجللو : سيدى الدوق ، لم لا تكتفى بألقاء القبض عليه ثم تأمر باعدامه بناء على قضاء الامارة

دون ألفونس : انه من رعايا فينيسـيا • وهذا يعنى اعـلان الحرب على الجمهورية • حسبه طعنة خنجر لايدرى أحد من أين سـددت ، ولا تعرضنا للمخاطرة ، كان السم ولاشك وسيلة أفضـل ، لكنه أفلت منه •

روسينجللو : أتحب اذن يامولاى أن استقدم أربعة من العسس يجهزون عليه ، وهذا يكفيك مؤونة اقحام نفسك فى هذا الحديث ؟

دون ألفونس : كثيرا ماذكر لى السـيد مكيافيلى يا عزيزى أن من الخير للأمراء فى مثل هذه الظروف أن يتولوا أمورهم بأنفسهم •

روسيتجللو : أسمع وقع أقدام يا مولاى •

دون ألفونس : لنقف بحذاء هذا الجدار •

(يختبئان فى جنح الظلام تحت الشرفة ــ يظهر مافيو مرتديا كسوة الحفلات قادما وهو يدندن ، ويطرق باب جينارو) •

المشـهد الثانى

دون ألفونس وروسيتجللو (مختبئين) ــ مافيو ــ جينارو

مافيو : جينارو ! (ينفرج الباب ويظهر جينارو)

جينارو : أهذا أنت يامافيو ــ أدخل •

مافيو : لا ، عندى كلمتان أود أن أسربهما اليك • أحقا لن تأتى معنـا للعشاء هذا المساء على مائدة الأميرة نيجرونى ؟

جينارو : لست مدعوا الى هذه المأدبة •

مافيو : سوف أقدمك •

جينارو : هناك سبب آخر ينبغى أن أنبئك به • انى مسافر •

مافيو : مسافر ؟ وكيف كان ذلك ؟

جينارو : مسافر بعد ربع الساعة •

مافيو : ولماذا ؟

جينارو : سأجلو لك الأمر فى فينيسيا .

مافيو : تراها مسألة حب ؟

جبنارو : نعم . انها مسألة حب .

مافيو : انك تسىء التصرف يا جينارو . لقد تعاهدنا على ألا يترك أحدنا صاحبه . تعاهدنا على أن نكون أخوين لايفترقان أبدا ، ولكنى أراك تسافر وحدك .

جينارو : تعال معى !

مافيو : بل تعال أنت معى ، فمن الأفضل أن نقضى ليلتنا على مأدبة عشاء بصحبة غيد حسان ومدعوين ظرفاء ، بدلا من قضائها بين قطاع الطرق والأخوار .

جينارو : لم تكن فى الصباح مطمئنا غاية الطمأنينة الى صاحبتك ، الأميرة نيجرونى .

مافيو : لقد استخبرت عنها فوجدت أن جيبو قد أصاب فيما قال ، انها امرأة فاتنة مرحة تهوى الموسيقى والشعر ، لا أكثر ولا أقل ، هيا . تعال معى .

جينارو : لا أستطيع .

مافيو : كيف ترحل هكذا فى دجى الليل ؟ اننى أخشى عليك من القتل .

جينارو : اطمئن بالا ! وداعا ! أرجو لك فيضا من السعادة والمتعة .

مافيو : أخى جينارو . انى أتوجس خيفة عليك من هذه الرحلة .

جينارو : أخى مافيو ، وأنا بدورى أتوجس خيفة عليك من هذه المأدبة .

مافيو : قد يصيبك مكروه ولا أكون بجوارك .

جينارو : وقد ألوم نفسى فى غد على تركك هذا المساء . من يدرى ؟

مافيو : لنعقد العزم على ألا نفترق ، ولينزل كل منا بعض الشىء على رأى صاحبه ، فتأتى معى هذا المساء الى مأدبة الأميرة نيجرونى ، على أن نرحل سويا فى الغد مع تباشير الصباح . أموافق أنت ؟

جينارو : دعنى أسرد عليك يا مافيو مادفعنى الى هذا الرحيل المفاجىء ، وسوف ترى أننى على حق .

(ينفرد بمافيو ويسر فى أذنه كلاما)

روسيتجللو : (فى أسفل الشرفة يحدث دون ألفونس بصوت خافت)
أأنقض عليه يامولاى ؟

دون ألفونس : (بصوت خفيض لنرى حتى نهاية المشهد) .

مافيو : (ينفجر ضاحكا بعد سماع حديث جينارو) أتريد رأيى ياجينارو؟ لقد غرر بك ، فليس فى هذه المغامرة ثمة سم أو ترياق ، وما هى الا فاصل هزلى لا أكثر ولا أقل ، ان السيدة لوكريزيا متيمة بحبك وتود أن تدخل فى روعك أنها أنقذت حياتك ، ولعلها تأمل من وراء ذلك أن تنزلق بلطف من مشاعر عرفانك بجميلها الى اسار حبها . ان الدوق رجل ساذج طيب القلب ، لايجرؤ على دس السم أو الاغتيال . هذا الى أنك انقذت أباه وهو عليم بذلك . أما الدوقة فهى تريد رحيلك ، وفى ذلك مصلحتها الكبرى ، فلا مراء فى أن غرامها بك سيجد فى فينيسيا مرتعا أشد خصوبة مما فى فرار ، لأن زوجها لاينى هاهنا عن مضايقتها بعض الشىء ، أما عن عشاء الأميرة نيجرونى فسوف تجده شهيا . يا للشيطان ! قمين بالمرء مهما كانت الظروف والأحوال ألا يشتط فى حكمه وأن يزن الأمور بميزان العقل . انك تعلم أن الحذر من شيمتى كما أننى أصدق النصح ، ولئن حدث أن دس آل بورجيا السم لبعض خلصائهم مرة أو مرتين ، فليس هذا بمبرر يجعلنا نرفض الدعوة الى الولائم على الاطلاق ، أو أن نتوقع دائما السم الزعاف فى نبيذ سيراكيوز العجيب ، أو أن نتصور لوكريس بورجيا وراء تصرفات سائر أميرات ايطاليا الحسان . الا أن ما تزعمه لهو ضرب من الهذيان والخيال ، ولو كان الأمر كذلك لما استطاع أن يأمن على مشربه ، أو يطمئن الى مأكله ، سوى الأطفال الرضع ، قسما بهرقل ياجينارو . اما أن تعود طفلا فترضع واما أن تأتى للعشاء معى .

جينارو : حقا . ان فى الهرب فى جنح الليل شيئا من الغرابة . اننى أبدو كما الخائف المذعور ، ولئن كان فى البقاء ثمة خطر ، فلا ينبغى أن أترك مافيو وحيدا فى خضمه . فليكن مايكون فما هى الا مغامرة كمثيلاتها من المغامرات . انى موافقك ، وسأذهب معك ، وعليك أن تقدمنى الى حبيبتك الاميرة نيجرونى .

مافيو : (ممسكا بيد جينيارو) أقسم انك الصديق الوفى ! (ينصرفان

معا ويبتعدان من طريقهما الى نهاية الساحة. يخرج دون الفونس وروستيجللو من مخبئهما) .

روستيجللو : (مستلا سيفه) هيا ، ماذا تنتظر يا مولاى ؟ انهما اثنان ليس غير . تول الاجهاز على غريمك ، وسأفتك أنا بصاحبه !

دون الفونس : لا ياروستيجللو ! انهما ذاهبان للعشاء لدى الاميرة نيجرونى ، لو أعلم خبيئة ما يدبر ..

(يتوقف عن حديثه ويبدو حالما للحظة ، ثم ينفجر ضاحكا) .
أقسم ان فيما يدبر تحقيق الارب ، وأننا سنشهد مغامرة طريفة فلننتظر الى الغد .

(يعودان الى القصر) .

الفصل الثالث

أموات سكارى

قاعة فخمة فى قصر آل ينجــرونى • الى اليمين باب خفى ، وفى المؤخرة باب كبيــر واسع ذو ضلفتان ، وفى الوسط مائدة رائعـة الاعداد على طريقة القرن السادس عشر ، وفى هذا الاطار يجول حجاب صفار سود يرتدون حللا من الدمقس المطرز بالذهب • ينفـــرج الستار عن مائدة الطعام وقد جلس اليها اربعة عشر مدعوا هم : جيبو ، مانيو ، اسكانيو ، أولوفرنو ، أبوستولو ، جنيارو ، جوبتيا • ثم سبع من الغيد الحسان فى أبهى حـــليهن • الرجال منكبون جميعا على الطعام والشراب ، كل يتضاحك مع رفيقته فى ضجيج وصخب ، ماخلاجنيارو ، فقد بدا شارد اللب ساهما •

المشــهد الأول

جيبو ــ مافيو ــ اسكانيو ــ دون أبوســتولو ــ جوبيتــا ــ جينارو ــ سيدات وحجاب ٠

اولوفرنو : (رافعا كأسه) ليحيا نبيذ اكسريزه ! لا مراء فى أن اكسريز هى احدى مدائن الجنة ٠

مافيو : (رافعا كأسه) هذا النبيذ الذى نحتسيه خير مائة مرة من قصصك التى ترويها لنا ياجيبو ٠

اسكانيو : يصاب جيبو بداء رواية القصص حين تلعب الخمر برأسه.

دون أبوستولو : لقد حدث ذلك بالأمس فى فينيسيا ، وكنا لدى سمو الدوق بارباريجو ، ترى ماذا سيروى اليــوم ونحن فى فرار على مائدة الاميرة الملائكية نيجرونى ؟

جيبو : كانت قصة الامس مفجعة أما قصة اليوم فمبهجة .

مافيو : أتراها قصة مبهجة ياجيبو ؟ ليت شعرى ! كيف تأتى لــدون سيليكو ــ وهو فارس وسيم فى الثلاثين من عمره ــ أفنى ماورث عن ذويه فى الميسر ، أن يقترن بالمركيزة الثرية كالبورينا وهى التى سلخت من العمر ثمانية واربعين سنة . أترى فى هــذا ــ بحق باخوس ــ أمرا مبهجا ؟

جوبيتا : انه أمر محزن وشائع أن يقترن رجل مفلس بعجوز محطمة، وهذا ما نشهده كل يوم .

(يأخذ فى تناول الطعام ــ ينهض البعض من المائدة بين حين وآخر فيأتون الى مقدمة المسرح للحديث بينما الوليمة ممدودة) .

الأميرة نيجرونى : (مخاطبة مافيو وهى تشير الى جينارو) سـيدى الكونت آورسينى ، أرى معك صديقا يخيل الى أنه حزين مهموم

مافيو : هـــذه حاله على الدوام يا ســـيدتى ، وأرجـو أن تغفرى لى استصحابه دون أن توجهى اليه شرف دعوتك · أنه أخ فى السلاح لقد أنقذ حياتى فى حصار ريمينى ، ثم تلقيت عنـــه فى معـركة جسر فيسين طعنة سيف كانت مسددة اليـه · اننا نعيش سويا ولا نفترق أبدا ، ولقـد تنبأ أحد العرافين الغجر بأننـا سـنموت فى يوم واحد .

الأميرة نيجرونى : (ضاحكة) ألم يذكـر لكما ان كان ذلك سـيحدث صباحا أم مساء ؟

مافيو : قال سيحدث صباحا ·

الأميرة نيجرونى : (غارقة فى الضحك) ان عرافك يهرف بما لا يعرف وهل تحب هذا الشاب حبا جما ؟

مافيو : بقدر ما يستطيع رجل أن يحب رجلا آخر .

الاميرة نيجرونى : حسنا . لعل كلا منكما يسد حاجة صـــاحبه الى العاطفة . ما أسعدكما .

مافيو : ان الصداقة لا تملأ ـ يا سيدتى ـ جميع شغاف القلب ·

الأميرة نيجرونى : ربما · وما الذى تراه يملأ شغاف القلب ؟

مافيو : الحب .

الاميرة نيجرونى : ان لفظ الحب دائما على فمك .

مافيو : أما أنت ففى عينيك .

الاميرة نيجرونى : انت عجيب !

مافيو : وانت جميلة (يطوقها بذراعه) ·

الاميرة نيجرونى : دعنى ياسيدى الكونت .

مافيو : هل لى أن أطبع على يدك قبلة .

الأميرة نيجرونى : لا · (تنسل من ساعديه) ·

جوبتيا : (مخاطبا مافيو) أراك ذا حظوة لدى الأميرة ·

مافيو : اننى لا أسمع منها على الدوام سوى كلمة لا .

جوبتيا : أن كلمة لا فى فم المرأة تعنى كلمة نعم .

جيبو : (مباغتا مافيو) ما رأيك فى سيدتى الاميرة نيجرونى ؟

مافيو : انها خليقة بالعبادة ـ بينى وبينك ـ لقد بدأت تنهش نياط قلبى .

جيبو : وعشاؤها ؟

مافيو : وليمة بمعنى الكلمة .

جيبو : اخبرك ان الاميرة أرملة .

مافيو : هذا ما يفصح عنه مرحها واشراقها .

جيبو : الم تعد تتوجس خيفة من عشائها ؟

مافيو : أنا ؟ وكيف ذلك ؟ لقد كنت مجنونا .

جيبو : (مخاطبا جوبيتا) أتصدق أن مافيو كان يخشى المجىء لتناول العشاء على مائدة الاميرة ؟ .

جوبيتا : يخشى ؟ ولماذا ؟ —

جيبو : لأن قصر الأميرة يلاصق قصر بورجيا .

جوبيتا : ليذهب آل بورجيا الى الشيطان . دعنا لشرابنا .

جيبو : (مخاطبا مافيو فى صوت خفيض) ان ما يعجبنى فيمن يدعى بلفيرنا هو مقته لآل بورجيا .

مافيو : (بصوت خافت) فى الحق ما من فرصة الا بعث بهم الى الشيطان فى منتهى الصراحة على أننى ياعزيزى جيبو .

جيبو : ماذا ؟

مافيو : اننى أرقب منذ بدء العشاء هذا الاسبانى المزعوم ، فلاحظت أنه لم يحتس حتى اللحظة سوى الماء القراح .

جيبو : أرى الهواجس تساورك مرة أخرى ياصديقى مافيو ، وغـدا حديثك عن النبيذ مملا بشكل غريب .

مافيو : ربما كنت مصيبا فيما تقول . لقد جننت .

جوبيتا : (عائدا الى مجلسه وهو يحملق فى مافيو من قمة رأسه الى أخمص قدميه) أو تعلم ياسيد مافيو أنك خلقت لتعيش تسعين عاما ؟ انك كثير الشبه بجد من أجدادى عاش هذا العمر ، وكان اسمه كأسمى جيل باسيليو فرنان ايرنيو فيليب فراسـكو فراسكيتو كونت دى بلفيرانا .

جيبو : (مخاطبا مافيو بصوت خفيض) لعلك لا ترتاب بعد الآن فى كونه اسبانيًا .

انه يحمل من أسماء العماد مالا يقل عن عشرين اسما ، يالها من ديباجة مملة يا سيد دى بلفيرانا .

جوبتيا : لقد اعتاد أجدادنا ـ ويا للاسف أن يمنحونا عند العمـــاد أسماء تزيد على ما ينقدوننا من دنانير عند الزواج ، ولكن ماالذى يضحكهم هناك ؟

(على حدة) لابد أن نلتمس عند السيدات ذريعة للانصراف .

ترى ما العمل ؟

(يعود فيجلس الى المائدة)

أولوفرنو : (وهو يعب كأسه) قسـما بهرقل يا سادتى . ماقضيت فى حياتى سهرة ممتعة كسهرتنا هذه .. تذوقن ياسيداتى من هذا النبيذ ، فهو أحلى من نبيذ لاكريما كريستى ، واحر من النبيذ القبرصى ، هذا نبيذ سيراكيور أيها السادة .

جوبتيا : (ملتهما طعامه) يخيل الى أن الخمر قد لعبت برأس أولوفرنو

أولوفرنو : أرى لزاما على يا سيداتى أن أسمعكن بعض أبيات من الغزل نظمتها الآن .

ليتنى أوتيت مزيدا من الشاعرية حتى أستطيع الاشادة بمثـل هذه الوليمة .

جوبتيا : أما عن نفسى ، فليتنى أوتيت مزيدا من الثراء حتى استطيع دعوة الاصدقاء الى مثل هذه الوليمة .

أولوفرنو : ما من شىء أحلى من التغنى بامرأة جملية وأكلة شهية !

جوبتيا : اللهم الا عناق الاولى والتهام الثانية !

أولوفرنو : نعم نعم . ليتنى كنت شاعرا حتى أحلق فى السماء . ليت لى جناحين ..

جوبتيا : هذا الديك البرى الذى يملأ صحنى .

أولوفرنو : سأسمعكم قصيدتى على أية حال .

جوبيتا : على رسلك ياسيدى المركيز أولوفرنو فينيللوزو ، انى انهاك بحق الشيطان عن اسماعنا قصيدتك ودعنا لشرابنا !

أولوفرنو : أتنهانى عن اسماعكم قصيدتى ؟

جوبتيا : مثلما أنهى الكلاب عن عضى والبابا عن مباركتى والمارة عن قذفى بالحجارة ..

أولوفرنو : بعزة الله ! انك تشتمنى أيها الاسبانى القصير الحقير .

جوبتيا : اننى لا اشتمك أيها العملاق الايطالى العظيم ، بل ارفض فقط أن أعير قصيدتك اى انتباه لا أكثر ولا أقل ان حلقى لاكثر شوقا للنبيذ القبرصى من أذنى لسماع القريض .

أولوفرنو : سأصلب أذنيك ايها القسطلانى البالى على كعبى حذائى .

جوبتيا : انت غر سفيه ، ارأيتم من قبل مثل هذا الغبى الاخرق ؟ يجرؤ على احتساء نبيذ سيراكيوز ، وهو الذى يبدو عليه السكر اذا عب قدحا من الجعة .

أولوفرنو : بحق الله ! سأقطعن جسدك الى ارباع .

جوبتيا : (وهو يقطع الديك) لن أعاملك بالمثل ، فاننى لا اقطع طيورا ضخمة على شاكلتك أيتها السيدات ، أترون أن أقدم اليكن قطعة من لحم هذا الديك البرى ؟

أولوفرنو : (منقضا على السكين) والله لأبقرن بطن هذا المأفون ولو كان أعلى من الامبراطور قدرا .

السيدات : (ناهضات من حول المائدة) يا للسماء ! سوف يتقاتلان !

الرجال : هدىء من روعك يا أولوفرنو !

(يتكاثرون عليه وينتزعون منه السكين ، وكان يريد أن ينقض به على جوبتيا ، وعند ذاك تختفى النسوة من الباب الجانبى).

أولوفرنو : (مقاوما) بجلال الله .

جوبتيا : اراك غزير النظم فى قافيه الله ياعزيزى الشاعر مما حمل النسوة على الفرار . يالك من أخرق مغرور !

جيبو : هذا صحيح . ترى ماذا دهاهن بحق الشيطان ؟

مافيو : لقد استبد بهن الخوف . فحين يلمع نصل السكين تفر المرأة .

اسكانيو : تبا لك . سوف يعدن .

أولوفرنو : سألقاك فى الغد يا صغيرى بلفيرانا يا ربيب الشيطان !

جوبتيا : غدا كما يروق لك .

(يعود أولوفرنو الى مقعده وهو يترنح من فرط الغيظ فينفجر جوتيتا ضاحكا) ما أشد غباءه يحمل أجمل نساء فرار على الفرار ملوحا بسكين ملفوف فى قصيدة غزل ، وتثور ثائرته من أجل القريض ! انى على يقين بأنه ذو جناحين ، فما هو بانسان بل هو فرخ صغير ، ولا شك عندى فى أن المدعو ، أولوفرنو يعشش على الشجر ، وينام واقفا على رجل واحدة .

جيبو : مهلا ، مهلا ، هدئا من روعكما ، فسوف يتسنى لكل منكما أن يطيح برأس صاحبه برجولة وشهامة فى صباح الغد ، وحسبكما انكما ستتقاتلان بالسيوف شأن النبلاء وليس بالمدى .

اسكانيو : وبهذا الصدد ماذا فعلنا بسيوفنا ؟ .

دون أبوستولو : أنسيت أنهم طلبوا الينا تركها فى الغرفة المجاورة .

جوبتيا : وكانت حيطة فى محلها ، ولولا هذا لتقاتلنا امام النساء مما تحمر له وجوه أهل الفلاندر فوق احمرارها نشوة التبغ !

جينارو : حقا انها حيطة فى محلها .

مافيو : ما أعجب امرك يا أخى جينارو . هذه اول عبارة تنطق بها منذ بدأنا العشاء دون أن تشاركنا الشراب . تراك تفكر فى لوكريس بورجيا ؟ لقد تولهت بها بلا نزاع يا جنيارو . لا تحاول الانكار .

جينارو : املأ كأسى يامافيو . فلما تخلفت يوما عن الصخب فى مجلس الطعام والشراب الا لتلبية نداء الحرب .

(حاجب اسود يحمل فى يديه قنينتين) .

أتريدون ياسادتى نبيذ قبرصى أم نبيذ سيراكيوز ؟

مافيو : نريد نبيذ سيراكيوز فهو خير الانبذة .

(يملأ الحاجب الاسود الكئوس جميعا)

جيبو : ألا سحقا لاولوفرنو . ترى هل تعود الحسناوات ؟

(يتجه الى الأبواب واحدا تلو الآخر) ان الأبواب مغلقة من الخارج يا سادة !

مافيو : لا تنزعج بدورك يا جيبو . هن لا يرون أن نتعقبهن ، هذا هو كل ما فى الامر .

جوبتيا : الى الخمر يا سادة (تتقارع الكئوس)

مافيو : فى صحتك ياجينارو . وليلتئم شملك فى القريب بأمك .

جينارو : ليستجب المولى لدعائك .

(يشرب الجميع ما خلا جوبتيا ، فقد سكب الكأس من وراء كتفه)

مافيو : (مخاطبا جيبو فى صوت خافت) لقد تبينت الخديعة ياجيبو .

جيبو : (بصوت حفيض) ماذا ؟

مافيو : لم يشرب الاسبانى كأسه .

جيبو : حسنا ، وبعد ؟

مافيو : لقد سكب النبيذ وراء كتفه .

جيبو : لعل الخمر قد لعب برأسه وبرأسك أيضا .

مافيو : هذا جائز .

جوبيتا : انشودة السكارى ياسادة ، سأنشدكم انشودة السكارى فهى خير الف مرة من قصيدة المركيز أولوفرنو . أقسم لكم برأسى أبى اننى لست ناظمها ، فما أنا بشاعر ، وليس لى تلك القريحة النيرة فى نظم القوافى فى ختام الافكار .

هاكم انشودتى ، انها موجهة الى السيد القديس بطرس حارس باب الجنة الشهير ، وهو تعبير عن فكرة لطيفة ؛ تقول بأن سماء الله ملك للسكارى !

جيبو : (بصوت خافت الى مافيو) لقد أفرط فى الشراب .

الجميع : (هاتفين ما خلا جينارو) الانشودة . الأنشودة ..

جوبيتا : (منشدا) افتح الباب أيها القديس بطرس

للسكير الذى أتاك بصوته

الجهورى منشدا .. الله ، الله !

الجميع : (مرددين ما عدا جينارو) المجد لله)

جوبتيا : للسكير المنشد المطروب

الذى أتاك ببطنه العظيم

حتى ليشك من يراه حين دخوله

أهو انسان أم برميل

الجميع : (مرددين ما عدا جينارو) المجد لله !

(يتقارعون الكئوس وهم يضحكون ملء أفواههم، وفجأة يسمعون أصوات بعيدة ترتل لحنا حزينا)

أصوات من الخارج : «اسمه قدوس رهيب · رأس الحكمة مخافة الله»

جيبو : (غارقا فى الضحك) أنصتوا يا سادة ، بينما نتغنى بأنشودة السكارى يردد الصدى صلاة الغروب ·

الجميع : صه ···

(أصوات من الخارج تدنو رويدا وتردد « ان لم يحرس الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس » — يضج الجميع بالضحك) ·

جيبو : انها تراتيل كنسية أصيلة ·

مافيو : لعلها جنازة تمر ·

جينارو : جنازة فى منتصف الليل ؟ لقد تأخر بها الوقت ·

جيبو : تبا لك ! واصل انشادك يا سيدى بلفيرانا ·

(أصوات من الخارج تزيد اقترابا وتردد « لها عيون ولا تبصر ، لها آذان ولا تسمع ، لها أنف ولا تشم » · تشتد عاصفة الضحك بين الجميع) ·

جيبو : ما أشد عجيج هؤلاء الرهبان !

مافيو : أرأيت يا جينارو ؟ ان نور المصابيح يخبو من حولنا ، وعما قليل سنغدو فى ظلام دامس ·

(تشحب المصابيح كأنما فرغ زيتها — أصوات من الخارج تشتد اقترابا وتردد) ·

« لها يد ولا تلمس ، لها أرجل ولا تمشى ، ولا تصوت بحناجرها »

جينارو : يخيل الى أن الأصوات تدنو منا ·

جيبو : كأننى بالموكب يمر فى هذه اللحظة تحت النوافذ ٠

مافيو : ان ما نسمع هو صلاة الموتى ٠

اسكانيو : بل هى مراسم الدفن ٠

جيبو : لنشرب فى صحة من يوارونه التراب ٠

جوبيتا : من أدراكم ؟ ربما كانوا كثارا ٠

جيبو : حسنا ٠ لنشرب فى صحتهم جميعا ٠

أبو ستولو : (مخاطبا جوبيتا) مرحا ، مرحا لنواصل ابتهالاتنا الى القديس بطرس !

جوبيتا : تحدث عنه بمزيد من الأدب ، وقل الى السيد القديس بطرس حارس باب الجنة الموقر ٠ (منشدا) ٠

ان كان للقديس ما لذ وطاب

فالسماء ملك للسكارى الذين

لا هم لهم الا الشراب على الأنغام

الجميع : (مرددين) الا الشراب على الأنغام ٠

جوبيتا : ان كان نهر الكوثر ، الذى يغمر

ساحتك ، من نبيذ اسبانيا

فحولنا الى أسماك

الجميع : (وهم يتقارعون الكئوس بين رنين الضحكات) فحولنا الى أسماك !

(ينفتح باب المؤخرة وئيدا على مصراعيه ، فتظهر من خلفه قاعة فسيحة مجللة بالسواد تضيئها المشاعل ، وفى صدرها صليب كبير من الفضة ، يدلف من الباب الكبير حشد طويل من تلامذة الدير بين سود وبيض ، لا يستبين الرائى من خلال ثقوب بردهم سوى العيون ، يحملون على رؤوسهم الصليب ، وفى أيديهم المشاعل ٠

ويرتلون فى صوت جهورى ونبرات حزينة ٠

« من الأعماق صرخت اليك يا رب »

ثم يصطفون فى صمت على جانبى القاعة ، ويظلون هكذا بلا حراك كالأصنام ، بينما يتطلع اليهم النبلاء الشبان فى فزع وذعر)

مافيو : ما معنى هذا ؟

جيبو : (متظاهرا بالمرح) مجرد دعابة ! انى أراهن بجوادى فى مقابل خنزير ، وبلقب أسرتى دى ليفيرتو فى مقابـل لقب بورجيا ، على أن رفيقاتنا الحسان قد تنكرن فى هذا الزى كيما يعجمن عودنا ٠

ولئن أزحنا عفوا احدى هذه البرد لرأينا من تحتهـا وجه حسناء مكير نضير ، سوف أريك ٠

(يتقدم ، فيرفع احدى القلنسوات ، فيجمد فى مكانه ٠ فقد رأى من تحتها وجه راهب عبوس ٠ يقف ساكنا مسبل العينين حاملا مشعله ٠ تسقط القلنسوة من يد جيبو ويتراجع الى الوراء) لقد بدأ الموقف يبدو غريبا ٠

مافيو : لا أدرى لم تجمد الدم فى عروقى !

تلاميذ الدير : (يرتلون فى صوت مدو) «هز الرؤوس فى أرض الكثيرين»

جيبو : ياله من شرك رهيب ! أين سيوفنا ؟ أين سيوفنا ؟ أواه ! لقد عرفت يا سادة : نحن الآن فى عرين الشيطان ٠

المشـــهد الثانى

نفس الأشخاص ـ دونا لوكريزيا

دونا لوكريزيا : (تظهر بغتة على عتبة الباب متشحة بالسواد) أنتم هنا هنا فى بيتى !

الجميع : (ماخلا جينــارو ــ وكان يشــهد ما يدور فى ركن من أركان المسرح ، فغشيت عنه عينا لوكريزيا) لوكريس بورجيا ؟

دونا لوكريزيا : منذ أيام كنتم جميعا ــ نفس الحاضرين هنا ــ ترددن هذا الاسم فى نشوة النصر ، أما اليوم فتذكرونه بفزع وهول · أجل ، قمين بكم أن تتطلعوا الى بأعين جــامدة من فرط الرعب · أنا لوكريس بورجيا بعينها أيها السادة ، أتيت لأنبئكم بخبر · أنتم مسمومون أيها النبلاء · وليس فيكم من بقيت من حيــاته ساعة واحدة · لا تتحركوا من أماكنكم ، فان القاعة المجاورة غاصة بالجند من حملة الحراب · والآن ، حان دورى كى أرفع صوتى ، وأسحق رؤوسكم تحت كعب حذائى ! هيا ، ياجيو ليفيريتو لتلحق بعمــك فيتللى من أمرت بالاجهــاز عليه بطعنة خنجر فى أقبيــة الفاتيكان · واذهب أنت يا اسكانيــو بتروتش للقــاء ابن عمك باندولو الذى صرعته لأسلبه مدينته ! وأنت يا أولوفرنو فيتللوزو، إن ابن عمك فىانتظارك· فلا شكأنك تعرف حقالمعرفة ياجودابيانى من قتلته بالسم فى احدى الولائم · وأنت يامافيو أورســينى ، امض فتحدث عنى فى العالم الآخر مع أخيك دى جرافينا من قضيت عليه وهو يغط فى سباته ! أما أنت يا أبو ستولو جازيللا فقــد أطحت برأس أبيك فرانســـكو جازيللا ، وذبحت ابن عمــك الفونس داراجون فاذهب لتلحق بهما ! أشــهد أنكم أقمتم لى حفلا راقصا فى فينيسيا · وهأنذا أرده حفل عشاء فى فرار ، حفــلا لقاء حفل أيها النبلاء ·

جيبو : يالها من صحوة قاسية يا مافيو !

مافيو : لنلتمس رحمة الله

دونا لوكريزيا : ويحكم أيها الشباب ! أصدقاء الكرنفال الأخير ! أما كنتم تتوقعون هذه الخاتمة ؟ يالله ! يخيل الى أننى أنتقم ، فما قولكم أيها السادة ؟ من منكم يبزنى فى هذا المضمار ؟ أرى أنه أسلوب لا ضير فيه بالنسبة لامرأة ! ما قولكم فيه ؟

(مخاطبة الرهبــان) أيها الآباء ، قودوا هؤلاء الســادة الى القاعة المجاورة وهى معدة ، تلقوا اعترافاتهم ، واغتنموا ما بقيت لهم من لحظات أخيرة ، لتنقذوا فى كل ما يستطاع انقاذه · أيها السادة ، من كانت له روح فليتفكر فيما ينبغى لها ، ولتطمئنوا بالا ، فان أرواحكم بين أيد أمينة ، فهــؤلاء الآباء الموقرون ، هم رهبـــان القديس سيفيت ، ولقد أذن لهم البابا ـ أبونا المقدس ـ بمعاونتى فى مثل هذه الأحوال · وكما عنيت بأرواحكم فقد عنيت كذلك بأمر أجسادكم · انظروا ·

(مخاطبة الرهبان الذين يقفون أمام باب المؤخرة)

ـ أفسحو الرهبان أيها الآباء حتى أرى هؤلاء السادة ·

(يتفرق الرهبان فتظهر خمسة توابيت ، مغطاة بالجوخ الاسود ، مصوفة أمام الباب)

ـ العدد كاف ، فلدينا توابيت خمسة ، تبا لكم أيها الشبان !
أتنتزعون أحشاء امرأة شــقية ولا تظنونهـــا تنتقم ! هذا تابوتك ياجيبو وذاك تابوتك يا مافيــو ، أولوفونو ، اســكانيو ؛ هذه توابيتكم ·

جينارو : (يتقدم خطوة بعد ما ظل حتى اللحظة بعيدا عن أنظار لوكريزيا)
لابد من تابوت سادس يا سيدتى !

دونا لوكريزيا : يا للسماء ! جينارو !

جينارو : هو بعينه ·

دونا لوكريزيا : انصرفوا من هنا جميعا ودعونا وحدنا ـ جوبيتا ، آمرك ألا يدخل علينا أحد مهما حدث ، ومهما بلغ أسماعكم فى الخارج مما يجرى هنا !

جوبيتا : كفى !

(يخرج موكب الرهبان وقد سار بين صفوفه النبلاء الخمسة فى ترنح وذهول)

المشـــهد الثالث

جينارو ـ دونا لوكريزيا

القاعة موصدة الأبواب ، يكاد ضوؤها لا **يعدو بضع مصابيح ذاوية ـ دونا لوكريزيـا وجينارو وحدهما ، يتطلع كل منهما الى الآخر في صمت ، كأنما لا يـــدرى من أين يبدأ حديثه ٠**

دونا لوكريزيا : (محدثة نفسها) انه جينارو !

ترتيل الرهبان : (فى الخارج) « ان لم يشـــيد الرب بيتى فلا جدوى ممن يعملون على تشييده » ٠

دونا لوكريزيا : ماذا أرى ؟ جينارو مرة أخرى ! دائما أنت تحت وطأة ما أسدد من ضربات ! برب السماء ! ماذا أقحمك فى هذا المجال ؟

جينارو : كنت فى ريب من كل ما يجرى ٠

دونا لوكريزيا : لقد تجرعت السم مرة أخرى ، ومن ثم ستموت !

جينارو : لو أردت ـ ان لدى الترياق ٠

دونا لوكريزيا : آه ، نعم ٠ حمدا لله !

جينارو : سؤال يا سيدتى بما أنك خبيرة بهذه الأمور ٠ أفى هذه القنينة من الترياق ما يفى بنجاة النبـــلاء الذين أودى بهم رهبانك الى المقبرة ؟

دونا لوكريزيا : (تفحص القنينة) يكاد ما فيها يكفيك وحدك يا جينارو ٠

جينارو : أما فى استطاعتك أن تدبرى على الفور قنينة أخرى ؟

دونا لوكريزيا : لقد أعطيتك كل ما عندى ٠

جينارو : حسنا !

دونا لوكريزيا : أى جينــــارو ، ماذا تنتظر ؟ أسرع · لاتله باللعبـــة الخطيرة · عجل تناول الترياق · تجرعه بحق السماء ! رباه ! لقد أتيت فعلة حمقاء ! أنج بنفسك · سأخرجك من القصر من باب خفى أعرف موضــعه ، ومازال فى المقدور اصــلاح ما فســد · لقد أقبل الليل · ستعد لك الجياد عما قليل ، وغدا فى الصباح تكون بمنأى عن فرار · ألم يجر فيها من الاحــداث ما روعك ؟ اشرب الترياق ثم أنصرف · لابد أن تعيش ! لابد من انقاذك !

جينارو : (يتناول مدية من فوق المنضدة) وهذا يعنى موتك !

دونا لوكريزيا : كيف ؟ ماذا تقول ؟

جينارو : أقول انك دسست السم فى غدر ونذالة لخمسة من النبلاء هم من رفاقى بـــل هم خيرة الرفاق ، بينهم أخى فى الســـلاح مافيــو أورسينى ، أنقذ حياتى فى واقعة فيسين ، ومن أشاطره ما يلحق به من أذى وما يقدم عليه من انتقام ، أقول انك قد أتيت أمرا نكرا ، وحق على الثأر لمافيو ولسائر الرفاق ، وهذا معناه قتلك !

دونا لوكريزيا : يا للسموات والأرض !

جينارو : أدى صلاتك يا سيدتى وأوجزى ! ان السم يسرى فى عروقى ، ولا يتسع وقتى للانتظار ·

دونا لوكريزيا : ويحك ! هذا محـــال ! أيقتلنى جينارو ؟ ليت شعرى ! أهذا أمل محتمل ؟

جينارو : بل هو أمر واقع يا سيدتى · قسما بالله لو كنت محلك لعقدت يدى وجثوت على ركبتى وصليت فى صمت ــ هاك هذا المقعد ، فهو يصلح لهذا الغرض ·

دونا لوكريزيا : كلا ، انى أقول لك هذا محال · كلا ، فما خطرت على البال هذه الفكرة بين أبلغ الفكر وحشية وهولا · ويحك ! أترفع يدك بالمدية ؟ تمهل يا جينارو ، فلدى ما أقول لك ·

جينارو : عجلى !

دونا لو كريزيا : ألق المدية أيها الشقى · سألتك أن تلقيها ! آه لو علمت· أى جينارو ، هل تعلم من أنت ؟ هل تعلم من أكون ؟ انك لا تدرى مدى صلتى بك · ترى ينبغى أن أبوح له بمكنون سرى ؟ ان الذى يجرى فى عروقى وعروقك هو دم واحد يا جينارو ، فأبوك هــو جان بورجيا دوق جانديا !

جينارو : أخوك ! أنت عمتى اذن ! تبا لك يا سيدتى !

دونا لوكريزيا : (على حده) يظننى عمته !

جينارو : أأنا ابن أخيك ؟ أواه ! لهفى على أمى المنكودة الطالع دوقة جانديا · من تحالف على شقائها آل بورجينا جميعا ! اسمعى أيتها السيدة ، لقد حدثتنى عنك أمى فى رسائلها · انك من زمرة الأقارب الجحدة الذين تقينى من بغيهم أمى فى هلع وذعر ، هؤلاء الذين صرعوا أبى وأغرقوا حظ أمى فى بحر من الدموع والدم · لزام على الآن — فضلا عما ذكرت — أن أثأر لأبى وأنقذ من براثنك أمى ! يالله ! أنت اذن عمتى وأنا من آل بورجيا · الا ان هذا يجننى — أصغى الى يادونا لوكريزيا بورجيا : لقد عشت دهرا سادرة فى غيك حتى غدوت بشعة كريهة الى نفسك ولابد أنك تعبة من حياتك ، أليس كذلك ؟ حسنا · لنضع لهذه الحياة حدا · لقد حدث دائما فى أسر كأسرتنا ، ممن آلت اليها الجريمة بالوراثة كما يئول اسم الأب الى الابن ، أن انتهى قدرها المحتوم بجريمة قتل ، وهى فى المعتاد جريمة عائلية ، جريمة أخيرة تغسل كل ما سبقها من جرائم ، وما لام أحد قط ثمة نبيل على بتره فرعا فاسدا (من شجرة أسرته لقد قتل مودارا الاسبانى عمه روديريج دى لارا) من أجل آثام تقل شأنا عن آثامك ، وأثنى الناس طرا على هذا الاسبانى لقتلة عمه · أفهمت يا عمتى ؟ والآن لقد تحدثنا فى هذا الشأن بما فيه الكفاية · اسألى الله شفاعة فى روحك ان كنت تؤمنين بالله وبروحك ·

دونا لوكريزيا : أى جينارو ؟ ناشدتك الرحمة بنفسك · انك لا تزال طاهر الذيل بريئا ، فلا تقارف هذا الجرم ·

جينارو : جرم · أواه ! لقد حار منى الفكر واضطرب · ترى فيما أزمعت عليه جريمة ؟ ولكن لا · فقسما بالله لا أكون سليل بورجيا بحق الا اذا مارست الجريمة · انى آمرك أن تركعى يا عمتى · اركعى·

دونا لوكريزيا : أتعنى حقا ما تقول يا عزيزى ؟ أهكذا تجزينى عن حبى لك ؟

جينارو : حب ؟

دونا لوكريزيا : هذا مستحيل ، لابد أن أنقذك من نفسك · سأدعو الناس · سأصيح بأعلى صوتى :

جينارو : لن تفتحى هذا الباب ، ولن تخطى خطوة · أما عن صـــياحك فلن يؤدى الى نجاتك · آما أمرت بنفسك من هنيهة ألا يدخل علينا أحد مهما بلغ الاسماع فى الخارج مما يجرى هنا ؟

دونا لوكريزيا : ولكن هذه مجبنة منك يا جينارو · أتقتل امرأة لا حول لها ولا قوة ؟ أنت أكرم من هــذا نفسا · اصــغ الى ، ثم اقتلنى بعدها ان شئت ، فما عدت على الحياة حريصة · بيد أنى أرى لزاما على الافضاء بما يعتمل فى فؤادى ، فانه ليفيض لوعة وأسى من نهجك فى معاملتى الى الآن · أنت شاب يا بنى والشباب يجور دوما فى حكمه · آه ، لئن كان لا مناص من موتى فلا أود أن أموت بيدك أنت · أسمعت ؟ محال أن أموت بيدك · انك لاتعلم مدى فظاعة هذا الأمر ، هذا الى أن ساعة منيتى ياجينار لم تحن بعد · حقا ، اننى قارفت عديدا من الشرور والآثام واننى مجرمة عتيدة ، ولهــذا السبب ينبغى أن تتاح لى فســحة من الوقت كيمــا أقر بذنوبى وأتوب ، هذا قطعا مالابد منه · أوعيت ما أقول يا جينارو ؟

جينارو : أنت عمتى، وأنت شقيقة أبى ، فماذا صنعت بأمى أيتها السيدة لوكريس بورجيا ؟

دونا لوكريزيا : أمهلنى قليلا · أشــهد الله اننى لا أقوى على الجهر لك بكل ما أكن ، فلو جهرت لك به ربما ضــاعفت بذلك زرايتك لى وبشاعتى فى نظرك · اصغ الى لحظة أخرى ! ان غاية منــاى أن تتلقانى تائبة جاثية تحت قدميك · وعند ذاك تبقى على حياتى ، أليس كذلك ؟ حسنا · ماذا ترى ؟ أيروقك أن أضــع على رأسى ازارا وأحتبس فى الدير ؟ اذا قيل لك أن هذه المرأة الشقية قد غدت حليقة الرأس ، تفترش الغبراء ، وتحفر بأظفارك لحدها ؛ وتصلى لله ليل نهار ، لا من أجل نفسها برغم حاجتها الى الصلاة ، بل من أجلك وأنت فى غنى عنها ، وان هــــذه المرأة انما فعلت ما فعلت ، مؤملة فى أن تلقى يوما على رأسها نظرة حانية وتسكب دمعة على الجراح النازفة من قلبها وروحها ، وأن تكف عن قولتك لها ـ كما فعلت منذ هنيهة ـ فى صوت أشد قســوة من صــوت القضاء الأخير : أنت لوكريس بورجيا · اذا قيل لك ذلك يا جينارو فهل يطاوعك قلبك فى الأعراض عنها ؟ أواه ·· ناشدتك الرحمة ! لا تقتلنى يا عزيزى ! دع كلينا ينعم بالحياة ، فتعيش لتعفو عنى وأعيش للتوبة والاستغفار · أفىء على بظل من عطفك · خبرنى ، ما غايتك من معاملة امرأة بائسة شقية بلا رحمة ولا شفقة ، وهى

التي لا تلتمس منك الا شيئا من الرحمة ، والا الابقاء على حياتها ألا فاعلم يا عزيزى جينارو ـ وما أبتغى مما أقول سوى خيرك ـ أن فيما تقدم عليه مجبنة حقا ، انه وزر جسيم ، بل هو جريمة نكراء · أيقدم رجل قوى على قتل امرأة مستضعفة ؟ هذا مالا ترضاه لنفسك ، هذا مالا ترضاه لنفسك ·

جينارو : (واجفا) سيدتى !

دونا لوكريزيا : أنا واثقة من أنك قد عفوت عنى ، واننى سأعيش · هذا ما قرأته فى عينيك · دعنى أبكى عند قدميك ·

(صوت من الخارج مناديا) جينارو ·

جينارو : من الهاتف ؟

الصوت : أخى جينارو ·

جينارو : هذا مافيو ·

الصوت : جينارو · اننى أموت · خذ بثأرى ·

جينارو : (رافعا المدية) قضى الأمر ، ولن أستمع اليك · أفهمت يا سيدتى ؟ لا مناص من قتلك ·

دونا لوكريزيا : (ممسكة بذراعه تحاول مقاومته) رحماك ! كلمة أخرى

جينارو : كلا ·

دونا لوكريزيا : حنانيك ! اسمعنى ·

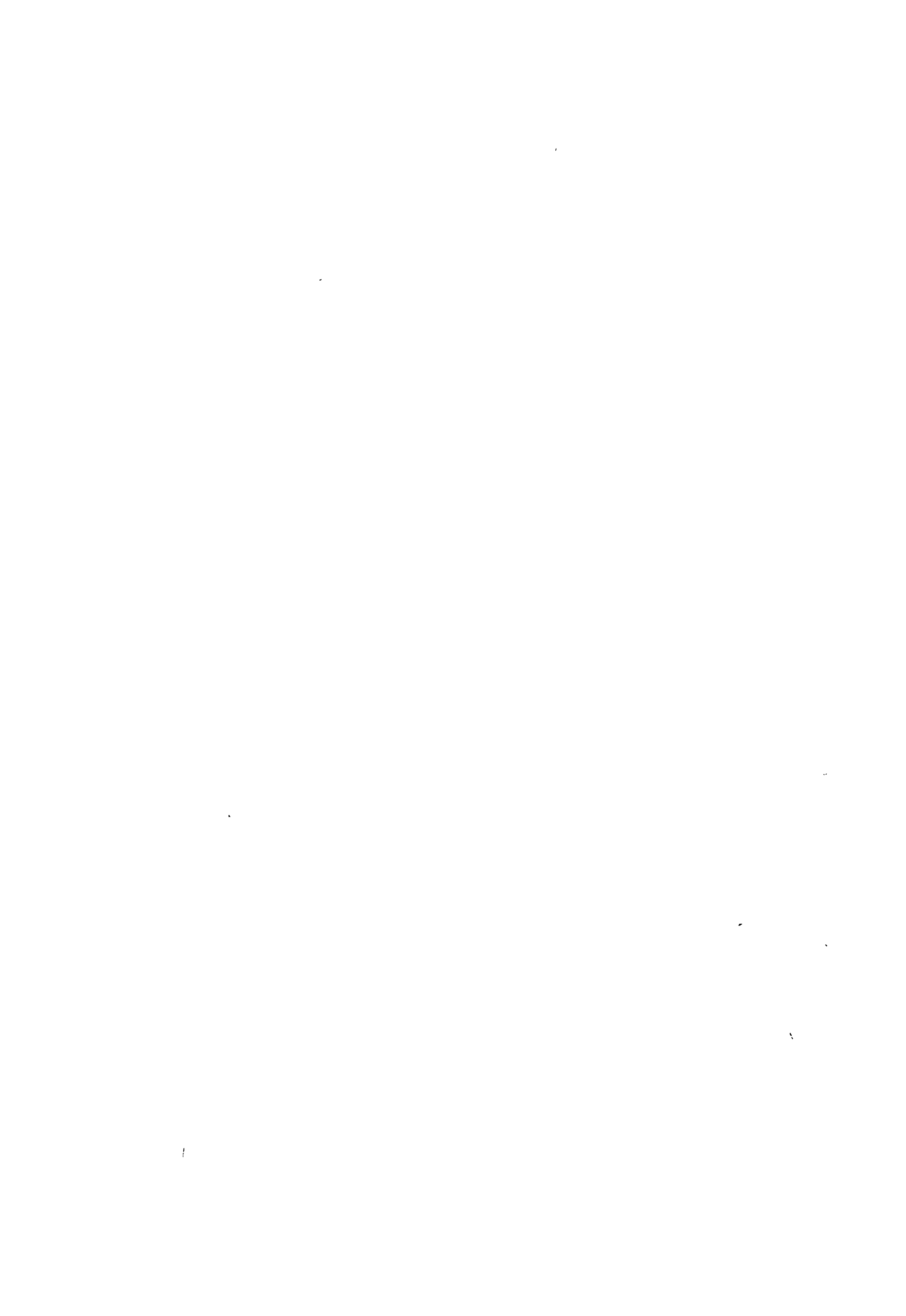
جينارو : كلا ·

دونا لوكريزيا : ناشدتك السماء !

جينارو : كلا · (يطعنها)

دونا لوكريزيا : أواه · أتقتلنى ؟ جينارو ، أنا أمك

(ستار الختام)



الملك يلهو

مأساة من خمسة فصول

أشخاص المسرحية

الملك فرنسوا الأول
تريبوليه
بلانش
السيد دى سان فالييه
سالتا باديل
ماجلون
كليمان مارو ـ الشاعر
السيد دى بيين
السيد دى جورد
السيد دى بارادیان
السيد دى بريون
السيد دى مونشو
السيد دى مونمو رانسى
السيد دى كوسيه
السيد دى لاتور لاندرى
السيد دى فيك
السيدة دى كوسيه
السيدة بيرارد
نبيل فى خدمة الملكة
حاجب فى خدمة الملك
طبيب
طائفة من النبلاء
جمهرة من عامة الشعب

الفصل الأول

السيد دى سان فالييه

حفل ساهر فى قصر اللوفر . تزخر القاعات الفخمة بلفيف من الرجال والنســـاء فى أبهى ثياب . مشاعل وموسيقى ورقص وضحكـــات مدوية . يحمـل التبع صحـــافا من الذهب وآنية مرصعة بالميناء . جماعات من النبـــلاء والسيدات فى غدو ورواح . يوشك الحفل على نهايته وتضيىء تباشير الفجر زجاج النوافذ . يسود الحفل قدر من التحرر ويشوبه تبذل وافراط . المبنى والأثاث والمـــلابس من طراز عصر النهضة .

المشـــهد الأول

الملك كما رسمه المصور تسيان ـ السيد دى لاتور لاندرى

الملك : أود أن أمضى فى هذه المغامرة الى نهـاية الشوط أيها الكونت - انها ولا شك امرأة من أواسط الناس ، غامضة الحسب والنسب. غير أنها رائعة خلابة !

السيد دى لاتور لاندرى : أو تلقاها فى الكنيسة يوم الأحد ؟

الملك : بل فى « سان جرمان دبيريه » . اننى أذهب هناك أيام الأحاد -

السيد دى لاتور لاندرى : وها قد مضى على تلك الحال شهران ؟

الملك : نعم .

السيد دى لاتور لاندرى : وأين عشها الجميل ؟

الملك : فى « كيل ديساك بوسى » .

السيد دى لاتور لاندرى : أهو على مقربة من قصر كوسيه ؟

الملك : (مومئا بالايجاب) فى البقعة التى تضم السور الكبير .

السيد دى لاتور لاندرى : آه ! عرفت . وهل تلاحقها يا مولاى ؟

الملك : هناك عجوز ضارية تلازمها دوما ، تقوم على حراسة عينيها وأذنيها وفمهـــا .

السيد دى لاتور لاندرى : أحق ما تقول ؟

الملك : وأعجب ما فى الأمر أن ثمة رجل مريب الهيئة يدلف الى تلك الدار وقد اتشح من قمة رأسه الى أخمص قدميه بعباءة حالكة السواد ، وتسربل بسدول الليل البهيم . حتى يزوغ بين حجب الظلام .

السيد دى لاتور لاندرى : حسنا . عليك أن تفعل مثلما يفعل !

الملك : ماذا تقول ؟ ان الدار موصــدة ، والأســوار تقف فى وجه من يقترب .

السيد دى لاتور لاندرى : وهل أشعرتك يوما ـ يا مولاى ـ باستجابتها وأنت تلاحقها ؟

الملك : بل اننى أرى من بعض نظراتها ــ دون ثمة خطأ فى تقديرى ــ ما لا ينم عن فزعها منى ٠

السيد دى لاتور لاندرى : وهل تعلم بأن الملك يهيم بها حبا ؟

الملك : (يؤمىء بالنفى) اننى أتنكر فى رداء من الصوف وقبــاء رمادى اللون ٠

السيد دى لاتور لاندرى : (ضاحكا) أرى أنك تحبها حبا عفيفا كما أحب القس السيدة « توانون » الورعة !

(يدخل لفيف من النبلاء وتريبوليه) ٠

الملك : (مخاطبا السيد دى لاتور) صه ! اننى أسمع قادما ، ومن يبتغى التوفيق فى دنيا الحب فعليه أن يعرف الصــمت ٠ (يلتفت الى تريبوليه وكان هــذا الأخــير يقترب منه وهو يفوه بتلك العبارة فسمعها) أليس كذلك ؟

تريبوليه : ان الكتمان لهو الستار الوحيد الذى يكفل الأمان لنزوات الحب ٠

المشــهد الثانى

الملك ــ تريبوليه ــ السيد دى جورد ــ لفيف من النبلاء ــ النبلاء فى ثياب فاخرة ، تريبوليه فى زى المهرج كما رسمه المصور « بونيفاس » يتطلع الملك الى سرب من النساء يمر ٠

السيد دى لاتور لاندرى : أرأيتم الى السيدة فاندوم وحسنها العلوى !

السيد دى جورد : والسيدتان آلب ومونشفروى على جمال فارط ٠

الملك : أما السيدة دى كوسيه فتبز الثلاث ٠

السيد دى جورد : السيدة دى كوسيه ! اخفض صوتك يا مولاى (مشيرا الى السيد دى كوسيه وهو يمر فى مؤخرة المسرح ٠ انه رجل قصير

القامة عظيم البطن ، وهو واحد من أربعة هم أضخم نبلاء فرنسا (كما يقول برانتوم) ان زوجها يسمعك ٠

الملك : رويدك يا عزيزى سيميان ٠ اننى لا آبه لذلك !

السيد دى جورد : سوف يفضى بما سمع الى السيدة ديان ٠

الملك : اننى لا آبه لذلك ! (يمضى الى مؤخرة المسرح ويتحدث الى نساء أخريات يمرون) ٠

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى جورد) ستغضب لهذا ديان دى بواتييه ٠ انه لا يخاطبها منذ ثمانية أيام ٠

السيد دى جورد : ترى سيعيدها الى زوجها ؟

تريبوليه : لا أظن ذلك ٠

السيد دى جورد : لقد دفعت ثمن العفو عن أبيها ، فان ذهبت فلن تكون مريبة ٠

تريبوليه : وعلى ذكر السيد دى سان فالييه ، ترى أية فكرة راودت هذا العجوز الفريد فى بابه فجعلته يجمع فى فراش واحد هذا الخليط العجيب ، بزواج فتاته ديان ــ تلك الحسناء الأثيرة الشفيفة ــ بل ذلك الملك الذى تلقفته الأرض من السماء من ضابط أحدب ؟

السيد دى جورد : انه عجوز مخرف ، بل عجوز فظ على وجهه غبرة ٠ لقد كنت على منصة اعدامه حين تلقى نبأ العفو عنه ، وكنت أقرب اليه منى اليك الآن ، فلم ينبس ببنت شفة ٠ اللهم الا قوله : ليحفظ الله الملك ! لقد فقد الآن صوابه تماما ٠

الملك : (مارا وبرفقته السيدة دى كوسيه) يا لك من مخلوقة خلت من الانسانية ! أتتركينى هكذا ؟

السيدة دى كوسيه : (متنهدة فى أسى) الى مدينة سواسون حيث يمضى بى زوجى ٠

الملك : أو ليس من المشين أن ترحلى غير عابئة بأمير أو ملك ، لتتألقى أيتها الشمس فى سماء الريف ، بينما باريس بأسرها ــ كبار نبلائها ومفكريها ــ يرنون اليك بأعين تفيض رغبة وحبا ، بينما تعيشين أروع لحظات حياتك الجميلة ، حيث يدخر لك أرباب الشعر والسيف أجمل القريض وأقوى ضربات الطعان ، بينما تشع

عيناك الجميلتان لهبا فى كل مكان ، فتأرق جفون زوجات المعجبين جميعا ، بينمـا تبهرين القصر بسنى لحاظك ، فاذا ما غابت تلك الشمس ارتاب المرء فى وضوح النهار !

السيدة دى كوسيه : هدىء من روعك !

الملك : لا ، لا ، لا شىء · يا لها من نزوة عجيبة جعلتك تطفئين أنـوار الثريا فى منتصف الحفل ·

(يدخل السيد دى كوسيه) ·

السيدة دى كوسيه : ها هو ذا زوجى الغيور يا مولاى ! (تنأى عن الملك مسرعة) ·

الملك : تبا له ! ليقبض الشيطان روحه ! (مخاطبا تريبوليه) لم يفتنى أن أكتب غزلا فى زوجه · ألم يطلعك « مارو » على آخر ما نظمت ؟

تريبوليه : اننى لا أقرأ شعرك ، فان شعر الملوك دوما أردأ الشعر ·

الملك : يا لها من دعابة !

تريبوليه : (بغير انفعال) لتنظم القوافى سفلة القوم ، فهذا أمر محتمل · أما أنت فلك أسهمك المنوعة فى دنيا الجمال · عليك يا مولاى غزو الخدور ، وعلى «مارو» أن يصوغ الشعر ، وكل عاهل يقرض الشعر انما يحط من قدر نفسه ·

الملك : ولكن التشبب بالحسان يسمو بالوجدان · ليتنى أضع جناحين على قمة برج قصرى ·

تريبوليه : لتجعل منه طاحونة !

الملك : كنت سآمر بضربك بالسياط لولا أننى أرى ها هنا السيدة دى كوازلان ·

(يهرع الى السيدة دى كوازلان وينشدها عبارات الغزل)

تريبوليه : (محدثا نفسه) امض مع الريح التى تحملك الى هذه أيضا !

السيد دى جورد : (يدنو من تريبوليه ويوجه انتباهه الى ما يدور فى مؤخرة القاعة) ها هى ذى السيدة دى كوسيه تدلف من الباب الآخر · اننى أقسم بأنها ستسقط قفازها كى يلتقطه الملك لنرقب الموقف ·

(تنظر السيدة دى كوسيه بازدراء الى محاولات الملك لاغراء السيدة

دى كوازلان ثم تســـقط باقتها عمدا ، فيترك الملك السيدة دى كوازلان ويلتقط باقة السيدة دى كوسيه ، ويسترسل معها فى حديث يبدو عاطفيا حارا) ٠

السيد دى جورد : (مخاطبا تريبوليه) ألم أتوقع ما أرى ؟

تريبوليه : يا له من أمر عجيب !

السيد دى جورد : ها قد تردى الملك فى الشرك ٠

تريبوليه : ان المرأة شيطان داهية ٠

(يطوق الملك خاصرة السيدة دى كوسيه ويقبل يدها ، فتضحك وتثرثر فى مرح ٠ يدخل السيد دى كوسيه بغتة من باب المؤخرة ٠ يوجه السيد دى جورد انتباه تريبوليه الى دخوله ٠ يتوقف السيد دى كوسيه ويحملق فى الملك وفى زوجه) ٠

السيد دى جورد : (مخاطبا تريبوليه) ها هو ذا الزوج !

السيدة دى كوسيه : (تلمح زوجها ٠ فتخاطب الملك وهو يكاد يحتويها بين ذراعيه) لنفترق !

(تنسل من بين يدى الملك وتفر) ٠

تريبوليه : ما الذى أتى بهذا البدين الغيور الى هنا ؟

(يدنو الملك من مقصف فى المؤخرة ويتناول قدحا)

السيد دى كوسيه : (يمضى فى القاعة كما الحاكم ويحدث نفسه) ترى عما يتحدثان ؟ **(يقترب فى خفة من السيد دى لاتور لاندرى ٠ فيومىء هذا اليه بأن لديه ما يقول له) ماذا ؟**

السيد دى لاتور لاندرى : (كمن يفضى بسر) ما أجمل زوجك !

(يمتعض السيد دى كوسيه ثم يمضى الى السيد دى جورد ، فيبدو هذا الأخير كأنما يود أن يسر اليه بأمر ما) ٠

السيد دى جورد : (فى صوت خفيض) ما الذى يدور بخلدك ؟ لم تسترق النظر طويلا الى هذه الناحية ؟ (ينأى عنه السيد دى كوسيه وهو مستاء ، **فيلقى نفسه وجها لوجه أمام تريبوليه فيجذبه الأخير بحذر** الى ركن من أركان القاعة ، بينما السيدان دى جورد ودى لاتور **لاندرى يضحكان ملء مدقيهما) ٠**

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى كوسيه بصوت خفيض) سيدى ، يبدو عليك الانفعال الشديد !

(ثم ينفجر ضـاحكا ويدير ظهره للسـيد دى كوسيه ، فينصرف الأخير ثائرا) ٠

الملك : (عائدا) ما أسـعدنى ! لم يكن هرقل وجوبيتر سـوى دعيين مضحكين اذا ما قورنا بى ، وما جنة الخلد سوى كوخ حقير ٠ أما النساء فما أشد سحرهن ! حقا اننى جد سعيد ٠ وأنت ؟

تريبوليه : فى منتهى السعادة ٠ اننى أسخر فى سرى من الرقص واللهو والحب الزائف ٠ اننى أتولى النقد ، ولك أنت المتعة ٠ انك يا مولاى سعيد كملك ، وأنا سعيد كمهرج ٠

الملك : ياله من يوم أغر ، يـوم حملت بى أمى وهى ضاحكة ! (يشهد انصراف السيد دى كوسيه) هذا المدعو دى كوسيه هو وحده الذى يعكر صفو الحفل ٠ كيف تراه ؟

تريبوليه : على غباء مشين ٠

الملك : دعنا من ذلك ٠ كل شىء يروق لى ما عدا هذا الرجل الغيور ! اننى أقدر على كل شىء وأشتهى كل شىء ، وأظفر بكل شىء ! ما أسعد المرء بالحياة اذا طابت له أسبابها ! يا للسعادة !

تريبوليه : فى يقينى يا مولاى أنك ثمل ٠

الملك : ولكنى ألمح هناك ٠٠ العينين النجلاوتين والساعدين الجميلين ٠

تريبوليه : أتعنى السيدة دى كوسيه ؟

الملك : هيا معى ٠ وعليك حراستنا !

(يغنى) دامت أيام الأحاد المرحة

بين شعب باريس الفرحه

حيث البيض العذارى

تريبوليه : (يغنى) والرجال السكارى

(ينصرفان ، ويدخل لفيف من النبلاء) ٠

المشــهد الثالث

السيد دى جـورد ـ السـيد دى باراديان ـ حاجب أشقر شاب ـ السيد دى فيك ـ الشاعر كليمان مارو فى زى رجال البلاط ـ السيد دى بيين ـ نبيل أو نبيلان آخران · يتردد السيد دى كوسيه بين الفينة والفينة · ويبدو حالما بادى الهم والتفكير ·

كليمان مارو : (محييا السيد دى جورد) ما وراءك الليلة من أنباء ؟

السيد دى جورد : لا شىء · سوى أن الحفل كان رائعا وأن الملك يلهو ·

مارو : آه · يا له من نبأ ! الملك يلهو ؟ يا للشيطان !

السيد دى كوسيه : (مارا خلفهما) هذا ما يدعو للرثاء · لأن الملك الذى يلهو هو ملك خطير · (يبتعد) ·

السيد دى جورد : ان دى كوسيه ، هذا البدين التعس ، ليثير فى نفسى بالغ الحزن ·

مارو : (فى صوت خفيض) يبدو أن الملك دؤوب على مغازلة زوجه ·

(يومىء اليه السيد دى جورد بالايجاب · يدخل السيد دى بيين)

السيد دى جورد : ها هو ذا الدوق العزيز ! (يتبادلان التحية)

السيد دى بيين : (كأنما يسر بخبر) أيها الصحاب ! لقد جئتكم بخبر طريف ! خبر تحار فيه أسخى العقول حكمة ! خبر يثير الدهشــة والضحك ! خبر عاطفى ! خبر محال !

السيد جورد : ترى ما هو ؟

السيد دى بيين : (يضم شملهم حوله) سكوت !

(مخاطبا مارو وكان قد مضى يتحدث الى آخرين فى ركن من أركان القاعة) تعال هنا يا أستاذ كليمان مارو !

مارو : (مقتربا) ماذا يبغى منى سيدى ؟

السيد دى بيين : انك مغفل كبير ٠

مارو : لم أكن أظن أننى كبير على أى نحو ٠

السيد دى بيين : لقد قرأت فى قصيدتك عن حصار «بشيير» هذه الأبيات فى وصف تريبوليه :

« معتوه ذو رأس كسير القرنين ٠ لديه من الحكمة وهو فى الثلاثين ما كان له يوم ولدته أمه انك مغفل كبير » ٠

مارو : لتحل بى لعنة كيوبيد ان كنت أفهمك !

السيد دى بيين : وهو كذلك ٠ (مخاطبا السيد دى جورد) يا سيد دى سيميان ٠ (مخاطبا السيد دى باراديان) وأنت يا سـيد دى باراديان ٠

(تلتف حول الدوق حلقه تشمل السيد دى جورد والسيد دى باراديان ومارو ثم السيد دى كوسيه وقد أتى لينضم للجماعة) ٠

ان أمرا غريبا قد حدث لتريبوليه ٠ أرجو أن تحزروا ما هو ؟

السيد دى باراديان : ترى قد أستقام عوده ؟

السيد دى كوسيه : أنصب مشيرا للجيش ؟

مارو : أقدم مطهيا على مائدة طعام ؟

السيد دى بيين : كلا ٠ بل الأمر أفكه من ذلك ٠ ان لديه ـ تكهنوا بما لديه ، شيء لا يصدقه عقل ٠

السيد دى جورد : مبارزة مع جارجانتوا !

السيد دى بيين : كلا ٠

السيد دى باراديان : قرد أشد قبحا منه ؟

السيد دى بيين : كلا ٠

مارو : جيب ملء بالدنانير ؟

السيد دى كوسيه : وظيفة الكلب أمام أسياخ الشواء الدائرة ؟

مارو : موعد مع العذراء فى الجنة ؟

السيد دى جورد : روح مثلا ؟

السيد دى بيين : خمنوا ٠ تريبوليه المهرج ، تريبوليه الأشوه ٠ أمعنوا الفكر فيما قد يكون لديه ٠ انه شيء هائل ٠

مارو : حدبته ؟

السيد دى بيين : كلا !! ان له ... حزروا ، ان له خليلة .

(ينفجر الجميع ضاحكين)

السيد دى باراديان : يا لها من قصة تروى !

السيد دى بيين : أقسم لكم بجوارحى _ أيها السادة _ على صدق ما أقول، وسأريكم دار هذه السيدة . انه يحج اليها كل أمسية ، متشحا بمعطفه المصفر ، وعلى وجهه امارت التهجم الغضب ، كأنه شاعر جوعان . أردت أن أمكر به ، وبينما كنت أجول على مقربة من قصر كوسيه ، وقد أرخى الليل سدوله ، كشفت هذا الأمر ، وعليكم أن تصونوا السر .

مارو : يا له من موضوع رائع لقصيد يغنى ! ماذا أسمع ؟ أيتحول تريبوليه ليلا الى عاشق ؟

السيد دى باراديان : (ضاحكا) أهناك امرأة يقترن ذكرها بالسيد تريبوليه ؟

السيد دى جورد : (ضاحكا) سرج على جواد من خشب !

مارو : (ضاحكا) أعتقد أن لدى هذه السيدة المصونة كل ما يكفل طرد الانجليز اذا ما ألقى ثمة خليفة « لبدفورد » مراسيه فى كاليه !

(يضحك الجميع . يظهر السيد دى فيك فجأة ، فيضع السيد دى بيين أصبعه على فمه)

السيد دى بيين : صه !

السيد دى باراديان : (مخاطبا السيد دى بيين) بم تفسر أيضا خروج الملك وحده كل يوم عند الغسق كأنما يفتش عن كنز ؟

السيد دى بيين : سينبئنا عن ذلك دى فيك

السيد دى فيك : أستهل ما أعلم بأن أذكر لكم أن صاحب الجلالة يبدو غارقا فى لهوه ومجونه .

السيد دى كوسيه : (متنهدا فى أسى) لا تحدثنى عن ذلك !

السيد دى فيك : ولكن الذى يشغل فكرى هو الى أى اتجاه تدفع الريح نزوته ؟ لم يخرج مساء ملتفا بعباءته الشتوية ، متنكرا فى زيه ومظهره تماما ؟ وان كان الأمر لا يعنينى أيها الصحاب اذا ما اتخذ من النوافذ أبوابا ، فأنا لست متزوجا .

السيد دى كوسيه : (هازا رأسه) ان الملوك تستلب دوما ـ أيها السادة ـ كل ما لدى الغير من متع الدنيا ، وذلك ما يعلمه كهول النبلاء . ليحذر كل من له أخت أو زوج أو ابنة تغرى ، فمن بيدهم السلطان لا يفكرون فى لهوهم الا فى الضر . ان الأمر لينطوى على كثير من المخاوف ، ومن الثغر الباسم تتكشف الأسنان جميعا !

السيد دى فيك : (مخاطبا الآخرين بصوت خفيض) ما أشد خشيته من الملك !

السيد دى بارديان : وان زوجه الفاتنة لأقل منه خشية .

مارو : وذلك ما يروعه .

السيد دى جورد : لقد جافيت الصواب يا كوسيه ، فمن الأهمية بمكان أن يظل الملك دائما مرحا ، متلافا ، لاهيا .

السيد دى بيين : (مخاطبا السيد دى جورد (انى أرى ما تراه يا كونت . فمثل الملك السؤوم كمثل فتاة تتشح بالسواد أو كصيف غزير المطر .

السيد دى بارديان : كحب بلا مبارزة

السيد دى فيك : كقنينة ملأى بالماء

مارو : (بصوت خفيض) ها قد عاد الملك ومعه ملاك الحب تريبوليه !

(يدخل الملك وبصحبته تريبوليه ، فتبتعد الحاشيه باحترام)

المشـــهد الرابع

اشخاص المشهد السابق ـ الملك ـ تريبوليه

تويبوليه : (يدخل وكأنما يواصل حديثا مستمرا) علماء فى القصر ؟ يا لها من بشاعة منقطعة النظير !

الملك : دع شقيقتى ـ أميرة نافار ـ تصغى لنداء العقل . انها تريد أن تحيطنى بالعلماء .

تريبوليه : بينى وبينك ـ عليك أن تسلم بأننى لم أفرط فى الشراب

مثلك ، ومن ثم أرى أننى أفضلك يا مولاى بميزة أو بميزتين فى صدق الحكم على الأشياء من حيث نتائجها وأسبابها جميعا ، أولهما أننى لست ثملا والأخرى أننى لست ملكا ــ ليحل بقصرك الطاعون والحمى وغيرهما من الأوبئة ، وذلك أفضل من أن يحل فيه العلماء !

الملك : يا له من رأى يعافه الذوق السليم ، اذ تريد شقيقتى أن تحيطنى بالعلماء !

تريبوليه : هذا أمر كريه يصدر عن أخت . فما من دابة فى الأرض : غراب شره أو ذئب أو بوم أو أوزة أو عجل أو حتى شاعر . بل ما من فقيه أو قاض أو دب أو كلب أقبح منظرا وأكثف شعرا وأزرى شكلا وأكثر تشبعا باللا معقول ، بل أشرس وأقذر وأشد غرورا من هذا الحمار المبردع الذى يلقب بالعـــالم ! أتنقصك المباهج والسلطان والغزوات والغيد الحسان ، تعطر بها مغانيك ؟

الملك : لقد أسرت الى شقيقتى مرجريت ذات مساء بأن النساء لسن على الدوام بالنسبة لى كل شىء ، وأننى حينما ينتابنى السأم ..

تريبوليه : يا له من دواء عجيب ! أن نلتمس مشورة العلماء حين السأم ! ان سيدتى مرجريت تشايع دوما زمرة المتزمتين .

الملك : حسنا . لا داعى للعلماء . ولكن خمسة من الشعراء أو ستة ..

تريبوليه : لو كنت يا مولاى موضعك لكان خوفى من شاعر واحد وصمته القوافى أشد من خوف « بلزيبوث » من مرشة مبللة .

الملك : خمسة أو ستة ....

تريبوليه : خمسة شعراء أو ستة ، تلك لعمرى حظيرة برمتها ! انه مجمع أو حديقة حيوان ! (مشيرا الى مارو) ألا يكفى ما نعانيه من مارو حتى نسم أبداننا بشعراء على شاكلته ؟

مارو : شكرا جزيلا . (مخاطبا نفسه) خير لهذا المهرج أن يغلق فاه !

تريبوليه : النساء يامولاى وما أدراك ما النساء ! هن الأرض وهن السماء ، هن كل شىء فى الوجود ، ولكنك تملك النساء ، ان لديك النساء فدعنى لحالى . انك تهذى حين تريد العلماء !

الملك : أقسم بشرفى أن اهتمامى بهـذا الأمر لا يعدو اهتمام السمك بالتفاح .

(ضحكات مدوية تصدر عن جماعة فى مؤخرة القاعة ، فيخاطب الملك تريبوليه) هاك بعض شباب النبلاء يسخرون منك .

(يمضى تريبوليه فينصت اليهم ثم يعود أدراجه)

تريبوليه : كلا ، بل هم يسخرون من مهرج آخر .

الملك : سحقا لهم . ممن يسخرون اذن ؟

تريبوليه : من الملك

الملك : حقا ؟ وماذا يرددون ؟

تريبوليه : انهم يقولون يا مولاى أنك بخيل ، وأن الحظوة والمال لنافار ، وما من شيء يؤدى لهم .

الملك : أجل . انى آراهم من مكانى هذا ، أرى الثلاثة جميعا : مونشينو وبريون ومونمورانسى .

تريبوليه : تماما .

الملك : ما أبغض سلالتهم هؤلاء النبلاء ! لقد نصبت أحدهم أميرا للبحر والثانى مشيرا للجيش . أما ثالثهم فقد جعلته مديرا لقصرى ، ومع ذلك هم يعربون عن استيائهم . أرأيت لهذا مثيلا من قبل ؟

تريبوليه : ولكنك قادر على أن تعلى من قدرهم ، وفى ذلك انصاف لهم .

الملك : وكيف ؟

تريبوليه : بأن تأمر باعدامهم !

السيد دى بيين : (يضحك ، ثم يتحدث الى النبلاء الثلاثة القابعين فى مؤخرة القاعة) أسمعتم أيها السادة ما قال تريبوليه ؟

السيد ذى بريون : (يرمى المهرج بنظرة حانقة) سمعت ولا شك .

السيد دى موغورانسى : وسيدفع الثمن غاليا .

السيد مونشينو : يا له من تابع حقير !

تريبوليه : (مخاطبا الملك) ولكنك يا مولاى لابد وأن تشعر أحيانا بفراغ فى قرارة نفسك .. اذ لا تجد من حولك امرأة واحدة تقول لك عينها لا ، ويقول لك قلبها نعم .

الملك : ماذا تعنى بما تقول ؟

تريبوليه : ان الحب الذى ينبع من قلب بهره بريق المظهر لا يسمى حبا .

الملك : أو تدرى أن ثمة امرأة فى هذا الوجود تضمر لى الحب لذاتى ؟

تريبوليه : دون أن تعلم من أنت ؟

الملك : نعم · (محدثا نفسه) بلا تعريض بصغيرتى الحسناء ساكنة كيل ديساك بوسى ·

تريبوليه : لعلها من أواسط الناس ؟

الملك : وأى ضير فى هذا ؟

تريبوليه : حذار يا مولاى · امرأة من أواسط الناس ! يا للسماء ! ان حبك لها ضرب من المجازفة ، فكثيرا ما يكون هؤلاء الناس كالرومان الضوارى اذا مس امرؤ ما ملكت يمينهم تخلف فى يده أثر لا تندمل: رويدك ، وحسبنا ــ ســواء منا المهرج والملك ــ زوجات نبلائك الأماثل واخواتهم ·

الملك : حسنا ، وسأكتفى بزوج دى كوسيه ·

تريبوليه : خذها لديك ·

الملك : (ضاحكا) القول سهل ميسور أما الفعل فصعب عسير ·

تريبوليه : لنختطفها الليلة ·

الملك : (مشيرا الى السيد دى كوسيه) والكونت ؟

تريبوليه : وسجن الباستيل ؟

الملك : آه · لا

تريبوليه : امنحه لقب الدوقيه · وبهذا تسوى حسابك معه ·

الملك : انه يغار كالسوقه ، وسوف يرفض أية ترضية ويملأ الدنيــا ضجيجا ·

تريبوليه : (شاردا) هذا رجل مزعج للغاية ، فاما أن تشتريه أو تنفيه · (كان السيد دى كوسيه قد اقترب منذ لحظات خلف الملك والمهرج ، فسمع ما يدور بينهما من حديث · يلطم المهرج جبينه فى ابتهاج) ولكن هناك ثمة وسيلة مريحة وسهلة وبسيطة كان على أن أفكر فيها من قبل ·

(يزداد السيد دى كوسيه اقترابا وينصت) اقطع رأس السيد دى كوسيه ·

(يتراجع السيد دى كوسيه فى ذعر بالغ) لنفترض تآمره مع روما أو أسبانيا ··

السيد دى كوسيه : (منفجرا) أواه . يا لك من شيطان صغير !

الملك : (يضحك ويربت على كتف كوسيه ثم يخاطب تريبوليه) أتفكر — يشرفك — فى ذلك ؟ فى قطع هذا الرأس ؟ أنظر الى هذا الرأس يا صديقى ، أتراه ؟ ان انبثقت منه ثمة فكرة فهى فكرة ذات قرنين !

تريبوليه : كالقالب الذى وسعها

السيد دى كوسيه : أتقطع رأسى ؟

تريبوليه : وأى ضير فى ذلك ؟

الملك : (مخاطبا تريبوليه) لقد غلوت فى استنفاره .

تريبوليه : يا للشيطان ! أيكون المرء ملكا ليضيق صدرا بأى شىء أو يزهد نفسا فى أبسط المتع ؟

السيد دى كوسيه : تقطعون رأسى ! آه ، لقد راودنى هذا الخاطر !

تريبوليه : ان الأمر غاية فى البساطة . ما الضرورة التى تقضى بألا يقطع رأسك ؟

السيد دى كوسيه : حقا ؟ سوف أقتص منك أيها الفاجر .

تريبوليه : اننى لا أخشاك ، فأنا محاط بأقوياء ، أشن عليهم الحرب شعواء . اننى لا أخاف شيئا يا سيدى لأننى لا أجد فوق عنقى ما أخاطر به سوى رأس مهرج . اننى لا أخاف شيئا ، اللهم الا اذا دخلت حدبتى فى جسدى ثم هبطت — كما هو حالك — فى بطنى ، ففى ذلك ما يقبح منظرى .

السيد دى كوسيه : (واضعا يده على حسامه) خبيث !

الملك : مكانك يا كونت . هيا بنا أيها المهرج !

(يبتعد ضاحكا ومعه تريبوليه)

السيد دى جورو : ان الملك يسند جنبيه من فرط الضحك .

السيد دى باراديان : كم يضحك لأتفه الأسباب ، ويستسلم للضحك !

مارو : من العجيب أن نجد ملكا يلهو بشخصه .

(حينما ابتعد الملك والمهرج ، تجمع رجال البلاط وأخذوا يشيعون تريبوليه بنظرات حاقدة)

السيد دى بريون : لنثأر من المهرج !

الجميع : ماذا ؟

مارو : انه مدرع : فمن أين يمسك ، وفى أى موضع يطعن ؟

السيد دى بيين : أعلم ذلك ، ولكنا جميعا عليه حاقدون ، وفى وسعنا أن ننتقم ٠

(يقترب النبلاء جميعا من السيد دى بيين) تعالوا جميعا هذا المساء عند الغسق بكامل سلاحكم ! الى « كيل ديساك بوسى » على مقربة من قصر كوسيه ، واياكم أن تفوهوا بكلمة ٠

مارو : لم يا ترى ؟

السيد دى بيين : أتعاهدوننى ؟

الجميع : نعاهدك

السيد دى بيين : سكوت ! انه عائد ٠

(يعود تريبوليه ومعه الملك وقد أحاط به سرب من الحسان)

تريبوليه : (يتحدث الى نفسه فى ركن من أركان القاعة) على من تراهم يتآمرون الآن ؟ أعلى الملك ؟ يا للشيطان !

حاجب : (يدخل ويتحدث الى تريبوليه بصوت خفيض) عجوز يتشح بالسواد يدعى السيد دى سان فالييه يطلب مقابلة الملك ٠

تريبوليه : (يدلك يديه) يا الله ! دعنا نرى السيد دى سان فالييه ٠ (ينصرف الحاجب) هذا بديع ! ولكن كيف بحق الشيطان ؟ سيثير لنا فضيحة مروعة ٠

(يسمع صخب وضجيج فى المؤخرة ٠ عند الباب الكبير)

صوت : (من الخارج) أريد التحدث الى الملك !

الملك : (مقاطعا) كلا ! من هذا ٠٠ الذى دخل ؟

الصوت نفسه : أريد التحدث الى الملك !

الملك : (بحماس واصرار) كلا ٠ كلا !

(شيخ فى ملابس الحداد يخترق الجميع ويقف أمام الملك ، يحدق فى الملك بامعان ، فينصرف رجال البلاط جميعا فى دهش وعجب)

المشـــهد الخامس

أشخاص المشهد السابق ـ السيد دى ســان فالييه فى ملابس الحداد ، وهو كهل ! اشتعلت رأسه ولحيته شيبا •

السيد دى سان فالييه : (مخاطبا الملك) سأتحدث اليك !

الملك : السيد دى سان فالييه ؟

السيد دى سان فاليه : (بلا حراك على عتبة البــاب) هكذا يدعوننى •

(يخطو نحوه الملك فى غضب ، فيوقفه تريبوليه)

تريبوليه : دعنى يا مولاى أتحدث الى هذا الرجل الطيب القلب •
(مخاطبا السيد دى سان فالييه بلهجة مسرحية) سيدى ، لقــد تآمرت علينا فعفونا عنك ، لأن الملك لطيف رحيم ، وهــذا فضل عظيم ، فعلام يستعر غضــبك الآن ؟ أمن أن يكون لك من صهرك المبجل حفدة ؟ ان صهرك رجل بشع المنظر سقيم البنيــان دميم الخلقة ، يصمه بروز فى منتصف أنفه ـ يقول البعض عنــه أنه أعور ، غزير الشعر ، هزيل القوام ، شاحب الوجه ؛ كبير البطن كهذا السيد (مشيرا الى السيد دى كوسيه الذى يتميز غضبا) أحــدب على شاكلتى ، وكل من رأى ابنتك الى جــواره أغرق فى الضحك • فلو أن الملك لم يضع الأمور فى نصابها لكان لك حفدة عوج ، حفدة راعبون ، حمر الشعر ؛ هتم الاسنان ، ناقصو العقل؛ قبيحو المنظر ، جديرون بالسخرية ، كبيرو البطن كهذا الســــيد (مشيرا مرة أخرى الى السيد دى كوسيه ومحييــا اياه فيحتدم الأخير غيظا) وحدب على شاكلتى ! ان صهرك رائع الدمامة والقبح، فدع الملك يعمل ، وستجد لك ذات يوم حفــدة رشــقاء ينتزعون شعرات من لحيتك ويتسلقون على ساقيك (يصفق رجال الحاشية لتريبوليه ضاحكين مستهزئين) •

السيد دى فالييه : (دون التفــات الى المهرج) هذا مزيد من الاهانة ! أما أنت يا مولاى فاصغ الى كما ينبغى أن تصغى الملوك ! لقد أمرت

باقتيادى حافى القدمين الى مدينة « جريف » وهناك عفوت عنى ، فشعرت كأننى فى حلم ، وسألت الله أن يباركك ، وغاب عن خاطرى ما يخفيه الملوك وراء عفو منحوه · فلقد أضمرت لى العار فى هذا العفو · أجل يا مولاى ، فبغير تقدير لأصلى العريق ، ولدم « بواتييه » النبيل منذ أعوام ألف ؛ وبينما أنا عائد من جريف وئيد الخطى ، داعيا من صميم قلبى اله النصر أن يمنحك عمرى أياما مجيدة ، اذا بك أنت — فرانسوا دى فالوا — فى مساء ذات اليوم ، ودون ثمة خشية أو رحمة أو استحياء ، قد ثلمت وحطمت وهتكت ودنست بلا مبالاة شرف ديان دى بواتييه — الكونتيس دى بريزيه — تحت وطأة قبلاتك المشينة ، وفى مخدعك الذى جعلته لعفة النساء قبرا ! ليت شعرى ، ماذا أقول ؟ فبينما كنت أنتظر قرار ادانتى ، سارعت يا بنيتى الطاهرة الى قصر اللوفر ، فاذا بالملك — هذا الذى صوره بايار فارسا هذا الشاب الذى ينبغى له أن يسلك مسلك الشيوخ يساومك على العار ، لقاء مزيد من الأيام — يعلم الله وحده عددها — فى حياة أبيك الجاثى تحت قدميه ! وهذه المنصة البشعة ، وما أبلغ ما تثير فى النفس من فزع وهول ! لقد جاء الجلاد ذات صباح ليقيمها فى جريف ،، وقبل أن يتولى النهار كان القرار — ويا للشقاء — اما اذعان الفتاة أو اعدام الأب ! رباه وأنت خير الحاكمين ، ترى ماذا قلت فى علياء سمائك ، حينما شهدت عيناك على تلك المقصلة هذه الدعارة الملكية ، متشحة بمسوح الرحمة ، رحمة ممرغة فى الوحل حزينة مشبوهة ، مضرجة بالدم دنسة ؟ مولاى ؛ لقد أسأت صنعا بفعلتك هذه ؛ لتختضب الأرض بدم الأب العجوز ، فما فى ذلك من ضير · ربما كان هذا الشيخ جديرا بالتجلة والتقدير ، لكنه استحق جزاءك لأنه يشايع أمير الجيش ، اما أن تسلبه ابنته وتسحق تحت قدميك الظافرتين فتاة مسكينة باكية متطيرة ، فهذا أمر يندى له الجبين ، سوف تدرك مغبته فيما بعد ! لقد تجاوزت سلطانك بمدى بعيد ؛ كان لك أن تفعل فى الأب ما تشاء ، أما الفتاة فلا — لقد عفوت عنى وتسمى ما صنعت عفوا ، وأننى فيما أظن جاحد ناكر للجميل · لقد كان حريا بك يا مولاى — بدلا من أن تغتصب ابنتى — أن تمضى بنفسك الى سجنى ؛ كنت سأستصرخك : امتنى ولكن أرحم فتاتى وأرحم أرومتى · نعم ؛ أسقنى كأس المنون ، فالموت ولا العار ، ودق العنق

خير من وصمة شنار على الجبين ! واه — يا مولاى الملك — بما انك هكذا لقيت ، أو تظن أن رجلا مسيحيا عريق النسب يحمل رتبة الكونت يخف ألمه حين يفقد شرفه عوضا عن رأسه ؟

أجب يا سيدى !

ذلك ما كنت قائلة لك يا مولاى ، ومساء فى الكنيسة ، وأنا مسجى فى نعشى المضرج بالدم ؛ تسعى الى ابنتى ديان ، تلك الفتاة الطيبة النقية · تسعى مرفوعة الرأس ، لتصلى من أجل أبيها المبجل ، وتقبل لحيته التى جللها المشيب ! اننى ما جئت اليك يا مولاى لأسترد ابنتى ، فمن لا شرف له لا أهل له ، وسواء تعلقت بك أم لم تتعلق ، فلن أسترد شيئا دمغه العار · ابقها لديك ، وحسبى أننى آليت على نفسى أن أجىء اليك لأعكر صفوك هكذا فى كل جمع ، وحتى يقتص لنا منك أب أو أخ أو زوج ، وهو مالابد واقع فى يوم من الأيام ، سأسعى مكفهر الوجه الى جميع محافلك ، لأردد على مسامعك بأنك يا مولاى قد أسأت مسلكا وأسأت صنعا، وسوف تستمع الى ، ولن يرتفع جبينك الدنس حتى أفرغ من كلمى ، وتود لو تسلمنى الى الجلاد حتى تكرهنى على الصمت ، ولكن لا ، فلن تجرؤ على ذلك ، خشية أن يعود اليك شبحى فى الغد ليتحدث اليك · (مشيرا الى رأسه) وهذا الرأس فى يده !

الملك : (يكاد ينفجر غيظا) أينسى المرء نفسه فتبلغ به الجرأة والهذيان هذا الحد ؟ (مخاطبا السيد دى بيين) أيها الدوق اقبض على هذا السيد !

(يومىء السيد دى بيين باشارة ، فيحتاط بالسيد دى سان فالييه اثنان من رجال الحرس حاملى الرماح) ·

تريبوليه : (ضاحكا) لقد جن جنون الرجل يا مولاى !

السيد دى سان فالييه : (داعيا) لتنزل بكما لعنة السماء ! (مخاطبا الملك) مولاى ، ليس من الشهامة أن تطلق كلبك على ليث محتضر · (مخاطبا تريبوليه) وأنت من تكون ؟ ما أنت سوى تابع له لسان أفعى ، أتهزأ من لوعة أب منكوب ؟ لتنزل بك لعنة السماء !

(مخاطبا الملك) ان من حقى عليك أن تعاملنى معاملة عاهل لعاهل،

أنت ملك وأنا أب ، والسن يعدل العرش ، وكلانا يحمل على مفرقه تاجا لا ينبغى لامرىء أن يتطلع اليه شزرا · انك تحمل تاج فرنسا الذهبى وأنا أحمل تاجا من جـلال المشيب · أيهـا الملك ، حين يجترىء ثمة فاسق على اهانة تاجك ، فأنت الذى تنتقم منه ، أما تاجى فان الله وحده هو الذى يتولى الثأر له ·

الفصل الثانى

سالتا باديل

زاوية قفراء فى شارع « كيل ديساك بوسى» على اليمين دار صغيرة هادئة المظهر ، ذات فناء صغير يحيط به سور يشغل شطرا من المسرح . بالفناء بضع شجرات ومقعد من حجر ، وفى السور باب يؤدى الى الطريق . فى أعلى السور شرفة ضيقة لها سقف يستند على عمد من طراز عصر النهضة . يطل باب الطابق الأرضى للدار على شرفة تصلها بالفناء درجة سلم . وعلى اليسار أسوار حديقة قصر كوسيه العالية ، وفى المؤخرة بيوت متباعدة وبرج كنيسة سان سيفيران .

المشــهد الأول

تريبوليه وسالتا باديل خلال شطر من المشهد. السيدان دى بيين ودى جورد قابعان فى المؤخرة . يظهر فى الشارع تريبوليه ملتفا بمعطف وبغير لازمات المهرج . يتجه نحو باب السور فى عقبيه رجل يرتدى حلة سوداء ويتشح مثله بعبـاءة ، وقد رفع من ذراعه سيف يحمله .

تريبوليه : (حالما) لقد لعننى هذا العجوز !

الرجل : (محييا) سيدى ..

تريبوليه : (ملتفتـا فى مرح) آه .. (يفتش فى جيبه) ليس معى شىء .

الرجل : تبا لك ! اننى لا أبغى شيئا يا سيدى .

تريبوليه : (مشيرا اليه أن يدعه لشأنه وأن يبتعد) حسن جدا .

(يدخل السـيدان دى بيين ودى جورد ويتوقفان للحـديث فى المؤخرة) .

الرجل : (محييا) لقد أخطأت التقدير يا سيدى . أنا من رجال السيف .

تريبوليه : (يتراجع محدثا نفسه) ترى أهذا لص ؟

الرجل : (يدنو منه فى لطف مصطنع) سيدى . انك تبـدو سـاهما مشغول الفكر ، وانى أراك تجول كل مساء فى هذه الجهة ، يخيل الى أن لك امرأة ترعاها .

تريبوليه : (محدثا نفسه) يا للشـيطان ! (بصـوت مرتفع) اننى لا أفصح عن شئونى للغير .

(يريد أن يبتعد فيمنعه الرجل)

الرجل : ولكنى لصالحك أقحم نفسى فى شـئونك ، ولو كنت تعرفنى لأحسنت لقائى ٠

(مقتربا) قد يكون ثمة مختال يغازل امرأتك وأنت تغار منه ٠

تريبوليه : (فى ضجر) وقصارى القول ماذا تريد ؟

الرجل : (فى ابتسامة لطيفة وصوت خفيض وسريع) أقتل لك غريمك لقاء أجر ٠

تريبوليه : (يتنفس الصعداء) آه ٠ هذا شىء عظيم ٠

الرجل : لعلك ترى يا سيدى اننى رجل شريف ٠

تريبوليه : يا للطاعون !

الرجل : ولئن تبعتك فلقصد نبيل ٠

تريبوليه : نعم ٠ الحق انك رجل مفيد !

الرجل : (فى تواضع) حارس شرف سيدات المدينة ٠

تريبوليه : وكم تتقاضى لقتل هذا الغريم ؟

الرجل : هذا يتوقف على حيثية الغريم الذى يقتل وكفاءتى فى العمل ٠

تريبوليه : ماذا تطلب لكى تجهز على أحد كبار النبلاء ؟

الرجل : آه ، يا للشيطان ! هذا يزيد من احتمال تعرضى للهلاك بطعنة حسام فى البطن ان هؤلاء قوم مسـلحون وفى ذلك خشـية على حياتى ، هذا الى أن النبيل غالى الثمن ٠

تريبوليه : النبيل غالى الثمن ! خبرنى ، هل يباح لأواسط الناس مثلا أن يؤجر أحدهم على قتل الآخر ؟

الرجل : (مبتسما) لقـد شرعوا فى ذلك ! ومع كل فالقتـل ترف ٠ أفهمت ؟ ترف تأصل بصفة عامة فى علية القوم ٠ وهناك ثمة سوقة يصطنعون مظهر السادة ، يكلفوننى بالقتـل لقاء مبلغ ضـخم ، وهؤلاء أترفق بهم ٠ انهم ينقدوننى مقدما نصف الآجر ، والنصف الآخـر فيما بعد ٠

تريبوليه : (يهز رأسه) نعم ٠ انك تخشى المقصلة وعقاب ٠٠

الرجل : (مبتسما) لا ٠ لا ٠ اننا نتولى الوفاء بأتاوة الشرطة ٠

تريبوليه : تدفعون مبلغا معينا عن أى رجل ؟

الرجل : (يومىء بالايجاب) اللهم الا ·· ترى ماذا أقول لك ؟ الا اذا كان المقتول ، يا الهى ·· الا اذا كان المقتول هو الملك ذاته !

تريبوليه : وكيف تؤدى مهمتك ؟

الرجل : سيدى ، اننى أقتل فى الطريق أو فى بيتى حسبما تشاء ·

تريبوليه : أسلوب مهذب ·

الرجل : حين أنزل الى الطريق أحمل معى نصلا حادا ، ثم انتظر الضحية مساء ··

تريبوليه : وفى البيت ، ما سبيلك ؟

الرجل : لى أخت تدعى « ماجيلون » فتاة رائعة الحسن ، تزاول الرقص فى الطرقات ويستظرفها الناس ، فهى تستدرج الى بيتنا الضحية ليلا ··

تريبوليه : فهمت ·

الرجل : أرأيت ؟ كل هذا يتم فى وقار دون جلبة · جربنى يا سيدى فستجد ما يسرك · اننى لا أملك حانوتا ، ولا أثير من حولى مظاهرة ، لا سيما أننى لست من زمرة حاملى الخناجر ذوى القمصان الضيقة الذين يتجمعون عشرة فى أبسط مغامرة ، هؤلاء اللصوص الذين قصرت شجاعتهم مثلما قصر سيفهم (يجذب من تحت عباءته سيفا بالغ الطول) هذه أداتى · (يتراجع تريبوليه مذعورا) فى خدمتك !

تريبوليه : (محملقا فى السيف فى عجب) لست فى حاجة اليها الآن ·

الرجل : (معيدا السيف الى جرابه) تبالك ! اذا احتجت الى فاننى أتنزه يوميا عند الظهيرة أمام قصر دى ميد واسمى سالتا باديل ·

تريبوليه : أأنت من الغجر ؟

الرجل : (محييا) ومن أهل بورجونيا ·

السيد دى جورد : (فى المؤخرة يدون شيئا فى مفكرته ويخاطب السيد دى بيين بصوت خافت) هذا رجل مفيد ، لقد دونت اسمه ·

الرجل : (مخاطبا تريبوليه) لا تظن بى السوء · أرجوك ·

تريبوليه : كلا · بحق الشيطان ، فلابد للانسان من حرفة ·

الرجل : غير التسول والكسل والسرقة . عندى أطفال أربعة ..

تريبوليه : ولا يليق بك أن تقعد عن رعايتهم .. آذنا له بالانصراف) أدامت السماء حبورك !

السيد دى بيين : (فى المؤخرة مخاطبا السيد دى جورد وهو يشير الى تريبوليه) مازلنا فى وضح النهار وأخشى أن يرانا . (ينصرفان) .

تريبوليه : (مخاطبا الرجل) سعدت مساء !

الرجل : (محييا) الى الملتقى . خادمك المطيع . (ينصرف)

تريبوليه : (يشيعه بنظراته وهو يبتعد) كلانا ندان ، لى لسان سليط وله نصل حاد . بضاعتى الضحك وبضاعته القتل .

المشـــهد الثانى

يختفى الرجل . يفتح تريبوليه فى بطء باب سور الفناء ويتطلع الى الخارج بحذر ثم يجذب المفتــاح من الرتاج ويوصد البــاب بعنــاية من الداخل . يخطو بضع خطوات فى الفناء ساهما بادى الهم والتفكير .

تريبوليه : (محدثا نفسه) لقد لعننى هذا العجوز ! حين حدثنى ، حين صاح فى وجهى : لتنزل بك لعنة السماء أيها التابع ! لقد هزأت من لوعته ! أجل كنت فى هذا خسيسا ، كنت أضحك وقلبى ينفطر !

(يذهب للجلوس على مقعد صغير بالقرب من خوان حجرى)

ملعون ! (يستغرق فى حلم ويده على جبينه) أجل . لقد جعلتنى الطبيعة غاية فى الشيطنة والضراوة والجبن ! يالشدة سخطى على الدنيا لأننى مهرج ولأننى أشوه ! تلك هى الفكرة التى تراودنى دوما فى صحوتى ومنامى ! ولئن طفت على جناح الأحلام حول العالم ففى انتظارى فى آخر المطاف هذا الواقــع المرير ، وهـــو أننى مهرج قصر ، محروم من كل شىء ، ولا يقدر على أى شىء . عليه أن يضحك وأن يلتمس اضحاك الآخرين ! يا له من غلو فى المهـــانة والبؤس ! ماذا أقول ؟ ان لقطيع الجند الملتف حول تلك الخرقه

التى يسمونها علما ، وما بقى من حطام الدنيا لكل متسول أسبانى أو رقيق تونسى أو شقى فى سجنه بل لكل امرىء يتنفس ويتحرك على ظهر البسيطة ، هو حقه فى ألا يضحك وحقه فى البكاء اذا شاء ٠ أما أنا فلا أحظى بهـــذا الحق ! يا لله ، ويا لى من مخلوق حـزين عبوس ، جبيس جسد أسيىء خلقه ، فقد يضيق به ذرعا ، اننى مفعم بالقرف من دمامتى وأغار من كل قوى ومن كل وسيم ٠ تسلط على الأضواء من كل صوب فلا تزيدنى الا قتاما ٠ أتوق أحيانا الى الوحدة واعتزال الناس ، فاذا ما التمست مكانا قصيا وأردت أن أجمع شتات نفسى وأســكن للحظات روعها وهى تنشج بالبـكاء المرير ، ظهر مولاى على حين غرة ، هذا الملك المرح الطروب ، القادر على كل شيء ، معبود النساء ، من قرعينا بدنيـــاه فنسى من فرط السعادة ظلمة القبر ، من جمع بين نعمة الشباب والجمال وبسطة القوام والعافية وملك فرنسا ، جاء ليركلنى بقدمه فى معزلى والليل ساكن يسمع تنهدى وأنينى ، فيهتف بى وهو يتثاءب : أضحكنى أيها المهرج ما أشقاك يا مهرج القصر ! ألا انك بشر رغم كل شيء ٠ ماذا أقول ؟ ان مراحل الأنفعال التى تغلى فى قرارة نفسه ، ومشاعر الحقد والصلف والحسد والسخط والخوف التى يزخر بها قلبه ، والحذر الأزلى من ثمة تدبير رهيب ، كل هذه الأحاسيس السود التى تنهش ضلوعة يكبتها عند ذاك فى نفسه بأشارة من مولاه ، ويشكلها بشرا ومرحا لمن يشاء ! يا له من هوان ! فلئن جلس أو نهض أو سار ، أحس على الدوام بهذا الخيط الذى يجذب قدمه !! انه يلقى المهانة أينما كان والمذلة من كل انسان ٠ وقـــد يصادف ملكة أو غانية ساحرة ، شبه عارية، يسيل لها لعابه، فتدعه يلهو فى خدرها كما يفعل الكلب ! أما أنتم ــ يا سادتى النبلاء ــ ذوو الطلعة البهية ، سادتى النبلاء الساخرون منه ، فيالمقته لكم ، ويالكم من من أعداء ألداء له ! لكم جعلكم تدفعون ثمن سخريتكم به غاليا ، وكم عرف كيف يباغتكم بهجوم مضاد ! انه الشيطان الأسود الذى يستشيره الملك ، لقد أفل نجمكم الى الأبد أيها السادة ، فكلمـــا استطاع المهرج أن ينشب أظافره فى حياة تفيء عليها ظلال السعادة سارع الى انتزاع أوراقها ورقة ورقة ! لقد جعلتم منه سباقا للشر ! أهكذا تكون الحياة ؟ يا للهول ! انكم تمزجون الخمر بالصـــاب وتسكرون بها الناس ، وان نبتت فى نفس امرىء نزعة الى الخير

أتيتم عليها وصدعتم بصلصلة الجلاجل كل رأس يريد أن يفكر ٠
انكم تنسابون كل يوم فى المحافل ـ مرتع سخريتكم ـ كما تنساب
الروح الشريرة ، لتقضوا بدافع السأم هناء السعداء ، اذ لا غاية
لكم سوى حطم الغير ، وانكم لتحملون فى قرارة النفس ، وأنى
قادتكم المصادفة رصيد حقد قديم للناس طرا ، فاضت به قلوبكم ،
تقحمونه فى كل شأن وتكنونه من وراء ضحكة ساخرة !

آه ما أتعسنى ٠

(ينهض من المقعد الحجرى الذى كان يجلس عليه) ولكننى الآن
هنا ، فلا أكترث بشىء ٠ أما أغدو رجلا آخر حين أجتاز هذا
الباب ؟ فلأنس للحظات هذا العالم الذى خرجت منه ، فلا ينبغى
أن أحمل الى هذه البقعة شيئا من متاعب الخارج ٠ (يعاوده
الشرود) لقد لعننى هذا العجوز ! ولكن لم يراودنى هذا الخاطر
بعد اذ طردته ؟ أرجو ألا يصيبنى مكروه (يهز منكبيه) ترانى
جننت ؟ (يمضى الى باب البيت ويطرقه ٠ ينفتح الباب وتدلف منه
فتاة ترتدى ثوبا أبيض ، فترتمى متهللة بين ذراعيه) ٠

المشهد الثالث

تريبوليه ـ بلانش ـ السيدة بيرارد

تريبوليه : ابنتى ! (يضمها الى صدره فى لهفة وحنان) ٠

طوقى عنقى بذراعيك ٠ ضعيهما على قلبى !

كل شىء باسم بقربك ، ولا يثقل على صدرى شىء ! أى بنيتى ! اننى
جد سعيد ، وأتنفس ملء رئتى ! (يرنو اليها بعين نشوى) انك
تزدادين حسنا من يوم الى يوم ! هل يعوزك شىء ؟ قولى ، أمستريحة
أنت هنا ؟ بلانش عانقينى بقوة !

بلانش : (بين ذراعيه) يا لك من انسان نبيل يا أبتاه !

تريبوليه : (جالسا) كلا . اننى انسان يحبك هذا كل ما فى الأمر . ألست حياتى ودمى ؟ ماذا كنت فاعلا يارب لو لم أرزق بك ؟

بلانش : (واضعة يدها على جبينه) انك تتنهد . أرى أن ثمة هموما تكتمها فى نفسك . أليس كذلك ؟ أفصح عنها لابنتك المسكينة ! واحر قلباه ! اننى لا أعرف لى أسرة .

تريبوليه : ليس لك أسرة يا بنيتى .

بلانش : اننى أجهل اسمك .

تريبوليه : وماذا يعنيك من اسمى ؟

بلانش : كان الجيران فى « شينون » تلك المدينة الصغيرة التى شهدت طفولتى يعتقدون أننى يتيمة قبل قدومك .

تريبوليه : كان على أن أتركك هناك فهذا أسلم ، لكننى لم أستطع الحياة على تلك الحال . كنت فى حاجة اليك ، فى حاجة الى قلب يضمر لى الحب . (يضمها ثانية بين ذراعيه) .

بلانش : ليتك تحدثنى عن نفسك ..

تريبوليه : اياك والخروج !

بلانش : منذ أقمت هنا منذ شهرين ، ذهبت الى الكنيسة ليس غير ثمان مرات .

تريبوليه : حســـنا .

بلانش : حدثنى يا أبى الحنون ، حدثنى على الأقل عن أمى .

تريبوليه : آه . لا تثيرى فى نفسى قصة مريرة . لا تذكرينى بأننى وجدت فى زمن مضى ــ ولولا أنك ماثلة أمامى لقلت اننى رأيت فيما يرى النائم ــ امرأة تختلف عن معظم النساء ، فى عالمنا الذى خلا ممـــا يؤلف بين القلوب ، امـــرأة أحبتنى لبؤسى ودمامتى ، حين رأتنى وحيدا عاجزا بائسا بغيضا . ثم انتقلت الى رحاب الله وطوت معها فى القبر هذا السر العلوى ، سر حبها الخالص ، سرها الذى مر بى كالبرق الخاطف ، أو كشعاع هبط من الجنة الى مستقرى فى السعير ! ليحن الثرى الذى يتأهب دوما لطينا على ذاك الصدر الذى أرحت عليه رأسى ! وبقيت لى وحدك . (مبتهلا الى الله) الهى لك الحمد على نعمائك .

(يبكى مخفيا جبينه بين يديه) .

بلانش : لا ريب فى أنك تتعذب لا · اننى لا أحب أن أراك على هذا النحو باكيا · لا ، ان بكاءك يقطع نياط قلبى ·

تريبوليه : (بمرارة) وماذا تقولين اذا ما رأيتنى ضاحكا ؟

بلانش : أبتاه · ماذا بك ؟ اذكر لى اسمك ··· أواه ، أودعنى كل همك !

تريبوليه : كلا · ما الذى يدعو لذكر اسمى ؟ كفى أننى أبوك · اصغى الى : قد يكون هناك خارج هذا المكان كما تعلمين من يخشى بأسى أو يزدرينى أو يلعننى ، من يدرى ؟ فماذا أنت صانعة باسمى ان ذكرته لك ؟ اننى أريد هاهنا على الأقل ، أريد فى وجودك أريد فى هذه البقعة من الدنيا ، هذه البقعة التى تضم البراءة والطهر ، أن أكون أبا فحسب ، أبا مبجلا له قدسيته وله قدره وجلاله !

بلانش : أبتاه !

تريبوليه : (يضمها بوله بين ذراعيه) ألا من قلب فى غير هذا المكـــان يحنو على ؟ أواه ، اننى أحبك بقدر ما أبغض فى هذا العالم ! اجلسى بقربى وتعالى نتناجى · خبرينى ؟ أتحبين أباك ؟ ها نحن أولاء سويا ويديك بين يدى ، فماذا يكر هنا على حديث آخر ؟ أى بنيتى ، أنت كل السعادة التى واتتنى بها السماء ! ان للآخرين آباء وأخـــوة وأصدقاء ، لهم زوجة أو زوج ، لهم المواكب والضياع ، لهم أجداد وحلفاء وأبناء وغير ذلك مما لا أدرى ، أما أنا فليس لى سواك · ان بعض الناس أثرياء ، حسنا ، أنت وحدك ما لى وأنت وحدك كنزى ! والبعض يؤمنـــون بالله ، وأنا أو من بروحك ! وآخرون ينعمون بالشباب وبحب امرأة ، ينعمون بالعزة والجاه والجمال والصحة ، انهم غاية فى الوسامة والحسن ، أما أنا ــ فكما ترين ــ ليس لى سوى حسنك ، أى طفلتى العزيزة ، أنت وطنى وملاذى ، أنت زوجى وأمى وأختى وابنتى ، أنت هنائى وثروتى ودينى وشريعتى ، دنياى أنت ، أنت دائما ، ولا أحد فى الوجود سواك ! ان نفسى الشقية مثخنة بالجراح فى سائر جنباتها الأخرى ، ترى ما مصيرى اذا فقدتك ؟ لا · هذا خاطر لا أقوى على احتماله لحظة ! ابتسمى فى وجهى قليلا فان بسمتك ساحرة · نعم ، انها صورة صادقة لبسمة أمك ! لقد كانت جميلة على غرارك ! انك تمررين يدك أحيانا على على جبينك كمـــا كانت تفعل كأنما تمسحينه · أجل ، فلابد لكل قلب طاهر من جبين كله براءة ونقاء ، وسماء كلها صفاء · انك

تشعين على بلهب علوى ، وان نفسى لترى نفسك من خلال جسدك الجميل ، وانى لأبصرك سواء أغمضت عينى أم فتحتهما ، فأنت لى منبع النـور . أتمنى أحيـانا لو كنت أعمى ، تغشى عينى ظلمة دامسة ، حتى لا أرى فى هذه الدنيا شمسا سواك !

بلانش : أواه ، كم أتمنى اسعادك !

تريبوليه : من ؟ أنا ؟ اننى ها هنا سعيد ، سعيد اذ تقع عليك عيناى ، وحسبى منك ذلك يا ابنتى لتذوب حشـاشتى . (يمـرر يده فى شعرها وهو يبتسم) ما أروع هذا الشعر الأسـود الجميل ! من يصدق يا طفلتى أنك كنت شقراء ؟

بلانش : (فى دلال) انى أتوق الى الخروج يوما لأشاهد باريس بعض الوقت .

تريبوليه : (محتدا) كلا ، اطلاقا . أما خرجت يا ابنتى على الأقـل بصحبة السيدة بيرار ؟

بلانش : (مرتجفة) كلا .

تريبوليه : حـذار !

بلانش : اننى أذهب الى الكنيسة فحسب .

تريبوليه : (محدثا نفسه) يا للسماء ! قد يرونهـا ويقتفون أثرها ويسلبونها منى ، وفى كونها ابنة مهرج خزى وعار ، يثير سخرية الناس منها . (بصوت مرتفع) أرجوك مرة أخـرى أن تظلى فى البيت حبيسة ! آه لو تعلمين يا بنيتى كم يفسـد النسـاء جـو باريس ، وكم يرتع الداعرون فى المدينة طولا وعرضـا ، لا سيما النبلاء !

(مبتهلا) رب اجعلها تشب فى هذا الحمى تحت سمعك وبصرك . رب جنبها المكاره جميعا . وأتح لكل ريح عاصفة أن تذيل ما عداها من الزهـر . رب قها حتى فى أحلامها كل نسمة دنسة ، كيما يستطيع أب منكود ـ فى ساعات صـفوه ـ أن يستنشق عبيرها المكنون ، عبير وردة تنضج عذرية وحسنا !

(يخفى رأسه بين يديه ويسترسل فى البكاء)

بلانش : حنانيك يا أبتاه ! لا تبك هكذا . لن ألتمس منك الخروج أبدا .

تريبوليه : لا . ان فى البكاء راحة للنفس . لقد ضحكت كثيرا ليلة الأمس .

(ناهضا) ولكنى نسيت نفسى طويلا ، لقد حان وقت انصرافى يا بنيتى لأواصل المشاق ، وداعا .

(يمضى النهار الى زوال)

بلانش : (تعانقه) خبرنى .. أتعود قريبا ؟

تريبوليه : ربما . اننى كما ترين – يا طفلتى المسكينة – لست سيد نفسى .

(مناديا) يا سيدة بيرارد !

(تظهر على الباب وصيفة عجوز)

السيدة بيرارد : ماذا يريد سيدى ؟

تريبوليه : لا أظن أن أحدا رآنى أدخل هنا . أليس كذلك ؟

السيدة بيرارد : هذا ما أعتقده ياسيدى . فنحن فى بقعة قفراء نائية .

(الليل يرخى سدوله . يظهر الملك فى الشارع من الجهة الأخرى للسور متنكرا فى زى بسيط قاتم اللون . يعاين ارتفاع السور والباب المغلق . تنم اشاراته عن غضب ونفاذ صبر) .

تريبوليه : (محتضنا بلانش) وداعا يا ابنتى الحبيبة .

(مخاطبا السيدة بيرارد) أتحرصين على اغلاق الباب المؤدى الى الطريق ؟

(تومىء السيدة بيرارد بالايجاب) اننى أعرف دارا أكثر انعزالا خلف شارع سان جرمان .

بلانش : ان هذه الدار تروق لى يا أبتاه لشرفتها التى أشاهد منها الحدائق .

تريبوليه : لا تخرجى الى الشرفة . أتوسل اليك !

(متصنتا) أهناك من يمشى فى الخارج ؟

(يمضى الى باب الفناء ويفتحه ، ثم ينظر فى قلق الى الطريق . يختبىء الملك فى حفرة قرب الباب الذى تركه مفتوحا الى منتصفه)

بلانش : (مشيرة الى الشرفة) ماذا ؟ ألا أستطيع الخروج الى الشرفة لأشم الهواء ؟ .

تريبوليه : (عائدا) حذار ! فقد يراك أحد ·

(بينما يستدير تريبوليه ، يتسلل الملك الى الفناء من الباب المفتوح ويختبىء خلف شجرة ضخمة)

(مخاطبا السيدة بيرارد) وأنت ! لا تعلقى مصباحا فى النافذة ·

السيدة بيرارد : (متشابكة اليدين) وأنى لانسان أن ينفذ الى هذا المكان ؟

(تستدير ، فتلمح الملك خلف الشجرة · تتوقف مبهوتة · وحين تهم بالصراخ يلقى اليها الملك بصرة نقود · تتناولها وتقيم زنتها فى يدها فلا تفتح فاها)

بلانش : (مخاطبة تريبوليه وكان قد ذهب ليعاين الشرفة وفى يده مصباح) يالها من حيطة شديدة ! ولكن خبرنى يا أبتاه ، ممن تخاف ؟

تريبوليه : لا شىء عن نفسى ، وكل مخاوفى عليك !

(يحتضنها مرة أخرى بين ذراعيه) بلانش ، بنيتى ، وداعا !

(تضيىء أشعة المصباح الذى تحمله بيرارد وجه بلانش وتريبوليه)

الملك : (محدثا نفسه خلف الشجرة) تريبوليه ! (ضاحكا) ماذا بحق الشيطان ابنة تريبوليه ! يالها من قصة فريدة !

تريبوليه : (عائدا ادراجه بعد أن هم بالانصراف) ألا يلاحقك أحد حين تذهبين للصلاة فى الكنيسة ؟ ان هذا الأمر يشغل فكرى !

(تطرق بلانش فى ضجر)

السيدة بيرارد : أبدا ·

تريبوليه : عليك أن تستغيثى اذا تبعكما أحد ·

السيدة بيرارد : نعم · وسأدعو مساعدا قويا !

تريبوليه : ثم لا تفتحى مطلقا لمن يطرق الباب ·

السيدة بيرارد : (متحدية حيطة تريبوليه) حتى اذا كان الملك ؟

تريبوليه : وخصوصا اذا كان الملك !

(يعانق ابنته مرة أخرى ، ثم ينصرف بعد أن يوصد الباب بعناية)

المشــهد الرابع

بلانش ـ السيدة بيرارد ـ الملك

(يظل الملك خبيئا خلف الشجرة خلال الشطر الأول من المشهد)

بلانش : (ساهمة تنصت الى وقع أقدام أبيها وهو يبتعد)
يخالجنى مع ذلك شعور بالندم !

السيدة بيرارد : الندم ٠ ولماذا ؟

بلانش : كم يخشى من أقل همسة وينزعج ! لقد رأيت دمعة تتأرجح فى عينيه حين انصرف ٠ لهفى عليك يا أبتاه ! ما أبلغ طيبتك ! كان على أن أخبره أن ثمة شاب يتبعنا يوم الأحـد عنـد خروجنـا ٠ أتذكرين ؟ هذا الشاب الجميل ٠

السيدة بيرارد : ولم تروين له هذه القصـة ياسيدتى ؟ قصارى القول ان أباك رجل غريب الأطوار على قدر من الضراوة ٠ أتكرهين اذن هذا الفارس الشاب ؟

بلانش : أنا أكرهه ؟ كلا ٠ واحر قلباه ! اننى على النقيض أحبه ، فمنذ رأيته لا يلهينى عنه شىء ، ومنذ خاطبت عيناه عينى لم يعد لسائر الخلق عندى أى وزن ٠ انه لا يغيب عن خاطرى أبدا ٠ لقـد وهبت له نفسى ٠ أتسمعين ؟ هذا قرارى ٠٠ انى أراه يزيد طولا عن أى انسان بقدر ذراع ! كم هو لطيف ونبيل وشهم ومقـدام يا بيرارد ، ولا جدال فى بهاء طلعته وهو على صهوة الجياد !

السيدة بيرارد : فى الحق انه رائع !

(تمر على مقربة من الملك فينفحها حفنـة من الذهب تدسـها فى جيبها)

بلانش : مثل هذا الرجل لابد أن يكون ٠٠

السيدة بيرارد : (تمد يدها الى الملك فيزيدها عطاء) انسانا كاملا ٠

بلانش : يستشف قلبه من عينيه ٠ قلب كبير !

السيدة بيرارد : ما فى ذلك شك ٠ قلب هائل !

(تمد السيدة بيرارد يدها الى الملك لدى كل كلمة تنطق بها فيملؤها بقطع ذهبية)

بلانش : شجاع !

السيدة : (تواصل خديعتها) مرهوب الجانب !

بلانش : وهو مع ذلك ٠٠ طيب القلب !

السيدة بيرارد : (ممدودة اليد) حنون !

بلانش : سخى !

السيدة بيرارد : (ممدودة اليد) رائع !

بلانش : (فى تنهد عميق) اننى معجبة به !

السيدة بيرارد : (ممدودة اليد لدى كل عبارة تلفظها) قوام منقطع النظير ! عيناه ، جبينه ، أنفه ٠

الملك : (محدثا نفسه) يا الهى ! ان العجوز تفصل فى اطرائى ! لقد ابتزت كل ما فى حافظتى ٠

بلانش : يطيب لى أشادتك به ٠

السيدة بيرارد : اننى أعرفه ٠

الملك : (محدثا نفسه) انها تسكب الزيت على النار لتذكى ضرامها !

السيدة بيرارد : طيب القلب حنون ، ذو قلب هائل ، شجاع ، سخى ٠٠

الملك : (مفرغا كل ما فى جيوبه) يا للشيطان ! انها تعاود !

السيدة بيرارد : (مسترسلة) انه نبيل عظيم الشأن ، أنيق الثياب ، يحمل قفازه علامة مطرزة بالذهب ٠

(تمد يدها الى الملك ، فيومىء اليها بأنه خالى الوفاض)

بلانش : لا ٠ اننى لا أتمنى أن يكون أميرا أو نبيلا قط بل أتمناه طالبا فقيرا وافدا من الريف فيكون أصدق حبا ٠

السيدة بيرارد : قد يكون كما ذكرت ! اذا كنت تفضلينه على هذا النحو ٠ (محدثة نفسها) ما أعجب ذوقها ! وياله من عقل يافع زاخر بالمتناقضات !

(تحاول مرة أخرى أن تمد يدها للملك) لقد جن هـذا الشـاب الجميل بحبك ..

(لا يعطيها الملك شيئا) (محدثة نفسها) أرى أن صـاحبنا قد أفلس . لا كلام بلا دراهم .

بلانش : (دون أن ترى الملك) ان يوم الأحد لا يستبق قط موعده ، وان خوفى لشديد حين لا أراه . لقد ظننت ذاك اليوم عند تقديم القرابين انه سيخاطبنى ، فاشتد خفقان قلبى ! اننى أفكر فيـه ليل نهار ، أما عنه فقد توله كما ترين بحبى ، وانى لعلى ثقة بأن صورتى لا تفارق خياله أبدا . تلك هى طبيعته ، وهذا واضـح فيه . انه لا يعبأ بأية فتاة سواى ، يعاف اللهو واللعب والسمر ولا يفكر الا فى .

السيدة بيرارد : (تبذل محاولة أخيرة وتمد يدها للملك) أقسم على ذلك برأسى !

الملك : (يخلع خاتمه ويعطيه لها) خاتمى فداء رأسك !

بلانش : كم أتمنى أحيانا حين أفكر فيه نهارا ، وحين أحلم به ليلا ، أن أراه ماثلا أمامى .

(يخرج الملك من مخبئه ويجثو تحت قدميها ، بينما هى كانت موليه وجهها شطر ناحية أخرى) لكى أقول فى وجهه : عشت سـعيدا قرين العيد . آه ، نعم اننى أحـ ...

(تلتفت فترى الملك جاثيا أمامها فتتوقف مشدوهه)

الملك : (مادا لها ذراعيه) أحبك ! أكملى عبارتك ! أكمليهـا ! قولى أحبك ولا تخشى شيئا . ان هذه العبارة تنسجم مع هـذا الثغر الجميل !

بلانش : (مذعورة . تبحث بعينيها عن السـيدة بيرارد التى اختفت) بيرارد ! بيرارد ! ما من أحد . رباه ! هل من مجيب ؟ لا أحد .

الملك : (لا يزال جاثيا) حبيبان تباركهما السعادة ، يالها من دنيا بأسرها !

بلانش : (مرتجفة) سيدى . من أين جئت ؟

الملك : من جهنم أم من السـماء ، وسـواء كنت الشـيطان أو جبريل فذلك عندى غير ذى بال اننى أحبك !

بلانش : رحماك أيتها السماء ! أرجو ألا يكون قد رآك أحد · انصرف ! رباه ! لو أن أبى ··

الملك : أنصرف حين أراك مختلجـة بين ذراعى ، حين أغـدو ملكا لك وتصبحين ملكا لى ! انك تحبيننى وجهرت بحبك !

بلانش : (فى اضطراب) يا الهى ! لقد كان ينصت الى ·

الملك : بلا شك · وهل من لحن علوى يفوق هذا اللحن تودين أن أنصت اليه ؟

بلانش : (متوسلة) والآن وقد تحدثت الى أرجو أن تنصرف ، رحمة بى !

الملك : لن أنصرف حتى يرتبط مصـيرك بمصيرى ، ويتألق نجمانا فى برج واحد ، وأوقظ فيك مشاعر الفتاة · لقد اصطفتنى السـماء لأفتح للحب نفسك العذراء وللنور مقلتيك تعـالى وأنظرى · ان الحب شمس النفوس ، أفلا يشعرنك بالدفء لهبها اللطيف ؟ ان صولجان الملك الذى يمنحنا اياه الموت ثم يسترده منا ، والمجـد الذى نحرز ونحن نصول ونجول فى سـاحات الوغى ، والسعى وراء الشهرة واقتناء الضياع وتسنم العروش كل هـذه أمور من صنع البشر ، وما من شىء فى هـذه الحيـاة ـ وكل ما فيها الى زوال ـ من وحى السماء غير الحب ! أى بلانش ! ان حبيبك يحمل اليك السعادة ، تلك السعادة التى كانت تنتظر فى استحياء على بابك ! انمـا الحيـاة زهرة والحب رحيقها ، وما الحب الا ذلك الرباط الذى يجمع فى السماء شمل اليمامة والصقر، وهو الحسن المختلج مستندا الى ساعد القوة والبأس وهو يدك المنسية فى لطف ودعة بين يدى ·· تعالى نرتشف كئوس الحب ! تعالى نرتشـف كئوس الحب !

بلانش : كلا · دعنى ! (يضمها بين ذراعيه ويقبلها)

السيدة بيرارد : (فى المؤخرة تحـدث نفسـها فى الشرفة) ان الأمور تسير على ما يرام !

الملك : (محدثا نفسه) لقد استسلمت ! (بصوت مرتفع) صارحينى بحبك !

السيدة بيرارد : (فى المؤخرة تحدث نفسها) ياله من فاجر !

الملك : بلانش · أعيدى على مسمعى ما قلته ·

بلانش : (مطرقة فى حياء) لقد سمعتنى وتعرف ما قلت ·

الملك : (يعانقها مرة أخرى بشغف) اننى سعيد !

بلانش : اننى هالكة !

الملك : لا · بل أنت سعيدة معى !

بلانش : (تتخلص من عناقه) اننى لا أعرفك · خبرنى ما اسمك ؟

السيدة بيرارد : (محدثة نفسها فى المؤخرة) حان وقت التفكير فى ذلك ·

بلانش : لا أخالك أميرا أو نبيلا ، فان أبى يخشى هؤلاء أشد خشية !

الملك : يالله ! كلا · اسمى ·· (محدثا نفسه) ترى ما هو ؟

(يبحث) اسمى جوشـيه ماهييـه ·· طالب ·· طالب رقيق الحال ··

السيدة بيرارد : (منهمكة فى تلك اللحظة فى احصاء ما أعطى لهـا من نقود) ياله من كذاب أشر !

(يدلف الى الشارع السيدان دى بيين ودى باراديان ملتفين فى معطفيهما ، وفى يد كل منهما مصباح هزيل الضوء)

السيد دى بيين : (مخاطبا السيد دى باراديان بصوت خافت) هنـا أيها الفارس ·

السيدة بيرارد : (فى صوت خفيض وهى تهبط مسرعة من الشرفة) انى أسمع صوتا فى الخارج ·

بلانش : (مذعورة) ربما كان أبى !

السيدة بيرارد : (مخاطبة الملك) انصرف يا سيدى !

الملك : آه لو يقع فى قبضتى هذا الغادر الذى عكر صفوى !

بلانش : (مخاطبة السيدة بيرارد) دعيه يمضى سريعا من الباب المؤدى الى الطريق ·

الملك : (مخاطبا بلانش) ماذا ؟ أنفترق هكذا مبكرا ؟ ترى ستحبيننى فى الغد ؟

بلانش : وأنت ؟

الملك : طوال عمرى ٠

بلانش : سوف تخدعنى لأننى خدعت أبى !

الملك : أبدا ٠ قبلة واحدة يا بلانش فى عينيك الجميلتين ٠

السيدة بيرارد : (محدثة نفسها) ياله من معانق أحمق !

بلانش : (متمنعة) لا ٠ لا !

(يعانقها الملك ثم ينصرف برفقة السيدة بيرارد)

(تظل بلانش ردحا من الزمن وعيناها مصوبتان نحو الباب الذى خرج منه ، ثم تعود الى الداخل ٠ يزخـر الشـارع فى تلك الاثناء بنبلاء مسلحين يرتدون المعاطف والأقنعة ٠ ينضم السيد دى جورد ثم السادة دى كوسيه ودى بريون ودى مونشينو ودى مونمورانس وكليمان مارو على التوالى الى السيدين دى بيين ودى باراديان ٠ الليل حالك السواد ، يطفىء هؤلاء مصباحهم الشاحب ويتبادلون فيما بينهم اشارات التعرف ويرشـدون بعضهم البعض الى منزل بلانش ، وفى اثرهم يسير تابع يحمل سلما) ٠

المشـهد الخامس

النبلاء ثم تريبوليه ثم بلانش

(تطلع بلانش الى الشرفة من باب الطابق الأول وفى يدها مشعل يضيىء وجهها) ٠

بلانش : (واقفة بالشرفة) جوشيه ماهييه ! هذا هو اسم من أحب ٠ ليكن منقوشا على صفحة قلبى !

السيد دى بيين : (مخاطبا النبلاء) انها هى بعينها أيها السادة ٠

السيد دى باراديان : لنرى ٠

السيد دى جورد : (بازدراء) نسخة من جمال العامة !

(مخاطبا السيد دى بيين) اننى راث لحالك اذا جعلت من الوضيعات متعتك

(تلتفت بلانش فى تلك اللحظة بحيث يتسنى للنبلاء رؤيتها)

السيد دى بيين : (مخاطبا السيد دى جورد) كيف تراها الآن ؟

مارو : ما أجمل هذه الشريرة !

السيد دى جورد : أنها جنية ! انها تلك ! انها الحسن كاملا !

السيد دى باراديان : ماذا ؟ أهذه خليلة السيد تريبوليه ؟ ياله من ماكر خبيث !

السيد دى جورد : انه وغد !

مارو : أجمل النساء لأقبح الرجال . هذا هو العدل . ان اله الحب مغرم بمزج الأشكال .

(تعود بلانش الى حجرتها ، ولا يبدو سوى ضوء من احدى النوافذ)

السيد دى بيين : ينبغى علينا أيها السادة ألا نضيع الوقت سدى فى الاستحسان والاستهجان . لقد عقدنا العزم على القصاص من تريبوليه ، وها نحن أولاء مجتمعون الآن وكلنا ناقم عليه ، ومعنا كذلك سلم خشبى . لنعتلى الجدار ونسلبه غانيته ، ثم نحملها الى قصر اللوفر فاذا صحا صاحب الجلالة فى صباح الغد وجد بجواره هذا الجمال الفاتن .

السيد دى كوسيه : من المرجح أن يستأثر بها الملك .

مارو : على الشيطان أن يعالج الأمر بطريقته الخاصة !

السيد دى بيين : أحسنت القول . هيا الى العمل !

السيد دى جورد : انها فى الحق قطعة من ملك .

(يدخل تريبوليه)

تريبوليه : (شاردا فى المؤخرة كأنما يحلم) هأنذا أعود . ترى ما الداعى ؟ لا أدرى السبب .

السيد دى كوسيه : (مخاطبا النبلاء) ها أنتم ترون أيها السادة كيف يستلب ملكنا نساء الغير . سواء منهن السمراء أو الشقراء . وددت لو أعلم ماذا يصنع اذا استولى أحد على الملكة ؟

تريبوليه : (يتقدم بضع خطوات) آه · هنا سرى المكنون ! لقد لعننى هذا العجوز ! ان شيئا ما يقلق خاطرى ·

(الظلام دامس ، فلا يرى السيد دى جورد وهو قريب منه · فيتعثر فيه وهو يمر) من هناك ؟

السيد دى جورد : (عائدا فى ذهول ، يتحدث بصوت خافت الى النبلاء) تريبوليه ، أيها السادة !

السيد دى كوسيه : (خافت الصوت) نصر مزدوج ! لنقتل الغادر !

السيد دن بيين : على رسلك ، كلا ·

السيد دى كوسيه : انه فى قبضتنا ·

السيد دى بيين : فسنفتقده فى الغد ، ولن نجد من نسخر منه ·

السيد دى جورد : لو أجهزنا عليه فقدت المؤامرة طابعها الفكه ·

السيد دى كوسيه : لكنه لن ينفك عن مضايقتنا ·

مارو : دعونى أتحدث اليه ، وسأضع الأمور فى نصابها ·

تريبوليه : (قابعا فى ركن من الأركان ، متربصا مرهف السمع) اننى أسمع من يتحدث بصوت خافت ·

مارو : (مقتربا) تريبوليه !

تريبوليه : (فى صوت مخيف) من هناك ؟

مارو : رويدك · لا تلتهمنا · انه أنا ·

نريبوليه : من أنت ؟

مارو : مارو ·

تريبوليه : آه ، ما أشد حلكة الليل !

مارو : نعم · لقد صنع الشيطان من السماء سبورة سوداء !

تريبوليه : لم مجيئكم ؟

مارو : جئنا لنحمل السيدة دى كوسيه الى الملك ، أغاب عنك هذا الخاطر ؟

تريبوليه : (يتنفس الصعداء) آه · حسن جدا !

السيد دى كوسيه : (محدثا نفسه) وددت لو أهشم طرفا من أطرافه !

نريبوليه : (مخاطبا مارو) وما سبيلكم الى دخول مخدعها ؟

مارو : (مخاطبا السيد دى كوسيه بصوت خفيض) أعطنى مفتاحك ·
(يقدم اليه السيد دى كوسيه مفتاحه · فيناوله بدوره لتريبوليه)
خذ ، تحسس هذا المفتاح · ألا تتبين شعار آل كوسيه منقوشا عليه ؟

تريبوليه : (يتحسس المفتاح) نعم · ورقات شجر ثلاث مسننة ·
(يتحدث الى نفسه) يا الهى ! ما أشد غبائى ! (مشيرا الى جدار على اليسار) ها هو ذا قصر آل كوسيه · يا للشيطان ! ما هذه الوساوس التى تطن فى رأسى ؟
(محدثا مارو وهو يعيد اليه المفتاح) أجئتم لتختطفوا من كوسيه البدين زوجه ؟ اننى معكم !

مارو : ولكننا جميعا مقنعون ·

تريبوليه : حسنا · أعطنى قناعا ·

(يعطيه مارو قناعا ، ويزيد عليه عصبة يشدها الى عينيه وأذنيه)

مارو : عليك أن تسند السلم الخشبى ·

(يبسط النبلاء السلم على جدار الشرفة · يأخذ مارو بيد تريبوليه الى السلم ويجعله به)

تريبوليه : (مطبق اليدين على السلم) أأنتم كثيرون ؟ اننى لا أرى شيئا على الاطلاق ·

مارو : لأن الليل حالك الظلام · (مخاطبا الآخرين وهو يضحك) فى وسعكم أن تصيحوا وأن تسيروا بخطى ثقال · لقد جعلت العصبة من صاحبنا أعمى وأصم ·

(يتسلق النبلاء السلم الخشبى · يقتحمون باب الطابق الأول عن طريق الشرفة ، وينفذون الى الداخل فتصل الثلة بأكملها الى الفناء · تجتاز الباب ثم تعود حاملة بلانش مكممة الفم ، شبه عارية ، تحاول الخلاص) ·

بلانش : (شعثاء الشعر ، يسمع صراخها من بعد) أبتاه · هلم لنجدتى · أبتاه !

صوت النبلاء : (من بعيد) النصر لنا ! (يختفون ومعهم بلانش) ·

تريبوليه : (وحيدا أسفل السلم الخشبى) هل أتوا بى ها هنا لأتطهر من ذنوبى ؟ ألم تنتهوا بعد ؟ يالها من سخرية مهينة !

(يترك السلم الخشبى ويضع يده على القناع فيجد العصبة) ان عينى معصوبتان ! (ينزع العصبة والقناع ، وعلى ضوء مصباح خافت الضياء ترك منسيا على الارض يرى شيئا أبيض يلتقطه ، فيتعرف على وشاح ابنته · يلتفت فيرى السلم الخشبى مسندا الى جدار الشرفة وباب الدار مفتوحا على مصراعيه · يدخل مندفعا كالمجنون ، وبعد لحظات يظهر مرة أخرى وهو يجر السيدة بيرارد مكممة الفم تكاد تكون عارية ، يحدق فيها برعب ثم يشد شعره ويطلق صرخات مبحوحة ثم يسترد صوته) ويلاه ، هـــذه هى اللعنة !

(يسقط على الأرض مغشيا عليه)

الفصل الثالث

الملك

ايوان الملك فى قصر اللوفر . الطلاء الذهبى والنقـــــوش والاثاث والفرش من طراز عصر النهضة . فى مقدمة المنظر خوان ومقعد وثير وكرسى يطوى . وفى المؤخرة باب كبير مذهب على اليمين باب مخدع الملك ، ومن خلفه ساتر موشى . وعلى اليسار خزانـــــة عليها آنية من الذهب والميناء . يؤدى باب المؤخرة الى ساحة الملعب .

المشـــهد الأول

النبـلاء

السيد دى جورد : والآن هيا بنا نعد خاتمة المغامرة ·

السيد دى باراديان : لابد لتريبوليه أن يعيى جهدا وأن يسام عذابا · وألا يتكهن بأن حسناءه هنا ·

السيد دى كوسيه : ليفتش عن خليلته · نعم ، هذا شىء جميل · ولكن هبوا أن حراس الأبواب قد رأونا هذه الليلة ونحن ندخلها ·

السيد دى مونشينو : لقد أمر جميع الحـراس بأن يذكروا له انهم لم يروا الليلة قط امرأة تدخل قصر اللوفر ·

السيد دى بارايان : وفضلا عن ذلك ، وامعانا فى التضليل ، سعى الى داره خادم من خدمى ، لئيم بارع فى نســج المكائد ، لكى يفضى ــ بصورة أو بأخرى ــ الى رجال المهرج بأنه قد رأى فى منتصف الليل امرأة يجرونها جرا الى قصر « هوتفور » وهى تحاول الخلاص جاهدة ·

السيد دى كوسيه : (ضاحكا) حسنا ، وذكر قصر هوتفـور يقذف به بعيدا عن قصر اللوفر !

السيد دى جورد : لنحكم شد تلك العصبة التى تغطى عينيه ·

مارو : لقد بعثت الى المهرج صباحا بهذه الرسالة (يخرج ورقة ويقرأ) « لقد اختطفت غانيتك يا تريبوليــه ، وسأصطحبها معى ــ ان لم يكن بد من اعلامك ــ الى خارج فرنسا »

(يضحك الجميع)

السيد دى جورد : (مخاطبا مورو) والتوقيع ؟

مارو : جان دى نيفيل !

(تشتد عاصفة الضحك)

السيد دى باراديان : كم سيضنيه البحث !

السيد دى كوسيه : وفى ذلك ما يشفى غليلى !

السيد دى ورد : ليوف لنا هذا الشـقى يوما بكل ما سلف من دين ، ونراه وهو يجر أذيال اليأس ، منكمش الرسغين ، منقبض الأنياب من فرط الغضب ٠

(ينفتح الباب الجانبى ٠ يدخل الملك مرتديا حلة صباحية رائعة وبصحبته السيد دى بيين يصطف رجال البلاط حاسرى الرؤوس ٠ يضحك الملك والسيد دى بيين ملء شدقيهما)

الملك : (مشيرا الى باب المؤخرة) أهى هناك ؟

السيد دى بيين : انها خليلة تريبوليه ٠

الملك : حقا ؟ يالله ؟ أشلحتهم من مهرجى خليلته ؟ هذا بديع !

السيد دى بيين : اما خليلته واما زوجه ٠

الملك : (محدثا نفسه) زوجه أو ابنته ، لا علم لى ان كان رب أسرة ٠

السيد دى بيين : أيود مولاى أن يشاهدها ؟

الملك : بلا شك ٠

(يخرج السيد دى بيين ويعود بعـد لحظة ، تسـتند الى ذراعه بلانش وهى تسير مترنحة وعلى وجههـا نقاب ٠ يجلس الملك فى استرخاء على مقعده)

السيد دى بيين : (مخاطبا بلانش) أدخلى أيتها الحسـناء ٠ سـوف ترتجفين فيما بعد كما يطيب لك ٠ أنت فى حضرة الملك ٠

بلانش : (محتفظة بنقابها) أهذا الشاب هو الملك ؟

(تهرع وتجثو تحت قدميه ٠ واذ يسمع الملك صـوتها ينتفض ويومىء الى الحاضرين بالانصراف)

المشـــهد الثانى

الملك ـ بلانش

الملك وحده ومعه بلانش ، يرفع عن وجهها النقاب الذى يحجبه

الملك : بلانش !

بلانش : جوشيه ماهييه ! ياللسماء !

الملك : (منفجرا فى الضحك) أقسم بشرفى أننى أسعد الناس بهـذه الخدعة ، سواء أكانت عن قصد أو بلا قصد · تعالى بين أحضانى يا جميلتى ، يا حبيبتى بلانش ·

بلانش : (متراجعة) ملك ·· ملك ! أطلق سراحى يا مولاى ! يا الهى ! اننى لا أدرى كيف أتحدث وماذا أقول يا سيد جوشيه ماهييه ·· لا ، بل أنت الملك ·

(تجثو أمامه مرة أخرى) أواه ، أدركنى برحمتك ، أيا كنت !

الملك : أأرحمك يا بلانش وأنا من يعبدك ؟ ان ما قاله جوشـــيه ماهييه مازال يردده فرنسوا · انك تحبيننى وأنا أحبك ، ونحن سعيدان بهذا الحب · وكونى ملكا لا ينال من حبى لك · كنت يا طفلتى تظنين أننى من أواسط الناس أو من سلالة الكهان ، بل ربما أدنى من ذلك شأنا ، فلئن جعلتنى المصادفة أكرم من ذلك محتدا وجعلت منى ملكا ؟ فهذا لا يدعو لبالغ تقززك منى فجأة ، ولئن لم يتح لى الحظ أن أكون من أهل القرى فذلك مالا أحفل به ·

بلانش : (محدثة نفسها) يا الهى ! يالها من سخرية ! ليتنى مت قبل هذا !

الملك : (مبتسما فى مزيد من الضـــحك) اللهو والرقص والحفــلات والجولات ، ومغانى الحب مساء فى ربوع الغايات ، ومئات المباهج التى يسترها جناح الليل ، كل ذلك سيزخر به مستقبل حياتك التى سوف تقترن بحياتى ! لنــكن حبيبين ، حبيبين ســعيدين ! لنكن زوجين ! لابد من يوم تدركنا فيه الكهولة ، فدعينى أصارحك

بأن الحياة هو نسيج تومض فى بعض مواضعه برغم بلى السنين بعض لحظات الحب ، ولولا تلك الشذرات اللامعة لما كانت سوى خرقة كئيبة !

(ضاحكا) اننى كثيرا ما أفكر يا بلانش فى كل هـــذه الأمور ، فأخرج منها بهذه الحـكمة ! لنحمـد الله ! ولنحب ، ولنستمتع بالحياة ، ونملأ بطوننا بأطيب الطعام !

بلانش : (مطرقة برأسها متراجعة) يا لأوهامى ! كم هـو بعيد الشبه عمن تخيلت !

الملك : ماذا ؟ أكنت تحسبيننى عاشقا مضطربا ســاذجا من زمرة هؤلاء المجانين العابسين ، الذين خمدت مشاعرهم فظنوا أن فى اطلاق الزفرات الملتاعة ما يكفى لترنوا اليهم أبصار النساء كافة ، وتهفو الأفئدة التى انبهرت بهم ؟

بلانش : (فى اعراض) دعنى ! يا لى من تعسة !

الملك : أتعرفين من نحن ؟ ان فرنسا وشعبها بأسره ، خمسة عشر مليونا من البشر ، ان الغنى والجاه والمتعة والسلطان الذى لا يقف دونه قانون ولا حائل ، كل ذلك ملك يمينى ورهن اشارتى . أنا الملك وستصحبين ملكة هذا الملك . بلانش ، أنا الملك ، وستكونين أنت الملكة .

بلانش : الملكة ؟ وماذا عن زوجتك ؟

الملك : (ضــاحكا) يا للفضيلة والبراءة ! ألا ترين أن زوجتى لسيت عشيقتى ؟

بلانش : أأكون عشيقتك ! كلا .. يا للعار !

الملك : ياله من كبرياء !

بلانش : لست ملكا لك . لا . اننى ملك لأبى .

الملك : ومن يكون أبوك ؟ تريبوليه ؟ هذا المجنون ، مهرج قصرى ؟ ان أباك ملك يدى ، أصنع به ما يروق لى ، ورغبته صدى رغبتى .

بلانش : (منتحبة بحرقة ورأسها بين يديهــا) يا الهى ! ما أتعســك يا أبتاه ! ماذا ؟ كل شىء اذن ملك يديك ؟

(تجهش بالبكاء فيرتمى الملك تحت قدميها ليسرى عنها)

الملك : (بلهجة حانية) بلانش ! أنت عزيزة على ! بلانش ، لا تبك ٠ تعالى الى صدرى ٠

بلانش : (تقاوم) محال !

الملك : (فى حنان) لم تعيدى بعد على مسامعى انك تحبيننى ٠

بلانش : وا أسفاه ! لقد انتهى كل شيء ٠

الملك : لقد جرحت دون قصـد مشاعرك ٠ لا تنتحبى كمن لا حول له ولا قـوة ٠ انى لأوثر المنـون ، أوثر أن يذاع عنى فى مملـكتى ودوقيتى أننى ملك بلا شجاعة أو شهامة على ابكاء عينيك على هذا النحو ٠ ان ملكا يبكى سيدة لهو ملك جبان رعديد ٠

بلانش : (ذاهلة باكيـة) ان ما حدث لم يكن سـوى دعابة ٠ أليس كذلك ؟ أنت الملك ، ولكن لى أب يبكى لفراقى ٠ أعدنى اليـه ، اننى أقطن أمام قصر كوسيه ، ولكنك تعرف ذلك حق المعرفة ٠ آه ، من انت اذن ؟ اننى لا أعى مما جرى شيئا ، لقد حملونى بين صيحات التهليل والفرح ، وذلك كله مختلط فى ذهنى كالحلم ٠ (باكية) لم أعد أدرى حتى اذا كنت لا أزال أحبك ، أنت يا من توسمت فيه الوداعة والحنان ! (متراجعة فى رعب) أنت الملك ! اننى أخاف منك !

الملك : (محاولا ضمها بين ذراعيه) أخيفك أيتها الخبيثة !

بلانش : (وهى تصده) لا ٠٠ دعنى !

الملك : (يشدها اليه ويعانقها) ترى ماذا أبغى ؟ قبلة فيها الصفح !

بلانش : (فى محاولة للافلات منه) كلا !

الملك : (محدثا نفسه وهو يضحك) يالها من فتاة غريبة !

بلانش : (متخلصة من أحضانه) دعنى ! هذا هو الباب !

(تلمح باب مخدع الملك مفتوحا ، فتندفع الى الحجرة وتغلقها عليها بعنف)

الملك : (يناول مفتاحا ذهبيا صغيرا من حزامه) ان المفتاح معى ٠

(يفتح الباب ويدفعه بعنف ثم يدخل ويغلق الباب خلفه)

مارو : (ضاحكا ٠ وكان يرقب منذ آونة ما يدور من باب المؤخرة) لقد التمست الحماية فى مخدع الملك ! ما أشقاك أيتها الصغيرة !

(مناديا السيد دى جورد) تعال أيها الكونت ٠

المشـــهد الثالث

مارو ـ السادة النبلاء ـ تريبوليه

السيد دى جورد : (مخاطبا مارو) هل عاد ؟

مارو : ان الليث قد سحب الشاة الى عرينه ٠

السيد دى باراديان : (قافزا من فرط الفـــرح) ياألك من مســـكين يا تريبوليه !

السيد دى بيين : (وكان قائما بالباب وعيناه محدقتان الى الخـارج) صه ! انه قادم ٠

السيد دى جورد : (مخاطبا النبـلاء بصوت خافت) الزموا الهـدوء ! ينبغى ألا يبدو علينا أى شىء ، ولنكن جميعا شديدى الحذر ٠

مارو : فى مقدوره أيها السادة أن يتعرف على دونكم جميعا ٠ فهـو لم يتحدث الا معى ٠

السيد دى بيين : ينبغى ألا تظهر له شيئا ٠

(يدخل تريبوليه ٠ لم يتغير فيه شىء ٠ عليه زى المهرج وفيـــه لامبالاته ٠ وان كان ممتقع الوجه شاحبه)

السيد دى بيين : (يبدو كأنما يواصل حديثا استهل من قبل ، ويحملق محذرا بعض النبلاء الشبان الذين يكبتون ضحكات مكتومة لدى رؤيتهم تريبوليه)

نعم أيها السادة ٠ وعند ذاك ٠٠ آه ، سعدت صباحا يا تريبوليه !

وعند ذاك صاغوا هذه الأغنية فى مقاطع

(يغنى) حين رأى الملك مرسيليا قال لرجاله

يالله ! أى قائد سنلقى فى هذا البلد

تريبوليه : (مكملا الأغنية) وعلى قمة جبـل الكولومب كان الممر ضيقا
فصعدوا جميعا دفعة واحدة .

وهم ينفخون فى أصابعهم بغية الدفء .

(ضحكات ساخرة وتصفيق حاد)

الجميع : بالضبط !

تريبوليه : (يواصل التقدم فى بطء حتى مقـدمة المنظر ثم يتحدث الى نفسه)

ترى أين يحتمل أن تكون ؟

(يمضى يدندن) فصعدوا جميعا دفعة واحدة

وهم ينفخون فى أصابعهم بغية الدفء

السيد دى جورد : (مصفقا) مرحى ، تريبوليه ، مرحى !

تريبوليه : (يتفرس فى كافة الوجوه التى تضحك من حوله ثم يتحدث الى نفسه)

لقد أسهم الجميع فى توجيه هذه اللطمة . هذا مالا شك فيه !

السيد دى كوسيه : (رابتا على كتف تريبوليـه وهـو يضـحك ملء شدقيه) ما وراؤك من جديد أيها المهرج ؟

تريبوليه : مخاطبا الآخرين وهو يشير الى السيد دى كوسيه) ان هـذا النبيل ليثير الفجع حين يضـحك . (مقلدا ما قاله السـيد دى كوسيه) ما وراؤك من جديد أيها المهرج ؟

السيد دى كوسيه : (ضاحكا دائما) نعم . ماذا جئت تفضى به الينا ؟

تريبوليه : (متطلعا اليه من قمة الرأس الى أخمص القدم) خلال الشطر الأول من المشـهد . يبـدو تريبوليـه كأنمـا يبحث ويفحص وينقب فيما حـوله ، وكثيرا ما تدل نظـراته وحـدها على الهم والتفـكير العميق ، وأحيـانا حين يعتقد أنه بمنأى عن العيـون يحرك قطعة من الأثاث من مكانها أو يدير قبضة باب ليرى ان كان موصدا . وفيما عدا ذلك فهو يتحدث الى الجميع كالعادة بأسلوب ساخر يتسم بالبساطة واللامبالاة ، والنبلاء من جانبهم يضحكون فيما بينهم همسا ، ويتبـادلون الاشـارات وهم يتحـدثون فى موضوعات شتى)

ترى أين أخفوها ؟ آه · لو سألتهم عنها فسيضحكون منى !
(يقترب من مارو ويخاطبه فى مرح) من دواعى سرورى أنك لم تصب بزكام ليلة الأمس ·

مارو : (مصطنعا المفاجأة) ليلة الأمس ؟

تريبوليه : (غامزا بعينه كأنما أدرك الأمر بذكائه) دعابة قاسية طربت لها !

مارو : أية دعابة ؟

تريبوليه : (وهو يهز رأسه) نعم !

مارو : (فى براءة) كل ما فعلت ليلة الأمس هو أننى آويت الى فراشى حين دقت ساعة حظر التجول ، والتففت بأغطيتى ، ولم أستيقظ الا مع بزوغ الشمس ·

تريبوليه : عجبا ! ألم تخرج ليلة الأمس ؟ لعلها كانت اضغاث أحلام !
(يلمح منديلا على الخوان فينقض عليه)

السيد دى باراديان : (متحدثا بصوت خافت الى السيد دى بيين) انظر أيها الدوق · انه يتأمل الحرف المطرز على منديلى ·

تريبوليه : (يسقط المنديل من يده ويتحدث الى نفســه) لا · ليس هذا منديلها ·

السيد دى بيين : (مخاطبا بعض الشبان الذين يضحكون فى المؤخرة) أيها السادة ! ··

تريبوليه : (مخدثا نفسه) ترى أين هى ؟

السيد دى بيين : (مخاطبا السيد دى جورد) ما الذى يضحكك بهــذا بهذا الشكل ؟

السيد دى جورد : (مشيرا الى مارو) أقسم بأنه هو الذى يضحكنا ·

تريبوليه : (محدثا نفسه) انهم اليوم فى غاية السرور ·

السيد دى جورد : (مخاطبا مارو وهو يضحك) لا تحملق فى هــكذا بارتياب · والا قذفت بتريبوليه فوق أم رأسك ·

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى بيين) ألم يستيقظ الملك بعد ؟

السيد دى بيين : فى الحقيقة لا !

تريبوليه : أليست هناك ثمة حركة فى جناحه ؟

(يريد أن يدنو من باب المخدع فيقف فى وجهه السيد دى باراديان)

لا توقظ صاحب الجلالة !

السيد دى جورو : (مخاطبا السيد دى باراديان) أيها الكونت : لقد روى لنا هذا الأفاق مارو قصة طريفة عن الأخوة الثلاثة «جى» ، فعند عودتهم ليلة الامس ، ولا أدرى أين كانوا ، وجدوا ، آه ! ماذا قال هذا الاستاذ المخبول ؟ وجدوا زوجاتهم ـ الثلاث جميعا ـ مع آخرين .

مارو : فى خلوة ...

تريبوليه : لقد استبيحت الحرمات فى هذا الزمان !

السيد دى كوسيه : ما أشد غدر النساء !

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى كوسيه) آه ، عليك بالحذر !

السيد دى كوسيه : ماذا ؟

تريبوليه : عليك بالحذر يا سيد دى كوسيه .

السيد دى كوسيه : ماذا ؟

تريبوليه : أرى حدثا فظيعا يتهددك .

السيد دى كوسيه : ماذا تقول ؟

تريبوليه : (فى استعلاء وسخرية) مغامرة على غرار هذه تماما .

السيد دى كوسيه : (مهددا فى سخط) الويل لك !

تريبوليه : يها السادة ! ان الحيوان لمشوق جدا الى المعرفة . هذه هى الصيحة التى يطلقها حين يستبد به الغيظ (مقلدا دى كوسيه) الويل لك !

(يضحك الجميع . ثم يدخل أحد النبلاء مرتديا زى حاشية الملك)

السيد دى بيين : ما وراءك يافو دراجون ؟

النبيل : ان مولاتى تريد لقاء الملك فى أمر عاجل .

(يومىء اليه السيد دى بيين باستحالة تنفيذ هذا الطلب فيصر النبيل) ولكن السيدة دى بريزيه ليست عنده .

السيد دى بيين : (بصبر نافذ) لم يستيقظ الملك .

النبيل : ماذا تقول أيها الدوق ؟ لقد كان معك توا .

السيد دى بيين : (يشتد به السخط ويومىء الى النبيل باشارات

لا يدركها هو وانما يلحظهـا تريبوليه بانتباه شـديد) ان الملك يصطاد !

النبيل : وحده طبعا . بغير حجاب أو مدربى كلاب . لأن هؤلاء جميعا هنا

السيد دى بيين : (محدثا نفسه) يا للشيطان !

(مخاطبا النبيل وهو يحدق فى عينيه بغضب) نقول لك أن الملك لا يستطيع لقاء أحد . أفهمت ؟

تريبوليه : (صائحا بصوت كالرعد) انها هنا ! هى مع الملك !

(يسود الدهشة بين الجميع)

السيد دى جورد : ماذا دهاه ؟ انه يهذى ! من هى ؟

تريبوليه : انكم تعلمون حق العلم ـ أيها السـادة ـ من أعنى ، وما من سـبيل لحملى على الانصراف . انها المخلوقة الكسـيرة التى قمتم باختطافهـا أنتم جميعا من دارى ليلة الامس : كوسـيه وبيين والشيطان وبريون ومونمورانس ، وأنت كذلك ضالع معهم يا سيد دى باراديان سوف أستردها أيها السادة . انها هنا .

السيد دى بيين : (ضاحكا) لقد فقد تريبوليه خليلته ، وسواء أكانت وسيمة أم دميمة فليفتش عنها فى غير هذا المكان .

تريبوليه : (فى صوت راعب) أريد ابنتى !

الجميع : ابنته ؟

(حركة استغراب ودهش)

تريبوليه : (متشابك الذراعين) انها ابنتى ! نعم . فلتضحكون الآن ! عجبا ، مالكم لا تنطقون ؟ أيدهشكم أن تروا هذا المهرج أبا وله ابنة ؟ أو ليس للذئاب وللنبلاء أسر ؟ أفلا يجوز أن تكون لى كذلك أسرة ؟ أفيقوا وكفى هذرا ! (بصوت مرعب) اذا كنتم تمزحون فهذا شىء لطيف . ولـكن لابد لهذا المزاح من نهـاية ! انى أريد ابنتى ، أريدها ، أوعيتم ما أقـول ؟ نعـم . انكم تتهامسـون وتتحدثون فى هذا الأمر هازئين ساخرين ، ولكنى لا أعبأ بمظاهر انتصاركم .

أيها السادة ، انى أطالبكم بابنتى .

(يقفز الى باب مخدع الملك) انها هنا !

(يصطف النبلاء جميعا ويقفون فى وجهه)

مارو : لقد تحول جنونه الى سعر ٠

تريبوليه : (متراجعا فى يأس) أيتها الحاشية ، أيها الأبالسة ، أيهـا الجنس اللعين ! لا مراء فى أنهم سرقوا ابنتى هؤلاء القراصنة ! ان المرأة لا تســاوى فى نظرهم شرو نقير ! وحين يكــون الملك ـ لحسن الحظ ـ ملك الدعار ، وحين يكون النبــلاء على حــذق ولباقة ، ففى وسع الزوجات أن يفدنهم آجل الفوائد ٠ آما شرف العذراء فهو فى حســابهم ترف لا فائدة منه وأمانة ثقيلة العبء ، والمرأة ما هى الا حقل يغل ، أو ضيعة يوفى ايجــارها الملكى فى أجل معلوم ، اما نعم تغدق عليهم بالمئات ولا أدرى من أين ، واما منصب خطير أو قلادة تزين العنق أو ســيل من المنح يجرى بلا انقطاع ٠ (يتفرس فى وجوه الجميع) ألا أجد من بينــكم أحدا يكذبنى ! أليس هذا فى الواقع هو الصدق بعينه ؟ (يدور عليهم كل بدوره) انكم جميعا تودون أن تبيعوا له ، ان لم يكن قد بعتم له بالفعل ، لقاء لقب أو رتبة وما الى ذلك من الخرافات ٠ (مخاطبا السيد دى بريون) أنت يا بريون تبيع له زوجتك ! (مشيرا الى السيد دى جورد) وأنت أختك ! (مشيرا الى الشاب بارايان) وأنت أمك !

حاجب : (يصب كأسا من النبيذ وهو جالس الى الخوان ، ثم يأخذ فى الشراب وهو يدندن)

حين رأى الملك مرسيليا قال لرجاله :

يالله ! أى قائد سنلقى فى هذا البلد

تريبوليه : (مستديرا) لا أدرى لم يحرص يا فيكونت دوبوسون على أن أحطم بين أسنانك كأسك وأغنيتك ! (مخاطبا الجميع) ترى من يصدق أن أدواقا وأمراء وكبراء من بلاد الاسبان ٠ يا للعار ! من يصدق أن ملكا من سلالة شرلمان ، وبريون من حفدة أمير ميلانو ، وجــورد سيميان ، وبيين ، وبارادیان ، وأنت يا موغورانسى ألمع ما عرف من أسماء ، تسلبون من شقى ابنته ؟ كلا ٠ محــال أن ينتسب الى هذه البيوتات العريقة من يكن تحت شعاراتها الرفيعة نفســا وضيعة ! كلا ٠ لســتم أبناء تلك الأسر ، فبين غمرات

السخرية والمجون زنت فيكم أمهاتكم مع الخدم ، فأنتم جميعا أبناء سفاح !

السيد دي جورو : ماذا ؟ هذا كلام غريب !

تريبوليه : كم بذل لكم الملك ، لتبيعوا له فلذة كبدى ؟ لقد نقدكم ثمن الصفقة . تكلموا ! (يشد شعر رأسه) لو اننى رغبت ، وأنا ليس لى سواها ، لنقدنى يقينا ثمنها ، وهى من جمعت ولا شك بين الصبا والجمال !

(متطلعا اليهم) أيظن ملككم انه يقدر لى على شىء ؟ أيستطيع أن يضفى على جاها كجاهكم ؟ أيستطيع أن يجعل منى مخلوقا وسيما أحسن خلقه كسائر البشر ؟ يا للسعير ! لقد سلبنى كل شىء ! الا أن هذه المكيدة البارعة الوضيعة الفاجرة دبرت فى خسة وجبن ! أيها الأشرار ، أيها السفاحون ! انكم قراصنة لصوص فجرة ، تستطيعون تعذيب النساء ! لابد لى من ابنتى أيها السادة . لابد لى منها أخيرا ! هل ستعيدونها الى فورا ؟ آه ، أترون هذه اليد ؟ انها يد عديمة الأثر ، يد رجل من السوقة ، يد رقيق جلف . ألا ان هذه اليد التى تبدو للساخرين عزلاء بلا سيف ، لهى يد ذات أظفار أيها السادة أيخيل الى اننى انتظرت طويلا ! أعيدوها الى . هذا هو الباب . افتحوا الباب . (ينقض مرة أخرى فى سورة هياج على الباب ، فيهب لحمايته النبلاء جميعا يقاوم المهرج لفترة ثم يعود فيتهاوى فى مقدمة المسرح ، محطما لاهثا ، خائر القوى جاثيا على ركبتيه) أتقفون جميعا فى وجهى ؟ عشرة يتصدون لواحد !

(يستسلم للبكاء والنشيج) دعونى أبكى . نعم !

(مخاطبا مارو) أى مارو ، لقد انتشيت على حسابى بما فيه الكفاية ، فان كنت لا تزال تطوى تحت ردائك المطرز ثمة ضمير حى وعقل ملهم واحساس العامة فخبرنى أين أخفوها وماذا فعلوا بها ! انها هنا ، أليس كذلك ؟ لندع هؤلاء الملاعين الأشرار ، ولنتحدث فيما يعنينا كأخوة ، انك تتصف دون سائر النبلاء بالحكمة والحجى يا مارو . أى صديقى الكريم مارو ! مالك تلوذ بالصمت ؟

(زاحفا على الأرض فى اتجاه النبلاء) أواه ! انظروا ! هأنذا جاث

يا سادتي تحت أقدامكم ألتمس الصفح والغفران ! انني مريض ٠٠ أناشدكم الرحمة ! ربما كنت أحتمل هذا الكيد فيما مضى ، ولكني كما ترون ، أعاني في كل خطوة آلاما مبرحة في جسدي لا أفضي بها الى أحد ، وهكذا يعيش الأشوه أيامه في شقاء وتعس٠ اعفوا عني ، فاني مهرجكم من سنين عديدة ! رحماكم ٠ لا تحطموا هكذا دميتكم ، لا تحطموا تريبوليه المسكين الذى طالما أضحككم ! صدقوني ، لم أعد أدرى الآن ما أقول لكم ٠ ردوا الى طفلتي أيها السادة ! ردوا الى ابنتي التي تخفونها في مخدع الملك ٠ انها ذخرى ومالي سواها من ذخر ، رحمة بي أيها السادة النبلاء ! ماذا تتوقعون مني بدون ابنتي ؟ يا لسوء مصيرى ، لقد كانت كل مالي من حطام الدنيا !

(يلوذ الجميع بالصمت فينهض في يأس) يالله ! ألا تعرفون سوى الضحك أو الصمت ؟ انها لمتعة كبرى اذن أن تروا أبا بائسا يئن قلبه جراحا ، وينزع من مفرقة شعرات تكفل بياضها ليلتان من هذا القبيل !

(ينفتح باب مخدع الملك بغتة وتخرج منه بلانش شاردة اللب ٠ شعثاء الشعر ذاهلة ، فترتمي بين ذراعي أبيها وتطلق صرخة رهيبة) ٠

بلانش : أبتاه !

تريبوليه : (يضمها بين ذراعيه) طفلتي ! أواه ! انها هي ٠ ها هي ذي ابنتي أيها السادة ! (تخنقه العبرات والضحكات) أترون ؟ انها كل أهلي ، انها ملاكي ، وبدونها يتشح بالسواد دارى ! ألست محقا يا سادتي في أن أحدا لا يستطيع لومي على حزني والتياعي ، وأن في مجرد رؤية هذه الطفلة الجذابة الوادعة ما يثلج الصدر ، وأن النفس لابد ذاهبة على فقدها حسرات !

(مخاطبا بلانش) لا تخشي بعد الآن شيئا يا ابنتي ، لقد كانت مجرد دعابة ، كانت ضربا من المزاح ٠ أراهن انك تشعرين بالرعب منهم ، ولكنهم قوم كرام النفس ٠ لقد أدركوا مدى محبتي لك وسيدعوننا من اليوم نحيي في هدوء وسلام ٠ (مخاطبا النبلاء) أليس كذلك ؟ (مخاطبا بلانش) ما أسعدني بلقياك ! ان قلبي الآن مفعم بالغبطة حتى انني لا أدرى ما اذا كان يسعدني أن أفقدك

برهة لكى أعود بعدها فأجدك . اننى أضحك وكنت من قبل أبكى عليك . (يتأملها بقلق) ولكن فيم بكاؤك ، أنت ؟

بلانش : (مخيفة بيديها وجها كستة الدموع وحمرة الخجل) يا لنا من تعساء ! العار ..

تريبوليه : (منتفضا) ماذا تقولين ؟

بلانش : (مخفية وجهها فى حضن أبيها) ليس على مسـمع من هؤلاء الرجال . سأفضى بعارى لك وحدك .

تريبوليه : (متجها فى سورة غضب صوب باب الملك) يا للفـاجر ! حتى هذه أيضا !

بلانش : (تجهش بالبكاء وتهوى تحت قدميه) أود أن أنفرد بك !

تريبوليه : (يخطو بضع خطوات ثم يشير الى النبلاء الواجمين) انصرفوا من هنا آ واذا اجترأ فرانسوا ـ لسوء حظه ـ على المرور قريبا من هنا .. (مخاطبا السيد دى فرماندوا) أنت من حراسة ، فعليك أن تخطره بألا يدخل ، واننى هنا .

السيد دى بيين : لم أر من قبل مجونا بهذا الشكل .

السيد دى جورو : (مومئا اليه بالانسحاب) لا تثريب على المجانين كما لا تثريب على الصغار . وعلى كل لنكن من أمرنا على يقظة ، خشية أن يقع مالا يحمد عقباه .
(ينصرفون)

تريبوليه : (متربعا على مقعد الملك . يرفع ابنته ، ثم يخاطبها فى صوت هادىء رهيب) هيا ، تحدثى ، قصى على ما حدث كاملا .

(يلتفت فيلمح السيد دى كوسيه وكان قد تخلف . يهم تريبوليه الى منتصف قامته ويشير له الى الباب) ألم تسمعنى يا سيدى ؟

السيد دى كوسيه : (منسحبا كأنما يذعن لسلطان المهرج) ان المجانين يفاخرون باستباحة كل شىء .
(ينصرف)

المشـــهد الرابع

بلانش ــ تريبوليه

تريبوليه : (فى لهجة جادة) والآن تكلمى ٠

بلانش : (مطرقة الرأس ، تنشج بين الحين والحين بالبكاء) ينبغى أن أقص عليك يا أبتاه أنه تسلل الى الدار ليلة أمس ٠٠ (باكيـة ويداها على عينيها) اننى خجلة ! (يضمها تريبوليه بين ذراعيه ويمسح جبينها بحنـان) منذ أمد بعيـد ــ وكان على أن أعلمك سلفا ــ كان يتابعنى ٠٠

(نقطع حديثها مرة أخرى) ينبغى أن أستهل من البداية ٠٠ لم يكن يخاطبنى ٠ فاتنى أن أذكر لك أن هذا الشاب كان يتردد على الكنيسة أيام الآحاد ٠

تريبوليه : نعم ٠ الملك ؟

بلانش : (مواصلة حديثها) وأذكر انه كان يهز دوما مقعدى حين يمر بجوارى حتى ألتفت اليه ٠

(بصوت يزداد وهنا) وبالأمس استطاع أن يدخل الدار ٠٠

تريبوليه : دعينى أوفر عليك مرارة الافضاء ٠ اننى أحزر بقية ما حدث! (ناهضا) يا للهول ! لقد دفع بالخزى والعار جبينك ، ودنست أنفاسه هذا الجو النقى الذى يحيطك ، ونزع بضراوة تاج عفافك! أى بلانش ! انت ملاذى فيما أنا عليه من حال ، وسنا النهار الذى يوقظنى حين أدلف من دجى ليلهم ٠ أنت الروح التى ترقي بروحى الى عالم الفضيلة ، وستر الـكرامة الذى ينبسـط فوق مذلتى ٠ أنت الراحة لهذا اللعين الذى أشاح الكل عنه ، والملاك الذى نسيته رحمة الله لديه ! يا للسماء ! لقد ضاع ودفن فى أدران الوحـل أقدس ما آمنت به فى هذا الوجـود ! ترى ما مصـيرى اثر هذه

المشـهد الرابع

بلانش ـ تريبوليه

تريبوليه : (فى لهجة جادة) والآن تكلمى ٠

بلانش : (مطرقة الرأس ، تنشج بين الحين والحين بالبكاء) ينبغى أن أقص عليك يا أبتاه أنه تسلل الى الدار ليلة أمس ٠٠ (باكيـة ويداها على عينيها) اننى خجلة ! (يضمها تريبوليه بين ذراعيه ويمسح جبينها بحنـان) منذ أمد بعيـد ـ وكان على أن أعلمك سلفا ـ كان يتابعنى ٠٠

(نقطع حديثها مرة أخرى) ينبغى أن أستهل من البداية ٠٠ لم يكن يخاطبنى ٠ فاتنى أن أذكر لك أن هذا الشاب كان يتردد على الكنيسة أيام الآحاد ٠

تريبوليه : نعم ٠ الملك ؟

بلانش : (مواصلة حديثها) وأذكر انه كان يهز دوما مقعدى حين يمر بجوارى حتى ألتفت اليه ٠

(بصوت يزداد وهنا) وبالأمس استطاع أن يدخل الدار ٠٠

تريبوليه : دعينى أوفر عليك مرارة الافضاء ٠ اننى أحزر بقية ما حدث! (ناهضا) يا للهول ! لقد دفع بالخزى والعار جبينك ، ودنست أنفاسه هذا الجو النقى الذى يحيطك ، ونزع بضراوة تاج عفافك! أى بلانش ! انت ملاذى فيما أنا عليه من حال ، وسنا النهار الذى يوقظنى حين أدلف من دجى ليلهم ٠ أنت الروح التى ترقى بروحى الى عالم الفضيلة ، وستر الـكرامة الذى ينبسـط فوق مذلتى ٠ أنت الراحة لهذا اللعين الذى أشاح الكل عنه ، والملاك الذى نسيته رحمة الله لديه ! يا للسماء ! لقد ضاع ودفن فى أدران الوحـل أقدس ما آمنت به فى هذا الوجـود ! ترى ما مصـيرى اثر هذه

الضربة القاضية وأنا الذى ـ من هذا القصر الواعر ـ رضيت أم كرهت ـ لا أرى على ظهر البسيطة سوى الرذيلة والفساد والوقاحة والفجر والفسق والعار ، وليس لى تحت عرش السماء ما تقربه عينى سوى عذريتك وطهرك ؟ لقد أذعنت ورضيت بما قدر لى من شقاء وبؤس !

ان الدمع والذل الأصيل فى النفس وليس من سبيل غيره ، والكبرياء الذى ينزف على الدوام وما فى أعماق قلبى الكسير ، وضحكات المهانة التى تشحذ من أوجاعى ٠٠ نعم ، ان تلك الآلام جميعها ، مزيجة بالعار ، قد ارتضيتها يارب لنفسى وليس لها ! فبقدر ما كنت أوغل فى السقوط كنت أنشد لها علوا ٠ فلابد من هيكل مقدس بالقرب من المقصلة ٠ وأحر قلباه ! لقد انقلب رأسا على عقب ! نعم أخفى جبينك وابكى يا طفلتى الغالية ! لقد جعلتك تتحدثين طويلا من هنيهة ، أليس كذلك ؟ أبكى ما شاء الله لك البكاء ، ففى مثل سنك قد ينصرف مع الدمع أحيانا بعض الألم ٠ اسفحى ان استطعت كل دمعك فى صدر أبيك ! (حالما) سنرحل عن باريس يا بلانش حالما أفرغ مما بقى على القيام به ، لو خلصت منه ! (حالما دائما) ماذا ؟ أولا يكفى يوم واحد ليتبدل الحال غير الحال ؟

(ينهض فى ذعر) يا للعنة ! من كان فى وسعه أن ينبئنى أن زبانية هذا القصر الفاجر الجامح المحموم ، أولئك الذين دأبوا على الكر والفر ساحقين تحت أقدامهم المرآة والطفل ، مقارفين كل ما نهى الله عنه ، يمحون كل كبيرة بأخرى أفحش منها ، وينشرون الى مدى بعيد فيض الدماء والوحل ، قد مضوا الى أغوار الظلام حيث تعيشين بمنأى عن أعينهم ، ليدنسوا هذا الجبين النقى الطاهر !

(ملتفتا الى غرفة الملك) أيها الملك ! قادر ربى وهو لدعائى سميع أن يزل قدمك فى هذا الطريق الوبيل ! قادر ربى أن يفتح لك فى غد هذا القبر الذى تسارع اليه !

بلانش : رب لا تسمع له دعاء ، فانى أحبه الى الأبد !

(يسمع فى المؤخرة وقع خطوات ، وتظهر فى البهو الخارجى شرذمة من الجند والنبلاء يقودهم السيد دى بيين)

السيد بيبن : (مناديا) يا سيد دى مونشينو أمر بفتح القضبان لاقتياد السيد دى سان فالييه الى سجن الباستيل ٠

(يسير الجند مثنى مثنى فى المؤخرة ، وحين يمر السيد دى سان فالييه وهو برفقتهم أمام الباب يتوقف ويلتفت نحو مخدع الملك)

السيد دى سان فالييه : (فى صوت جهورى) لما كانت لعنتى على مليككم الذى ارتوى سبابا ولعنات لم تجد بعد على الأرض ولا فى السماء من مستجيب ـ كأن يبطش به ساعد بشر أو تنقض عليه من عليين صاعقة ـ فقد خاب عندى كل أمل ورجاء ، ولسوف تطيب الحياة لهذا الملك ٠

تريبوليه : (رافعا رأسه محدقا فى وجهه) لقد أخطأت الرؤيا أيها الكونت ، فثمة انسان سيتولى الثأر لك ٠

الفصل الرابع

بلانش

ساحل رملي مهجور يجاور بوابة باريس القديمة . على اليمين حطام وكر حقير ، أثث بآنية ضخمة من القصدير ومقاعد من خشب البلوط . يعلو الوكر برج على نافذته حصير . يتغلغل الضوء في الواجهة المطلة على النظارة بحيث يبين ما في داخل الوكر : خوان ومدفأة وسلم منحدر في المؤخرة يؤدى الى البرج . أما الواجهة الامامية ، وهى على يسار الممثل فيها باب يفتح الى الداخل . الجدار مخلخل اللبنات تعتوره شقوق وصدوع مما يتيح للمرء أن يرى من خلالها مايدور في الداخل. تنبسط على الباب من الخارج شرعة ، وبالباب كوة صغيرة تسدها قضبان وتعلوه لافتة تشير الى فندق قروى . يشغل الساحل الرملي بقية المنظر ، فعلى اليسار جسر عتيق متداع يجرى من تحته نهر السين ، وتلتحم به ذراع جرس الفليون ، وفى المؤخرة تمتد من وراء النهر مدينة باريس القديمة .

المشــهد الأول

تريبوليه ـ بلانش (فى الخارج)

سالتنا باديل (فى داخل الوكر)

(يبدو تريبوليه خلال هذا المشهد قلقا مهموما كأنما يخشى أن يراه أو يعطله أو يفاجئه أحد ، فهو يختلس النظر دائما فيما حوله لا سـيما ناحية الوكر · يجلس سالتنا باديل فى فندقه بالقـرب من الخـوان عاكفـا على تنظيف حميلة سيفه ، دون أن يسمع شيئا مما يدور بجواره)

تريبوليه : وهل أنت تحبينه ؟

بلانش : الى الأبد ·

تريبوليه : برغم أننى أفسحت لك من الزمن حتى تبرئى من تباريح هذا الهوى المجنون !

بلانش : اننى أهواه ·

تريبوليه : ياله من قلب امرأة ! ولكن فسرى ما يدعوك الى حبه ·

بلانش : لا أدرى ·

تريبوليه : هذا أمر فريد فى بابه ! هذا شيء عجيب !

بلانش : آه ، كلا · بل هو ذلك فى الحق مايدعونى الى حبه · ان الواحدة منا قد تصادف أحيانا ثمة رجل ينقذ حياتها ، أو زوج يثريها وتحسد عليه ، فهل تحب هذا أو ذاك دائما ؟ أما عنه ، هو ، فلم أصب منه سوى الضر · ورغم ذلك أحبه ، ولا أدرى السبب · أثرى الى أى حد لا أنسى شيئا ؟ ولئن اقتضى الأمر ـ وتأمل هنا مدى جنونى ـ أن أفديك وأنت بشير الخير لى ، أو أفديه وهو نذير الشر لى ، فاننى أبذل يا أبتاه حياتى من أجله كما أبذلها من أجلك !

تريبوليه : لقد غفرت لك ماتقولين يا طفلتى !

بلانش : ولكن · اسمع ، انه يهوانى ·

تريبوليه : لا · انك مجنونة !

بلانش : لقد أفصح لى عن هواه ، بل وأقسم على ذلك ! ثم هو يجيد الكلام فى لهجة الغالب الآمر عن شئون الحب ، مما يسلب اللب ! ثم له عنيان وادعتان تستعذ بهما المرأة ! انه ملك شهم عظيم وجميل !

تريبوليه : (منفجرا) انه فاجر ! سوف لايقال عن هذا المغرر الجبان أنه انتزع منى هنائى بلا قصاص !

بلانش : ولكنك عفوت يا أبتاه ··

تريبوليه : سأقتص من منتهك الحرمات ! كان لابد لى من فسحة من الزمن لأنصب الشرك ، وهأنذا ·

بلانش : منذ شهر — وانى أحدثك وأنا واجفة — كان يبدو انك تكن الحب للملك ·

تريبوليه : انى أتظاهر بذلك · (فى ثورة عارمة) سوف انتقم لك يا بلانش!

بلانش : (متضرعة) أشفق على من هذا يا أبتاه !

تريبوليه : ألا يسرى الى قلبك — على الأقل — شىء من الغضب اذا كان يخدعك ؟

بلانش : يخدعنى ؟ كلا · لا أعتقد ذلك ·

تريبوليه : واذا رأيته بعينى رأسك ، خبرينى ، أتظلين على حبه ان كان لايحبك ؟

بلانش : لا أدرى — انه يحبنى ، وذكر لى أنه يعبدنى ، هذا ما قاله بالأمس !

تريبوليه : (فى مرارة) فى أية ساعة ؟

بلانش : مساء الأمس ·

تريبوليه : حسنا ! تعالى اذن ، وانظرى ان كنت تستطيعين الرؤية !
(مشيرا لبلانش الى شق فى جدار البيت ، فتنظر من خلاله)

بلانش : (هامسة) لا أرى سوى رجل ·

تريبوليه : (هامسا كذلك) انتظرى قليلا ٠

(يظهر الملك فى قاعة الفندق فى زى ضابط ، ثم يدخل من باب صغير يؤدى الى غرفة مجاورة) ٠

بلانش : (منتفضة) أبتاه !

(تظل بلانش طوال المشهد التالى ملتصقة بشـق الجدار ، تسترق السمع وتختلس النظر الى كل مايدور فى داخـل القاعة ، ساهية عما سواه ، وتعتريها بين الحين والحين رعدة يرتجف لها الجسد) ٠

المشـهد الثانى

نفس الأشخاش ـ الملك ثم ما جيلون

(يربت الملك على كتف سالتا باديل ، فيلتفت هذا اليه ٠ ويرتبك بغتة فيما يفعل)

الملك : مطلبان على الفور !

سالتا باديل : ماذا ؟

الملك : أختك وكأسى

تريبوليه : (من الخارج) هكذا طبع ٠ ان هذا الملك ـ بفضل الله ـ كثيرا ما يعرض للهلاك حياته ، فهو يرتاد وحده أكثر من وكر ، وما يشمله من خمر ويدير رأسه لهو ما يسقاه فى أزرى الحانات ٠

الملك : (فى بهو الحانة يغنى) ٠

كثيرا ما تكون المرأة قلبا !

ومن يثق بها فهو مجنون

وكثيرا ما تكون المرأة كريشة فى مهب الريح !

(يمضى سـالتا باديل فى هدوء الى لغرفة المجاورة ويعود بزجاجـة وكأس يضعهما على الخوان ٠ ثم يطـرق السقف طرقتين

بقبضة سيفه الطويل ، وعلى أثر تلك الاشارة تهبط الدار قفزا فتاة حسناء ، ضاحكة البسرشيقة القد ترتدى زى الغجر ، واذ تدخل البهو يحاول الملك عناقها فتفلت منه) .

الملك : (مخاطبا سالتا باديل وهو يواصل فى جد دعك حميلة سيفه) ستغدو حميلتك أكثر بريقا يا صديقى لو انك تمضى لتنظيفها ــ بعض الوقت ــ فى الهواء الطلق !

سالتا باديل : فهمت .

(ينهض ويحيى الملك فى جفاء ثم يفتح الباب وينصرف ، ويعيد غلق الباب وراءه واذ يخرج من البيت يلمح تريبوليه فيتوجه اليه خلسة ، وبينما يتبادلان بعض العبارات تعمد الفتاة الى اثارة الملك . تتأمل بلانش هذا المشهد فى فزع . يتحدث سالتا باديل الى تريبوليـــه همسا وهو يشير بأصبعه الى البيت) .

أتريده حيا أم ميتا ؟ ان غريمك ها هنا فى قبضتنا .

تريبوليه : عد بعد لحظة .

(مشيرا اليه أن يبتعد ، فيتوارى سالتا باديل فى خطى ثقال خلف الجسر العتيق ، وفى تلك الأثنـــاء يراود الملك الفتـاة الغجرية فتصده صاخكة) .

ماجيلون : (والملك يبتغى ضمها) نانى !

الملك : حســنا . لقد قسوت فى ضربى منذ لحظة وأنا أحاول عناقك ، والآن تهتفين بى « نانى » ! انه نجاح عظيم ! انهـا خطوة كبرى . أرى أنها تتراجع دائما ! تعالى بنا نتناجى (تدنو منه الغجرية) منذ أيام ثمانية ، وكان ذلك فى فندق هرقل ، ترىمن قادنى اليه ؟ أظنه تريبوليه ــ هناك التقيت لأول مرة بعينيك الجميلتين ، ومنذ ذلك الحين وأنا أعبدك يا طفلتى الجميلة ، اننى لا أهوى سواك !

ماجيلون : (ضاحكة) بالاضافة الى عشرين أخر ! سيدى ، يبدو أنك فاجر بكل معنى الكلمة .

الملك : (ضاحكا بدوره) نعم . لقد أتعست فى الواقع أكثر من امرأة ، هذا حق . اننى مارد جبار !

ماجيلون : ياله من غرور !

الملك : ثقى فيما أقول ـ لقد استدر جتنى هذا الصـــباح الى وكرك ، هذا الفندق المريب ، الذى يقدم لرواده أردأ الطعام وخمرا مما يصنعه شقيقك ، ذلك الحيوان الدميم ، ولابد أنه مخلوق عجيب ، شط به التبجح فاجترأ على أن يظهر خشمه بجوار ثغرك الجميل · لكن الأمر سواء على كل حال ، ولقد عولت على قضاء الليلة هنا ·

ماجيلون : (محدثة نفسها) حسنا · انه يسعى الى حتفه بظلفه !

(تخاطب الملك بينما يحاول مرة أخرى عناقها) دعنى !

الملك : يالك من مشاغبة !

ماجيلون : كن عاقلا حكيما !

الملك : هاك الحكمة ياعزيزتى ، لنحب ، ولنستمتع بالحياة ونملأ بطوننا بأطيب الطعام ! وفى ذلك أتأسى بسليمان الحكيم ·

ماجيلون : انك تشهد ألحانه أكثر مما تشهد الوعظ ·

الملك : (مادا لها ذراعه) ما جيلون !

ماجيلون : **(فالتة منه) غدا !**

الملك : ساقلب الخوان رأسا على عقب ان أعدت على مسمعى هذه الكلمة البغيضة القاسية ·

حاشا لفتاة رائعة الحسن أن تقول **غدا** ·

ماجيلون : (تدعن فجأة ، وتمضى فتجلس فى مرح الى الخوان بالقرب من الملك) حسنا · لنعقد الصلح ·

الملك : (متناولا يدها) يالله ! ما أجمل هذه اليد ! انه لأفضل للمرء ـ إن لم يكن حبرا تقيا ـ أن يصفع بهذه اليد من أن يلاطف بيد أخرى !

ماجيلون : (منتشية) أتسخر !

الملك : أبـــدا !

ماجيلون : اننى قبيحة الشكل ·

الملك : كلا · ولا ينبغى أن تبخسى من قدر محاســـنك العلوية · اننى أتلظى ! ألا تعلمين يا ملكة الطغاة كم يستبد بنا الوجد ـ نحن معشر

الضباط ـ وحين يسكن الينا الجمال ويلوذ بنا نغدو نارا حامية
لاتبقي ولا تذر ؟

ماجيلون : (منفجرة فى الضحك) لعلك قرأت ذلك فى بعض الكتب ·

الملك : (محدثا نفسه) يحتمل · (بصوت مرتفع) قبلة !

ماجيلون : على رسلك ! انك ثمل !

الملك : (مبتسما) من خمر الهوى !

ماجيلون : انك تمزح فى رقة وخفة أيها السيد اللاهى الطروب ·

الملك : آه ، كلا (يقبلها) ·

ماجيلون : كفى !

الملك : أريدك زوجة ·

ماجيلون : (ضاحكة) أجاد فيما تقول ؟

الملك : يالك من فتاة لعوب مجنونة !

(يجلسها على ركبتيه ويتحدث اليها بصوت خفيض فتضحك متظاهرة بالظرف · لاتقوى بلانش على مزيد من الاحتمال ، فتلتفت واجفة الى تريبوليه وهو جامد كأن على رأسه الطير) ·

تريبوليه : (بعد ما تأملها فى سكون لحظة) حسنا · ما قولك فى الثأر يا صغيرتى ؟

بلانش : (هامسة لاتقوى على الكلام) يا للغدر ! يا للجحود ! رباه ! ان قلبى ينفطر · أواه ، كم خدعنى لأنه عديم الضمير ! لكن الأمر فى منتهى البشاعة ! انه يقول لهذه المرأة ما سبق أن ردده على مسامعى من قبل ·

(مخفية رأسها فى صدر أبيها) ترى هذه المرأة داعرة ؟ ويلى ··

تريبوليه : (متجهما فى صوت خافت) اسكتى وكفى عن البكاء ، ودعينى أنتقم لك ·

بلانش : (متداعية) وأحر قلباه ! اصنع ما شئت ·

تريبوليه : (هاتفا فى غبطة) شكرا !

بلانش : رباه ! انك مخيف يا أبتاه . ماذا انتويت ؟

تريبوليه : (بانفعال شديد) كل شيء معد ، ووفرى عتابك ، فقد ضاق به صدرى . اصغى الى : اذهبى الى الدار ، وخذى منها ملابس مما يرتديه الرجال وجوادا ونقودا ، خذى أى مبلغ كان ، ثم انطلقى دون توقف فى الطريق المؤدى الى مدينة « افرو » وسألحق بك هناك بعد غد . أتعرفين الصوان القريب من صورة أمك ؟ فيه ستجدين الملابس . ولقد قصدت الى اعدادها سلفا ، أما الجواد فعليه سرجه . ينبغى أن يتم كل شيء كما رسمت . اذهبى ، واياك أن تعودى ، فسوف يقع هنا حادث فظيع ، اذهبى .

بلانش : (جامدة من الخوف) تعال معى يا أبى الحنون !

تريبوليه : محال . (يعانقها ويشير اليها بالانصراف) .

بلانش : ويلى ! اننى أرتجف .

تريبوليه : الى اللقاء ! (يعانقهـــا مرة أخرى ثم تنسحب وهى تترنح) افعلى ما أمليت عليك . (خلال هذا المشهد والمشهد التالى يوصل الملك وما جيلون شجارهما وحديثهما فى ضحك . مختنلين دائما فى القاعة السفلى . وحين تبتعد بلانش يمضى تريبوليه الى الجسر . يومىء باشارة فيظهر فى الأفق سالتا باديل . يوشـــك النهـار على زوال) .

المشــهد الثالث

تريبوليه ، سالتا باديل (فى الخارج)
ماجيلون ، الملك (فى الوكر)

تريبوليه : (محصيا دنانير ذهبيــة أمام سالتــا باديل) انك تطالبنى بعشرين دينارا ــ هاك منها مقدما عشرة .

(يتوقف وهو يعطيه الدنانير) أواثق أنت من أنه سيقضى ليلته هنا؟

سالتنا باديل : (ماضيا يتفحص الأفق قبل أن يجيب) الغيوم تزحف .

تريبوليه : (محدثا نفسه) فى الواقع ، هو لاينام دائما فى قصر اللوفر .

سالتنا باديل : لتطمئن بالا . سينهمر المطر قبل أن تنقضى الساعة ، ومن ثم ستعمل العاصفة وشقيقتى على أحتجازه .

تريبوليه : سأعود حين ينتصف الليل .

سالتنا باديل : لاتجشم نفسك هذا العناء . ففى وسعى أن ألقى جثته فى نهر السين وحدى .

تريبوليه : كلا . بل أود أن ألقيها بنفسى .

سالتنا باديل : لك ماتشاء . سأسلمك اياها فى غرارة محكمة القفل .

تريبوليه : (مسلما اياه النقود) حسنا الى الملتقى فى منتصف الليل . سأدبر لك بقية المبلغ .

سالتنا باديل : سوف تجرى الأمور على مايرام . ما اسم هذا الشاب ؟

تريبوليه : اسمه ؟ أو تريد أن تعرف اسمى أيضا ؟ انه يدعى الجرم وأنا القصاص ! (ينصرف)

المشهد الرابع

نفس الأشخاص ما عدا تريبوليه .

سالتنا باديل : (وحده يتفحص الأفق تنساب اليه الغيوم . جن الليل أوكاد ، ويظهر وميض برق) أرى العاصفة آتية ، والغيوم تلتف بالمدينة . هذا من يمن الطالع . سيغدو الساحل عما قليل أشد اقفرارا (فى تفكير عميق) بقدر ما أستطيع الحكم فيما يجرى من أمور أشهد أن هؤلاء الناس جميعا قد اعتراهم مالا أدرى ! ليقبضنى الشيطان ان كنت أحدس أكثر من هذا !

يتأمل السماء وهو يهز رأسه ، بينما الملك سـادر فى مجونه مع ما جيلون) ٠

الملك : (محاولا الأمساك بخاصرتها) ماجيلون !

ماجيلون : (تفلت منه) تمهل !

الملك : يا لك من فتاة خبيثة !

ماجيلون : (تغنى) ان البراعم التى تتفتح فى ابريل ٠
تلقى فى الدنان بخمر قليل

الملك : ما أجمله من منكب ، ومن ذراع يا عدوتى الفاتنـة ! ما أنصع بياضه ! يا الهى ما أجمـل خلقها ! لم كان على الله ـ خالق هذين الذراعين الجميلين العاريين ـ أن يضع فى جسـدك هذا ـ جسد ڤينوس الخالدة ـ قلبا قد من حجر ؟

ماجيلون : (مواصلة صدودها) كفى ٠ ان أخى قادم ٠

(يدخل سالتا باديل ويغلق الباب خلفه)

الملك : انى لا أحفل به !

(يسمع دوى الرعد على مبعدة)

ماجيلون : أسمع رعدا ٠

سالتا باديل : سينهمر الغيث كالسيل العارم ٠

الملك : (رابتا على كتف سالتا باديل) حسنا ٠ دعها تمطر ٠ يطيب لى الليلة أن أختار غرفتك لى سكنا ٠

ماجيلون : (ساخرة) هذه ارادتك السنية ! أرى أنه يتخذ أسلوب ملك ! سيدى ، سوف تتوجس أسرتك عليك خيفة ٠

(يجذبها سالتا باديل من ذراعها ، ويومىء اليها بأشارة)

الملك : ليس لى بنت ولا جد ٠ ولست حريصا على شىء ٠

سالتا باديل : (محدثا نفسه) هذا من حسن الحظ !

(يهطل الغيث مدرارا ويوغل الليل)

الملك : (مخاطبا سالتا باديل) ستنام ياعزيزى فى الحظيرة مع الشيطان حيثما تشـاء ٠

سالتا باديل : (محييا) شكرا !

ماجيلون : (مخاطبة الملك فى صوت خافت حاسم وهى توقد المصباح) انصرف !

الملك : (هاتفا فى مرح) لقد هطل المطر ، ولا أخالك تودين أن أنصرف فى جو لا يلقى فيه الى الطريق بشاعر !

(يمشى الى النافذة ويتطلع منها)

سالتا باديل : (مخاطبا ماجيلون فى همس وهو يريها الدنانير الذهبية فى راحته) دعيه يبقى هاهنــا ! عشرة دنانير من ذهب ، ثم عشرة أخرى حين ينتصف الليـــل ! (مخاطبا الملك فى أدب وترحاب) سيدى ، يسعدنى كل السعادة أن أقدم اليك الليلة غرفتى ٠

الملك : (ضاحكا) حيث يشوى المرء فى يوليه ويتحول الى ثلج فى ديسمبر ٠ أليس كذلك ؟

سالتا باديل : أيريد سيدى أن يراها ؟

الملك : لنرى ٠

(يتناول سالتا باديل المصــباح ٠ يهمس الملك بكلمتين فى أذن ماجيلون وهو يضحك ، ثم يصعد الدرج المؤدى الى الطابق العلوى يتقدمه سالتا باديل) ٠

ماجيلون : (وحدها) ما أتعسه من شاب !

(متجهة صوب النافذة) رباه ! ما أشد حلكة الليل !

(من الكوه يبين الملك وسالتا باديل وهما فى البرج) ٠

سالتا باديل : (مخاطبا الملك) سيدى ٠ هذا هو الفراش ٠ وهاك المقعد ثم المنضدة ٠

الملك : ما عدد أرجلها جميعا ؟

(يتطلع الملك على التوالى الى السرير ثم المنضدة ثم المقعد) ثلاثة ، ستة ، تسعة ٠ هذا شىء عظيم ! لعلك يا عزيزى قد أتيت باثاثك من موقعة « مارينيان » ٠ أثاث كله أعرج !

(مقتربا من الكوة المكسور زجاجها) وينام المرء هكذا فى العراء دون ثمة زجاج أو خشب ٠ محال أن تستقبل الريح ــ حين تلتمس الدخول ــ بمزيد من الحفاوة والترحاب ! (مخاطبا سالتا باديل)

وقد أوقد الأخير مصباحا ساهرا وضعه على المنضدة) طاب مساؤك !

سالتة باديل : ليحفظك الله !

(يخرج ويلطم الباب ثم يهبط الدرج متثاقلا)

الملك : (وحده وهو يفك حميلة سيفه) أواه ! كم أنهكنى التعب ، لأحاولن النعاس قليلا حتى يحين الحين ·

(يلقى على المقعد بقبعته وسيفه ويخلع نعليه ثم يستلقى على الفراش) ما أنضر ماجيلون ، ويالها من فتاة رشيقة القد تنبض حياة ! (ناهضا) لعله ترك الباب مفتوحا ! نعم · حسنا فعل · (يعود للرقاد وسرعان ما يغط فى نومه · ماجيلون وسالتا باويل معا فى القاعة السفلى · تفجرت العاصفة منذ قليل فاجتاح الطبيعة برق ومطر ، والرعد يسمع دويه فى كل لحظة · تجلس ماجيلون بالقرب من الخوان وفى يدها ما تحيكه ، بينما يفرغ أخوها فى جوفه بتؤدة زجاجة الخمر التى تركها الملك · يلوذ كلاهما برهة بالصمت وكأنما تهمهما فكرة خطيرة) ·

ماجيلون : (فى حسرة) ما أروع هذا الشاب !

سالتا باديل : انى أرى ما ترين ! فهو يضفى على جيبى عشرين دينارا من ذهب ·

ماجيلون : كم ؟

سالتا باديل : عشرون دينارا ·

ماجيلون : انه يساوى أكثر من هذا القدر ·

سالتا باديل : اصعدى يا صغيرتى لترى ان كان قد نام · وان كان يحمل سيفا فآتنى به ·

(تصدع ماجيلون بما أمرت · العاصفة على أشدها ، تظهر **بلانش** فى مؤخرة المنظر مرتدية ملابس الرجال ، زى فارس **بحذائه** الطويل ومهمازه ، وكلها سوداء · تمضى فى بطء الى الوكر ، بينما يعاقر سالتا باديل الخمر وحده ، أما شقيقته ففى البرج تتأمل فى ضوء مصباحها الملك النائم) ·

ماجيلون : (دامعة العينين) ما أعظم الخسارة !

(تأخذ سيفه) انه نائم • ما أشقاه من فتى !

(تهبط الدرج عائدة بالسيف الى أخيها) •

المشهد الخامس

الملك نائم فى البرج ـ سالتا باديل وماجيلون فى القاعة السفلى بلانش فى الخارج •

بلانش : (عائدة بين غلائل الظلام بخطى ثقال على هدى وميض البرق بينما يستمر دوى الرعد) هذا شىء فظيع ! يا الهى لقد طار صوابى ! سوف يقضى الليلة فى الدار ذاتها • ألا اننى دانية من اللحظة الحاسمة • اغفر لى يا أبتاه ، لقد عصيتك بعودتى الى هذه البقعة فى غيابك ، فلا طاقة لى على الوفاء بوعدى •

(تقترب من الدار) ترى ماذا يحدث ؟ وعلى أى صورة ستكون الخاتمة ؟ انى لأرى نفسى وقد زج بها فجأة فى خضم أحداث رهيبة وأنا التى عشت فيما مضى فتاة مسكينة خبيئة بين الزهر ، لا أعلم شيئا عن الألم أو الدنيا أو تصاريف الدهر • واحسرتاه على عفتى وهناءتى ؟ لقد أمست جميعا أطلالا ، وأرى كل ما حول يتشح بالحداد • ألا ان الحب لا يختلف فى قلوب ومض فيها سناه سوى رماد يبقى من بعده ! ولقد بقيت من تلك النار الجارفة ذرات من رماد ! أواه ، لم يعد مقيما على حبى ! (تبكى بحرقه وترفع رأسها) خلت منذ برهة أننى أسمع عبر فكرى دويا ! أظنه الرعد كان يدوى فوق رأسى • يالها من ليلة رهيبة ! ألا ان المرأة لا تحجم فى يأسها عن أى شىء حتى لو كانت مثلى تخشى من خيالها !

(تلمح فى الدار ضوءا) آه ، ترى ما الذى يجرى هناك ؟

(تتقدم ثم تتراجع) رباه ! اننى أشعر بقلبى ينقبض فى هذه البقعة ، وأخشى أن تكون مسرحا لمصرع أحد !

(يواصل سالتا باديل وماجيلون حديثهما في الغرفة المجاورة) ·

سالتا باديل : ياله من جو مكفهر !!

ماجيلون : رعد وأمطار ·

سالتا باديل : نعم · لابد قد نشب شجار في السماء بين زوجين أحدهما يعنف والآخر يبكي ·

بلانش : لو علم أبي الآن مكاني !

ماجيلون : أخي !

بلانش : (منتفضة) سمعت من يتحدث ·

(تتجه واجفة صوب الوكر وتسترق السمع وتختلس النظر من شق في الجدار) ·

ماجيلون : أخي !

سالتا باديل : ماذا ؟

ماجيلون : أو تدرى فيم أفكر ؟

سالتا باديل : كلا ·

ماجيلون : حزر

سالتا باديل : في الشيطان !

ماجيلون : ان هذا الشاب لأبهى ماتكون الطلعة ، مديد القامة ، أبي شهم على غرار أبوللو وهو فوق ذلك وسيم ومدلل · انه متيم بي · انه ينام في براءة يسوع الطفل · حرام أن نقتله ·

بلانش : (مرتعدة مما رأت وسمعت) يا للسماء !

سالتا باديل : (يجذب من الخزانة غرارة عتيقة من نسيج القنب وكتله من حجر ، ثم يقدم الغرارة لماجيلون في جفاء) ·

ارتقي في الحال هذه الغرارة العتيقة ·

ماجيلون : ولماذا ؟

سالتا باديل : لأضع فيها جثة معبودك أبوللو ، مثقلة بهذا الحجر ، حالما أجهز عليه في الطابق العلوي ، ثم ألقي بها في الماء ·

ماجيلون : ولكن ···

سالتا باديل : ماجيلون ! لا تقحمى نفسك فى هذه الأمور ·

ماجيلون : اذا · · ·

سالتا باديل : اذا استمعت اليك فلن أقدم على قتل انسان · ارتقى الغرارة !

بلانش : من هذان المخلوقان ؟ أترانى آشهد جهنم ؟

ماجيلون : (عاكفة على رتق الغرارة) سمعا وطاعة · ولكن دعنى أتحدث اليك ·

سالتا باديل : لك ذلك ·

ماجيلون : أتضمر فى نفسك حقدا على هذا الفارس ؟

سالتا باديل : أنا ؟ كيف ذلك ؟ انه ضابط وأنا أحب رجال السيف لأننى منهم ·

ماجيلون : أتقتل شابا جميلا ، يبدو أنه ليس من العامة ، من أجل أحدب شرير بعيج القوام ؟

سالتا باديل : لقد قبضت باختصار عشرة دنانير مقدما من رجل أحدب لقاء قتل رجل جميل ، والأمر عندى سواء ، وسوف أتقاضى عشرة أخر حين أسلم الجثة ، فلابد اذن من تسليمها اليه · هذا أمر واضح كالشمس ·

ماجيلون : فى استطاعتك أن تقتل القزم حين يعود حاملا اليك النقود · والنتيجة واحدة ·

بلانش : لهفى عليك يا أبتاه !

ماجيلون : أقبلت ؟

سالتا باديل : (محدقا فى وجه ماجيلون) تبا لك ! ما ظنك بى يا أختاه ؟ أترينني سفاحا أو لصا حتى أقتل عميلا ينقدنى الأجر؟

ماجيلون : (مشيرة الى كتلة من الخشب) حسنا ! ضع فى الغرارة كتلة الخشب هذه ، وسوف يحسبها فى الظلام غريمه ·

سالتا باديل : هذا منتهى الغفلة · كيف تريدين أن يحسب كتلة الخشب جثة ، والكتلة جامدة صماء ، جافة صلبة ، ليس فيها حياة ؟

بلانش : ما أقسى برودة المطر !

ماجيلون : سألتك الرحمة به !

سالتا باديل : أهذه أغنية ؟

ماجيلون : حنانيك يا أخى !

سالتا باديل : أخفتى صوتك ! لابد من قتله ! وعليك الآن أن تصمتى .

ماجيلون : (غاضبة) لا أريد له الموت ! سأوقظه وأهيىء له سبيل الفرار .

بلانش : بوركت من فتاة !

سالتا باديل : والدنانير الذهبية العشرة ؟

ماجيلون : هذا صحيح .

سالتا باديل : والآن كونى عاقلة يا صغيرتى ودعينى أعمل .

ماجيلون : كلا ، اننى أريد نجاته !

(تقف ماجيلون بادية العزم والأصرار فى أسفل الدرج لتسد فى وجه أخيها الطريق . واذ يستسلم سالتا باديل أمام عنادها يعود أدراجه الى مقدمة المسرح ويبدو كمن يفتش فى قريحته عن مخرج) .

سالتا باديل : لنرى فى الأمر . سيعود صاحبنا للقائى عند منتصف الليل ، فحتى ذلك الحين ، ان طرق بابنا ثمة عابر يطلب الأيواء سأنقض عليه وأقتله ، ثم أضعه فى الغرارة بديلا عن محبوبك ، ولن يدرك صاحبنا من الأمر شيئا . سيرقص طربا بفريسته فى الليل البهيم ، وحسبه أن يلقى فى اليم بأى انسان أو جماد . هذا ما أقدر عليه ابتغاء مرضاتك .

ماجيلون : شكرا . ولكن أى شيطان تظن أن يمر بنا ؟

سالتا باديل : هذه هى الوسيلة الوحيدة لانقاذ فتاك ؟

ماجيلون : فى مثل هذه الساعة من الليل ؟

بلانش : رباه ! انك تزين لى الموت وتريده لى ! ليت شعرى أينبغى على أن اجتاز هذه الخطوة من أجل هذا الجاحد ؟ لا . اننى مازلت فى ميعة الصبا ! رباه ! لا تدفعنى الى الموت دفعا .

(يدوى الرعد)

ماجيلون : نذرت لئن وفد الينا ثمة رجل فى هذه الليلة الليلاء لاغترفن النحر فى سلتى !

سالتا باديل : وان لم يأت أحد ففتاك الجميل ميت لا محالة ٠

بلانش : (مرتعدة) يا للهول ! أأنادى العسس ؟ ولكن لا ٠ ان الكل نيام ، وفى وسع هذا الرجل أن يشى بى ٠ ولكننى لا أريد الموت ، فلى رسالة كبيرة ، على أن أرعى أبى وأسرى عنه ٠ ألا ان موتى ولم أبلغ السادسة عشر ربيعا ليثير فى النفس الهلع ! اننى لا أقوى على احتماله ! رباه ! أينفذ السيف فى قلبى الا ٠٠ (تدق الساعة دقة واحدة) ٠

سالتا باديل : دقت الساعة المجاورة يا أختاه ٠
(دقتان أخريان) لقد دقت الثانية عشرة الا الربع ، ولن يفد الينا أحد قبل انتصاف الليل ٠ أتسمعين صوتا فى الخارج ؟ لابد لى من انجاز المهمة على أية حال ٠ وليس أمامى سوى ربع الساعة ٠
(يضع قدمه على الدرج ، فتصده ماجيلون وهى تنتحب)

ماجيلون : تريث قليلا يا أخى ٠

بلانش : ماذا أرى ؟ أتبكى هذه المرأة ، بينما أقف جامدة وفى استطاعتى انقاذه ؟ انه لم يعد يحبنى ومن ثم ليس أمامى من سبيل سوى الموت ٠ حسنا ، لأموتن من أجله ٠ (فى شىء من التردد) ان الأمرين سواء ٠ كليهما فظيع !

سالتا باديل : (مخاطبا ماجيلون) لا ٠ لن أستطيع الانتظار الى النهاية ٠ هذا مستحيل ٠

بلانش : أواه ، ليتنى أدرى كيف سيصرعوننى ، وهل ستؤلمنى ضربتهم ! ترى هل يصيبوننى فى جبينى أو فى وجهى ٠٠٠ رباه !

سالتا باديل : (فى محاولة للخلاص من ماجيلون فتوقفه) ماذا تريدين منى أن أفعل ؟ أيدور بخلدك أن يأتى الآن من يحل محله ؟

بلانش : (مرتعدة من برد المطر) لقد جمد الدم فى عروقى !

(متجهة الى الباب) هيا ! (متوقفة) أأموت والبرد يسرى فى أوصالى ؟ (تجر قدميها مترنحة الى الباب وتطرقه طرقا خفيفا) ٠

ماجيلون : هناك من يطرق الباب ٠

سالتا باديل : هذا تصفيق الريح فى السقف ·

(تطرق بلانش الباب مرة أخرى)

ماجيلون : هناك من يطرق الباب

(تهرول وتفتح الكوة ثم تتطلع منها الى الخارج)

سالتا باديل : شىء غريب !

ماجيلون : (مخاطبة بلانش) من بالباب ؟

(مخاطبة سالتا باديل) انه شاب ·

بلانش : أريد المبيت الليلة ·

سالتا باديل : سينعم بسبات عميق !

ماجيلون : أجل · وستطول بنا السهرة ·

بلانش : افتحوا ·

سالتا باديل : (مخاطبـــا ما جيلون) تمهلى برهة ! اعطنى مـــديتى لأشحذها قليلا · (تعطيه المدية فيشحذها على حديد مجز)

بلانش : ياللسماء ! أسمع خشخشة مدية يشحذونها معا !

ماجيلون : ما أتعسه من شاب ! انه يطرق باب قبره ·

بلانش : ان فرائصى ترتعد · ماذا ؟ أفى طريقى الى الموت ؟

(جاثية على ركبتيها) اللهم وانى للقاء وجهك آتية ، اغفر لكل من أساء الى ، ثم أسألك ياربى كما أسألك يا أبى أن تغفرا اهم أيضا · اغفرا للملك فرنسوا الأول ، من أهيم به وأرثى له · اغفرا للخلق طرا ، حتى للشيطان ، حتى لهذا الملعون الذى يتربص بى هنا فى الظلام رافعا نصله · اننى أهب حياتى فداء لغادر ، فلئن طابت بها سعادته فلينسنى ، وليطل الله فى عمر من أفدى ، رافلا فى نعيم لا يبلى أبدا !

(ناهضة) لابد أن الرجل قد استعد !

(تطرق الباب مرة أخرى) ·

ماجيلون : (مخاطبة سالتا باديل) هيا · عجلى · انه يتململ ·

سالتا باديل : (مجربا نصله على الخوان) حسنا · انتظرى حتى أهيىء نفسى وراء الباب ·

بلانش : رباه ! اننى أسمع كل ما يقول ·

(يقف سالتنا باديل خلف الباب بحيث يحجبه حين ينفتح الى الداخل عن الشخص القادم ولا يحجبه عن أعين النظارة) ·

ماجيلون : (مخاطبة سالتنا باديل) أنا فى انتظار اشارتك ·

سالتنا باديل : (من وراء الباب والمدية فى يده) افتحى !

ماجيلون : (تفتح الباب لبلانش) أدخل !

بلانش : (محدثة نفسها) يا للسماء ! سيدا همنى شر مستطير ! (تتراجع)

ماجيلون : وبعد ، علام انتظارك ؟

بلانش : (محدثة نفسها فى فزع) يالله ! أرى الأخت تساند أخاها · اغفر لهما يارب ، واغفر لى يا أبى !

(تدخل · واذ تظهر على عتبة الوكر ، يرى سالتنا باديل رافعا خنجره ، ويسدل الستار) ·

الفصل الخامس

تريبوليه

المنظر ذاته ، ولكن حين ينفرج الستار يرى وكر سالتا باديل وقد أغلق تماما عن الابصار. تبدو الواجهة الأمامية بنافذات خشبية لا ينبعث منها أدنى ضوء . ويخيم الظلام على المنظـــر جميعه .

المشـــهد الأول

تريبوليه : (وحده ، يتقدم من المؤخرة فى بطء ، ملتفا بمعطفه · خفت وطأة العاصفة وانقطع سيل المطر ، ولم يعد يرى سوى ومضات البرق ودوى الرعد يسمع على بعد من حين الى حين · يبدو تريبوليه مستغرقا فى حلم عميق وفى عينيه فرحة مبهمة)

وأخيرا قضى الأمر ! وسأنتقم ! ها قد انقضى الشـــهر على ترقبى وانتظارى · أؤدى دور المهرج ، وأخفى ما يعتمل فى قرارة نفسى، واسكب الدمع دما من خلف قناعى الضاحك (يفحص بابا قصيرا فى مواجهة الدار) هذا هو الباب · ما أسعد المرء اذ يصمد ويظفر بثأره ! أعتقد أنه سيحمل الى من هذا الباب ذاته · ان الساعة لم تحن بعد ، ومع ذلك عدت · نعم ، ســأرقب البــاب فى انتظار الموعد · نعم ، هو ذا الباب بعينه (يدوى الرعد) ياله من طقس عبوس ! ويالهــا من ليلة حفلت بالأحاجى والأسرار ! عاصــفة فى السماء ومصرع على الأرض ! كم أشعر بعظمتى ها هنا · لقد سرت الليلة غضبتى العارمة جنبــا الى جنب مع غضبة الله ! وأى ملك أقتل ! أقتل ملكا يدين له عشرون ملــكا آخر ، فى يديه مقــاليد الحرب والسلام ، وعلى كاهله أعباء العالم بأسره · سوف ينكس كل شىء حين يغرب عن الدنيا ! سوف تكون الصدمة قوية مخيفة حين انتزع هذا القطب · وستهز يدى القاذفة بهذه الصدمة ـ الى أمد طويل ـ سائر أوربا الباكية ، وتكرهها على التماس توازنهــا فى زعامة أخرى ! انى لأتخيل قولة الله فى غد للارض : أيتهـــا الأرض ، أى بركان تفتحت فوهته ؟ ومن ذا الذى أثار هكذا المسلم والمســـيحى ! من ذا الذى أثار كليمان ست ودويا وشـــارلكان وسليمان ؟ أى مسيح أو قيصر أو قائد أو رسول قد قلب الدول هكذا رأسا على عقب ؟ أى ساعد يؤرجحك أيتها الارض كما يطيب له ؟ فتجيب الأرض المروعة : انه تريبوليه ! طوبى لك أيها المهرج اللئيم فى عتوك ! ألا ان ثأر المجنون ليزلزل أرجاء العالم ! (بين صخب العاصفة المودعة تسمع من بعيد ساعة تدق منتصف الليل

فيصغى تريبوليه)
انتصف الليل !
(يهرع الى الدار ويطرق الباب القصير) ·

صوت من الداخل : من بالباب ؟

تريبوليه : أنا

الصوت : حسنا ·
(تنفتح الشرعة السفلى للباب فقط)

تريبوليه : (منحيا لاهثا) أسرع !

الصوت : لا تدخل ·

(يخرج سالتا باديل زحفا من السرعة السفلى للباب · ويجذب من هذه الفتحة الضيقة شيئا ثقيل الوزن ، ربطة مستطيلة الشكل يتعذر فى الظلام تمييزها فهو لا يحمل فى يده مشعلا ولا ينبعث من الدار أى ضوء) ·

المشـــهد الثانى

تريبوليه ـ سالتا باديل

سالتا باديل : أف · هذا ثقيل ـ أعنى يا سيدى لبضع خطوات ·

(تغمر تريبوليه فرحة راعشة ، فيمضى ليعينه على حمل غرارة طويلة رمادية اللون تحوى الجثة الى مقدمة المنظر) رجلك فى هذه الغرارة ·

تريبوليه : لنراه ! يا للفرحة ! آتنى بمشعل ·

سالتا باديل : كلا · بالله !

تريبوليه : ممن تخاف أن يراك ؟

سالتا باديل : القناصة وعسس الليل · يا للشيطان ! لا مشعل ! كفى صخبا وهات النقود !

تريبوليه : (يسلمه الصرة) خذ !

(يفحص الغرارة الممددة على الأرض بينما الآخر يحصى **الدنانير**)
قد تسفر الأحقاد عن بعض المكاسب !

سالتا باديل : هل لى أن أعينك على القائه فى نهر السين ؟

تريبوليه : سأتكفل بذلك وحدى ٠

سالتا باديل : (فى اصرار) لنحمله سويا ، وبهذا يقصر الطريق ٠

تريبوليه : اننى لا أحس بثقل عدو أواريه الثرى ٠

سالتا باديل : لعلك تقصد أن تقول نهر السين ؟ حسنا ، كما ترى يا سيدى ٠

(متجها الى نقطة على الجسر) لا تلق به من هنا ، فهذا مكان لا يصلح
(مشيرا الى ثغرة فى الجسر) هنا ، فهذه بقعة بعيدة الغور ٠
عجل ، طاب مساؤك ٠

(يعود أدراجه الى الوكر ويوصد الباب خلفه)

المشهد الثالث

تريبوليه : (وحده محدقا فى الغرارة) انه هنا ! ميت ! وان كنت أود ألا أراه ٠

(يتحسس الغرارة) الأمر عندى سواء ، انه هو بعينه ٠ انى أحس به من خلف الغلالة ، وهذا مهمازة يخترق القماش ٠ انه هو بعينه !

(ينهض ثم يضع قدمه على الغرارة) والآن ، اشهدنى أيها العالم، هأنذا المهرج ، وهذا هو الملك ٠ وأى ملك ! سيد الملوك طرا وأرفعهم شأنا ! ها هو ذا فى قبضتى وتحت قدمى ! انه هو بعينيه ! سيكون له « السين » لحدا وهذه الغرارة كفنا ٠ ومن قام بهذا ؟

(عاقدا ذراعيه) حسنا ! أنا وحدى ـ كلا ، اننى ما حققت هذا النصر لتأبى الأقوام فى غد أن تصدقه • ترى ما الذى سيردده المستقبل ؟ وأى ذهول سيعترى الشعوب على اثر هذا الحادث ! اشهد أيها القدر ـ وأنت موجدنا فى هذه الدنيا ومخرجنا منها ـ أن واحدا من أعلى الملوك قدرا ومن هو ؟ انه فرانسوادى فالوا ، القلب النارى ، غريم شارلكان ، ملك فرنسا ؛ أنه من الخلود قريب ، كساب المعارك من تداعت تحت أقدامه دعائم الحصون • (يدوى الرعد بين الفينة والفينة) بطل واقعة « مارينيان » ، من ظل طوال ليلة يصيح فى كتائبه ، ويرفع بها الواحدة تلو الأخرى الى ساحة الوغى ، حتى اذا ما تنفس الصبح لم يبق بين يديه المزوجتين بالدماء سوى مقاتلين ثلاثة • أشهد أيها القدر ان هذا الملك الذى قلدته الدنيا وسام المجد سيغرب بغتة عنها ، وانه حمل فجأة وهو فى أوج سلطانه ، بقضه وقضيضه ، وبين بطانته التى تحرق له البخور ، حملته يد مجهول فى ليلة راعدة كما يحمل وليد سفاح ! ماذا اقول ؟ لقد أصبح هذا القصر وهذا الجيل وهذا الحكم دخانا فى الهواء ، وخبا واندحر وذهب أدراج الرياح هذا الملك الذى تفتحت عيناه على فجر وضىء ! لقد لاح ثم اختفى كواحد من هذه البروق ! وقد يمضى فى غد المنادون ، ذارعين المدائن عبثا ، يصيحون بالمارة الذين أذهلتهم المفاجأة ، ويشيرون اليهم بأطنان الذهب :

هذا حلال لمن يعثر على الملك الضائع ! ياله من مشهد رائع !
(بعد فترة سكون)

أى بنيتى الملتاعة ! لقد نال جزاءه الأوفى ومن ثم تحقق لك الثأر منه ! ليت شعرى ، كنت أتوق الى اراقة دمه والى قدر من الذهب، وها أنذا قد ظفرت بهما !

(ينحنى على الجثة فى سورة غضب) •

أيها الفاجر ، أتستطيع أن تسمعنى ؟ لقد حسدتنى على ابنتى التى تفوق تاجك قيمة وقدرا ، والتى لم تسىء قط الى أحد من البشر ، فسلبتها منى ثم أعدتها الى ـ وياللهول ـ موصومة بالعار والشقاء ! حسنا • خبرنى ، أتسمعنى ؟ لقد تبدل الحال غير الحال • نعم ، أنا الآن هنا ، أنا الذى أضحك وأنتقم ! كنت فى غفلة عنى لأننى

تظاهرت بنسيان ما جرى ! كنت تؤمل فى تسامحى معتقدا أن غضبة الأب تقلع أنيابها فى سهولة ويسر ! كلا ، ففى هذا الصراع الذى شب بيننا قد انعقد لواء النصر للضعيف وهذا لذى كان بالأمس يلعن قدميك ينخر الآن قلبك ! ألا انك الآن فى قبضتى ٠
(يزيد انحناءه على الغرارة) أتسمعنى ؟ أنا الذى أحدثك أيها الملك الهمام ٠ أنا ذلك المجنون المهرج ، أنا شبه الرجل ، أنا ذلك الحيوان المريب الذى كنت تسميه كلبا (يركل الجثة) أرأيت الى الثأر يتأجج فى النفس فلا تنام عنه أشد القلوب مواتا ؟ يضخم الهزيل ، ويتبدل الشرير ، ويشهر العبد حقده من غمده ٠ ويغدو القط نمرا والمهرج جلادا !

(ينهض الى منتصف قامته) ليته يستطيع أن يسمع كلماتى دون أن يتحرك !

(ينحنى مرة أخرى) أتسمعنى ؟ اننى أمقتك ! امض الى مثواك الأخير فى أعماق النهر ، وانظر ان كان ثمة تيار يجرفك الى سان دنيس !

(ناهضا) الى اليم يا فرنسوا الاول !

(يمسك الغرارة من طرفها ويجذبها الى الشاطىء ، واذ يضعها على الجسر ينفرج باب الوكر بحذر وتحرج منه ماجيلون ٠ تنظر من حولها بقلق تومئى باشارة من لايرى شيئا ٠ تعود الى الوكر ثم تظهر بعد لحظة بصحبة الملك ، تشرح له بالاشارة أن الطريق خال ومن ثم يستطيع الانصراف ، ثم تعود أدراجها وتوصد الباب٠ يسير الملك الى الساحل فى الاتجاه الذى رسمته له ماجيلون فى اللحظة التى يتأهب فيها تريبوليه لالقاء الغرارة فى نهر السين)٠

تريبوليه : (ويده على الغرارة) هيا !

الملك : (يغنى فى المؤخرة) كثيرا ما تكون المرأة قلبا !

ومن يثق بها فهو مجنون !

تريبوليه : (منتفضا) أى صوت اسمع ؟ ماذا ؟ أتلهو بى هواجس الليل ؟

(يتلفت ويرهف السمع فى ذعر ٠ يختفى الملك ولكن يسمع من بعيد غناؤه)

صوت الملك : كثيرا ما تكون قلبا !

ومن يثق بها فهو مجنون !

تريبوليه : يا للعنة ! ليس هو من فى قبضتى · لقد زينوا له الهرب ، وثمة امرىء حماه · لقد خدعت !

(يهرع الى الوكر فيجده موصدا ما عدا النافذة العليا فهى مفتوحة) سفاح !

(يقيس بنظره الارتفاع ، كأنما يريد أن يتسلق الى النافذة) ما أعلى النافذة !

(عائدا الى الغرارة فى سخط) ولكن من هذا الذى وضعه الغادر بديلا عنه ؟ ترى أى برىء ؟ اننى أرتعد ··

(يتحسس الغرارة) نعم · هذا جسم انسان ·

(يمزق بخنجره الغرارة من أعلاها الى أسفلها ويتطلع بلهفة الى ما بداخلها) لا أستبين ما بداخلها · يا له من ظلام دامس !

(يتلفت شاردا) ماذا ؟ ما من أحـد فى الطريق وما من شىء فى الدار !

آما من مشعل ينير ؟

(متكئا فى يأس على الجسد) لانتظرن البرق ·

(يظل لحظة وعينه مثبتة على القرارة المفتوحة وقد برزت منها بلانش الى منتصفها)

المشـهد الرابع

تريبوليه ـ بلاش

تريبوليه : (يومض البرق فينهض ، وسرعان ما يتراجع ويطلق صرخة مسعورة)

ابنتى ! يا الهى ! ابنتى ! ابنتى ! اشهدى أيتهـا الأرض وأنت أيتها السماء ! هذه ابنتى !

(يجس يديها) رباه ! ان يديها ندية ! دم من هذا ؟ ابنتي لماذا ؟ لقد طار لبي ! ياله من حادث مروع ! كلا ، انها صليبي أوهام ! آه كلا ، هذا ضرب من المحال . لقد رحلت وفي طريقها الآن الى « افرو » .

(يجثو على ركبتيه قريبا من الجسد ويرفع عينيه الى السماء) رباه ! أو ليست هذه أضغاث أحلام ، وانك حافظ ابنتي تحت جناحك ، وهي ليست من أرى يا رباه ؟

(يمرق البرق مرة أخرى فيلقي ضوءا قويا على وجه بلانش الشاحب وعينيها المغمضتين) نعم ، انها هي ! هي بعينها !

(يرتمي على جسدها وينشج بالبكاء) ابنتي ! طفلتي ! أجيبي ! خبريني هل قتلت ؟ أواه ! أجيبي ! يا لسفكة الدماء ! هل من يقهرها يا رب غير تلك الأسرة الراعبة ؟ حدثيني ! حدثيني يا ابنتي ! أيها السماء ! ابنتي !

بلانش : (تفتح مقلتيها بعض الشيء كأنما قد أفاقها صراخ أبيها ، وتقول في صوت واهن) من يناديني ؟

تريبوليه : (مذهولا) انها تتكلم ! انها تتحرك بعض الشيء ! ان قلبها ينبض وعينها تنفتح ! انها لا تزال حية ! رباه !

بلانش : (تهم الى منتصف قامتها ، فتبدو في قميص ملطخ بالدم شعثاء الشعر ، أما أسفل الجسد فمستور بالملابس .. محتجب داخل الغرارة) أين أنا ؟

تريبوليه : (يرفعها بين يديه) أي طفلتي وكل متاعي في هذا الكون ! أعرفت صوتي ! أتسمعينني ؟ تكلمي !

بلانش : أبتاه !..

تريبوليه : بلانش ماذا فعلوا بك ، وأي سر رهيب هذا ! أخشى أن تتألمي اذا أمسستك ، اني لا أري ما بك ، ابنتي أبك جراح ؟ قيدي يدي !

بلانش : (في صوت متقطع) لقد طعنت .. اني واثقة .. في قلبي . لقد أحسست ..

تريبوليه : ومن سدد هذه الطعنة ؟

بلانش : آه ، أنا المخطئة ٠٠ وانى خدعتك تولهت فى حبه ٠٠ وأموت من أجله ٠

تريبوليه : ياله من قدر لا ينضب معين حقده ! لقد صرعت فى ثأرى ! ويلاه ! هـــذا بلاءمن الله ! ابنتى ٠ كيف اصـــبت ؟ فسرى لى ، تكلمى !

بلانش : (محتضرة) لا تحثنى على الكلام !

تريبوليه : (يغمرها بقبلاته) غفرانك يا ابنتى ! ولكن ، أأفقدك دون أن أعلم كيف فقدتك ؟ أواه ! ان رأسها يميل !

بلانش : (تتحامل على نفســها لتعتدل فى رقدتهــا) أواه ! على الجنب الآخر ! اننى أختنق !

تريبوليه : (يرفعها ويهتف فى ســعر) بلانش ! بلانش ! لا تموتى ! (ملتفتا فى يأس) النجدة ! أى انسان ! ما من أحد هنا ؟ أتترك ابنتى تموت هكذا ؟ آه ٠ ان جرس الغليون هناك فى الجدار ـ أى طفلتى المسكينة ! هل لك فى انتظارى قليلا حتى أمضى فأحضر لك جرعة ماء وأقرع الجرس كلما يخف الينــا أحــد ؟ لحظــة واحدة ! (تومىء اليه بلانش بعبث ما يصنع) أترفضين ؟ ولكن هـــذا ضرورى (مناديا دون ان يتركها) يا قوم ٠ (يخيم على المكان سكون عميق والدار على حالها واجمة فى الظلام) هذه الدار يارب ليست سوى مقبرة ٠

(تعالج بلانش سكرات الموت) ويلاه ! لا تموتى ! أى طفلتى ، انت ذخرى انت حمامتى الوديعة لئن مت فلن يبق لى فى الوجود شىء رحماك لا تموتى ٠

بلانش : أواه ! ٠٠

تريبوليه : ان ساعدى لا يريحك ، اليس كذلك ؟ انك تتململين منه ٠ تمهلى حتى أغير من جلستى ٠ أمرتاحة هكذا ؟ حنانيك ! حاولى أن تبقى على أنفاسك حتى يخف لنجدتنا أحد ! ما من نجدة ؟

بلانش : (فى جهد جهيد وصوت هامس) اغفر له يا أبتاه ٠٠ وداعا (يهوى رأسها) ٠

تريبوليه : (يشد شــعر رأسه) بلانش ! ويلاه ! انهــا تلفظ النفس الأخير !

(يهرع الى جرس الغليون ويهزه فى سخط) يا للغوث! الجريمة ! الثأر ! (عائدا الى بلانش) حاولى أن تكلمينى كلمة ! كلمة واحدة! حنانيك ! كلمينى ! (يسعى الى انهاضها) لم تريدين أن تظلى هكذا منطوية الجسد ؟ ستة عشر ربيعا ! لا ، هذا عمر قصير ! أواه الا ، انك لم تموتى ! أى بلانش ، أهان عليك أن تفارقى أباك على هذا النحو ؟ أقدر لى ألا أسمع الى الابد صوتك ؟ لم يا الهى ؟ (يهرع لفيف من الناس الى مصدر الصراخ وفى أيديهم المشاعل) كانت السماء خالية من الرحمة حين منحتنى اياك ! لم لم تستردك ايتها المسكينة قبل ان تشهدنى جمال نفسك ؟لم تركتنى أعرف ذخرى ؟ وا أسفاه ! ليتك مت وأنت طفلة ، يوم أصابك الفتية بجراح وأنت تلعبين !

لهفى على ابنتى وفلذة كبدى !

المشــهد الخامس

نفس الأشخاص ـ رجال ونساء من العامة

امرأة : انكلامه يقطع نياط القلب !

تريبوليه : (ملتفتـا) آه ، هأنتم أولاء قدمتم الآن ! فى هذه اللحظة الحاسمة !

(يمسك بخناق حوذى يحمل سوطا فى يده) ألديك خيل وعربة ؟ تكلم !

الحوذى : نعم • كم يهزنى بعنف !

تريبوليه : نعم ؟ حسنا ، خذ رأسى وضعه تحت عربتك !

(يعملون على ابعاد تريبوليه فيقاومهم)

واحد من الكهنة : أرى قتيلة وأبا منكودا ! لزام أن نفصـــل بينهما •

(يعملون على ابعاد تريبوليه فيقاومهم)

تريبوليه : أريد أن أبقى ! أريد أن أراها ! التي لم أتى اليكم حتى تأخذوها منى ! انني لا أعرفكم من قبل — ألا تشفقون ؟

(مخاطبا احدى النسوة) سيدتى ، أراك تبكين . يالك من امرأة طيبة ! قولى لهم ألا يبعدوننى .

(تشفع له المرأة فيدنو من بلانش ويجثو على ركبتيه)

لنترك أيها الشقى . ولتمت بجوارها !

المرأة : هدىء من روعك : فلئن أمعنت فى الصراخ فسيقودونك .

تريبوليه : (شاردا) لا ، لا . دعونى !

(يحتضن بلانش بين ذراعيه) أعتقد أنها مازالت تتنفس ! انها بحاجة الى ! أسرعوا الى المدينة وآتونى بنجدة . دعوها بين ذراعى وبهذا يهدأ روعى .

(يحملها على صدره كما تحمل الأم طفلها النائم) كلا . انها لم تمت ! ان الله لا يريد لها الموت ، فهو عليم بأن ليس لى تحت عرشه سواها . ان الناس جميعا تمقت الاشوه وتشيح عنه ، ولا يحس انسان ببلواه اما هى فقد أحبتنى ! انها بهجتى فى الحياة وسندى . ان سخر منى أحد بكت معى . أيطوى الردى هذا الحسن الرائع ؟ كلا . أعطونى ما أمسح به جبينها . (يمسح جبينها) ان شفتيها لا تزال بلون الورد . آه ليتكم رأيتموها ! انى أتمثلها الآن فى خاطرى وهى طفلة فى عامها الثانى بشعرها الذهبى . نعم ، لقد كانت حينذاك شقراء ! (يضمها الى صدره فى لهفة وحنان) لهفى عليك أيتها الشهيدة المسكينة ! لهفى على سعادتى وفتاتى الحبيبة !

(يهدأ قليلا ويتطلع اليها) كنت أحملها هكذا وهى بعد طفلة ، وكانت تنام على صدرى كما تفعل الآن . حتى اذا صحت آه لو تعلمون أى ملك كانت ! لم أكن أبدو لها شيئا غريبا ، فكانت تبتسم لى بعينيها الملائكيتين ، أما أنا فكنت أقبل يديها الصغيرتين ! يا للحمل الوديع ! لقد ماتت ! لا بل نامت لتستريح منذ قليل كانت الحال يا سادتى غير الحال . لقد استيقظت الآن . لننتظر . سترونها تفتح عينيها بعد برهة . أرأيتم الآن يا سادتى

اننى انسان ، رزين وديع ، **لا أوذى أحد ؟ ولما كنت لا أفعل** شيئا مما نهيت عنه فلا بأس عليكم أن تدعونى أنظر الى **طفلتى** ٠

(متطلعا اليها) ليس فى جبينها غضون ، وليس بها من داء قديم ! أرأيتم كيف أدفأت يديها منذ هنيهة بين يدى ؟ فلتتحسسوهما اذن قليلا !

(يدخل الطبيب)

المارة : (هاتفة بتريبوليه) جاء الطبيب !

تريبوليه : (مخاطبا الطبيب وهو يقترب) هيا ٠ تطلع اليهـا فلست مانعك ٠ انها فى اغماءة أليس كذلك

الطبيب : (يفحص بلانش) لقد ماتت ٠

(يشب تريبوليه على قدميه فى تشنج بينما يواصل الطبيب كلامه فى جفاء) فى جنبها الايسر جرح بليغ ، ووقف النزيف أنفاسها ، ومن ثم كانت الوفاة ٠

تريبوليه : ويلاه ! لقد قتلت ابنتى ! قتلت ابنتى !
(يخر صريعا على الأرض)

ستار الختـــام

فهرس

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٥٢٦٢
ISBN — ٩٧٧ — ٠١ — ٠٤٦٨ — ×

٣٥٠

يرى فيكتور هيجو أن الأعمال الأدبية لابد أن تعالج الموضوعات الاجتماعية ، وكل مسرحية ينبغى أن تشكل خطوة إيجابية فى هذا السبيل ، وهو بهذا ينبه الأذهان إلى ما للمسرح من قيمة ضخمة لا تقف عند حد . . وهو لهذا لا يجب أن يقدم إلى المسرح سوى موضوعات زاخرة بالعبرة والموعظة فهو يتعمد فى مسرحيته « لوكريس بورجيا » أن يرى الناس تابوت الموتى فى قاعة الولائم وأن يسمعهم صلاة الموتى خلال أناشيد العبث والشراب وأن يقدم لهم بردة الراهب إلى جوار قناع الكرنفال .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب